نفحات الهداية

آية الله العظمى السيد
صادق الحسيني الشيرازي رحمة الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

نفحات الهداية

كاتب:

صادق حسينى شيرازى

نشرت فى الطباعة:

ياس الزهراء عليها السلام

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
نفحات الهدایة ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
دعاء ----- ۱۵
المقدمة ----- ۱۵
نبی الإسلام صلی الله علیه وآله خیر هاد للبشریة ----- ۱۶
نبی الإسلام صلی الله علیه وآله خیر هاد للبشریة ----- ۱۶
کیف دخل الناس فی الإسلام أفواجاً؟ ----- ۱۶
قوانین الإسلام أفضل القوانین کلّها ----- ۱۷
کیف کان منهج نبیّنا صلی الله علیه وآله؟ ----- ۱۷
نموذج من قوانین الدولة الإسلامیة ----- ۱۸
لا رفاهیة إلا فی الإسلام ----- ۱۹
الیهود یعتنقون الإسلام ----- ۱۹
الإسلام دین الحقّ والصدق ----- ۲۰
التأمین الاجتماعی لأول مرّة فی العالم ----- ۲۰
الإسلام للدنیا والآخرة ----- ۲۱
وصیتان فی مجال العمل الصالح ----- ۲۱
علیکم بالشباب ----- ۲۲
الإمام الصادق سلام الله علیه یتبرّأ من المفترین ----- ۲۲
عود علی بدء ----- ۲۳
الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام و السلامة فی الدین ----- ۲۴
الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام و السلامة فی الدین ----- ۲۴
اشارة ----- ۲۴

سلامة الدين أهم من كل شيء ----- ۲۵
ما المقصود بسلامة الدين؟ ----- ۲۵
قبس من الغدير ----- ۲۶
قبس من الغدير ----- ۲۶
عيد الله الأكبر ----- ۲۶
الغدير ووفور النعمة ----- ۲۷
الغدير والتعاطف مع الناس ----- ۲۸
مبادئ مدرسة الغدير ----- ۲۸
الغدير والمشاعر الإنسانية ----- ۲۹
مسؤوليتنا تجاه الغدير ----- ۳۰
ماذا خسر العالم بإقصاء الغدير ----- ۳۰
ماذا خسر العالم بإقصاء الغدير ----- ۳۰
مقدمة ----- ۳۱
الإمام على سلام الله عليه مرسى دعائم الحرية فى العالم ----- ۳۱
كيف تعامل الإمام سلام الله عليه مع مثيرى الحرب ضده؟ ----- ۳۳
كيف تعامل الإمام مع الخوارج؟ ----- ۳۴
ماذا كنّا سنربح لو تحقق الغدير؟ ----- ۳۴
ماذا حدث بإقصاء الغدير؟ ----- ۳۵
مسؤوليتنا تجاه الغدير ----- ۳۵
أهمية أحكام الله تعالى ----- ۳۶
أهمية أحكام الله تعالى ----- ۳۶
تقدير الله للعلم والعلماء ----- ۳۷
قيمتنا عند الله يحددها دفاعنا عن أحكامه ----- ۳۸
أحكام الله فوق كلّ شيء ----- ۳۹

أحكام الله فوق كلّ شيء ---- ۳۹
مقدمة ---- ۳۹
تفسير مفردات الآية ---- ۳۹
التلاعب بأحكام الله من أكبر الكبائر ---- ۳۹
الفقهاء لا يفتون إلا بعد استفراغ الجهد ---- ۴۰
الشيخ المفيد مثالاً للخوف من الفتيا ---- ۴۰
العوام والإفتاء فی الشعائر الحسينية!! ---- ۴۱
الفتاوى التی بها تحبس السماء ماءها ---- ۴۲
هل أنت أفقه من الإمام صاحب الزمان؟! ---- ۴۲
الناس مسلطون على أنفسهم ---- ۴۲
لم يفت مجتهد بحرمة أی من الشعائر الحسينية ---- ۴۳
الإمام الحسين عليه السلام أقام الدين ---- ۴۴
الإمام الحسين عليه السلام أقام الدين ---- ۴۴
اشارة ---- ۴۴
دين الله واحد ---- ۴۴
ما وصّى الله به أنبياءه ---- ۴۴
مكانة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فی السماوات ---- ۴۵
نماذج من محاولات بنی أمية للقضاء على الدين ---- ۴۶
?يزيد يثأر لقتلى بدر ---- ۴۶
?خليفة يشتهی أن يفجر فوق الكعبة!! ---- ۴۶
حسين منّی وأنا من حسين ---- ۴۷
ختاماً: ماذا نقدّم للحسين سلام الله عليه؟ ---- ۴۷
عاشوراء دروس وعبر ---- ۴۸
عاشوراء دروس وعبر ---- ۴۸

عاشوراء أيضاً ---- ۴۸
الخشية من عدل الله ---- ۴۹
المحيون للمآتم الحسينية ---- ۴۹
قتلة سيد الشهداء سلام الله عليه ---- ۵۰
تفاخر الكعبة ومكانة كربلاء ---- ۵۰
عطاءات عاشوراء ---- ۵۱
ثواب ذكر الإمام الحسين سلام الله عليه ---- ۵۱
عاقبة محاربة المواكب الحسينية ---- ۵۲
ثواب الحزن على أهل البيت عليهم السلام ---- ۵۲
سيد الشهداء عليه السلام يلى حساب الناس ---- ۵۳
ذخر ليوم الحساب ---- ۵۴
صيانة المكاسب ---- ۵۵
حفظ الأمانة ---- ۵۶
الاقتداء بسيّد الشهداء سلام الله عليه ---- ۵۶
نور الله ---- ۵۷
سبايا أهل البيت سلام الله عليهم فى ساحة المعركة ---- ۵۷
سيرة الإمام زين العابدين سلام الله عليه ---- ۵۸
سيرة الإمام زين العابدين سلام الله عليه ---- ۵۸
اشارة ---- ۵۸
مقدمة ---- ۵۸
الأئمة نور واحد ---- ۵۹
دور الإمام السجاد سلام الله عليه ---- ۶۰
توطئة: خطط بنى أمية للقضاء على الإسلام ---- ۶۰
أدوار الإمام السجّاد سلام الله عليه ---- ۶۱

۱. شراء العبید و عتقهم فی سبیل الله ----- ۶۱
من رأی لیس کمن سمع ----- ۶۲
آیة الله البروجردی مثالاً ----- ۶۲
مثال آخر ----- ۶۳
مع الإمام مرة أخری ----- ۶۳
۲. تخریج الفقهاء والعلماء ----- ۶۴
۳. رعایة الخط الجهادی ----- ۶۴
الحجّة المنتظرعجّل الله فرجه منّة الله علی مستضعفی الأرض ----- ۶۴
الحجّة المنتظرعجّل الله فرجه منّة الله علی مستضعفی الأرض ----- ۶۴
اشارة ----- ۶۴
أ. التأکید علی المستقبل ----- ۶۵
ب. شمول دائرة المنّة لکلّ أهل الأرض ----- ۶۵
خلاصة الدلیل ----- ۶۶
الإمام عجّل الله تعالی فرجه ناظر إلینا ----- ۶۶
ما یحول دون تشرّفنا بلقاء الإمام المهدی عجّل الله فرجه ----- ۶۷
قصة الرجل المحبّ للضیف ----- ۶۷
ذکری المولد فرصة لمراجعة أنفسنا ----- ۶۸
فی ذکری میلاد منقذ البشریة المهدیّ المنتظر عجّل الله فرجه الشریف لنعرف إمامنا وواجبنا بصورة أفضل ----- ۶۹
فی ذکری میلاد منقذ البشریة المهدیّ المنتظر عجّل الله فرجه الشریف لنعرف إمامنا وواجبنا بصورة أفضل ----- ۶۹
اشارة ----- ۶۹
۱ لنعرف إمامنا أکثر ----- ۶۹
قضیة الإمام المهدیّ عجّل الله تعالی فرجه من الأمور المسلّمة ----- ۶۹
إنّه یصدع بالحکمة والموعظة الحسنة ----- ۷۰
ویسیر بسیرة جدّه أمیر المؤمنین سلام الله علیهما ----- ۷۰

ویلبس ثیاب علیّ سلام الله علیه ---- ۷۰
أهل البیت سلام الله علیهم کلّهم رحمة ---- ۷۱
الإمام المهدی مرآة المصطفی والمرتضی صلوات الله علیهما وآلهما ---- ۷۱
أحوال الناس فی زمن الظهور ---- ۷۱
۲. لنعرف وظیفتنا بنحو أفضل ---- ۷۲
الواجب مقدّم علی الرغبة وهو تعلّم الإسلام والعمل به وتعلیمه ---- ۷۲
الشیخ المفید نال أوسمة من الحجّة لم ینل مثلها أحد ---- ۷۳
بمقدار ما نعمل بواجبنا یرضی عنّا الحجّة ---- ۷۴
أویس القرنی أفضل من کثیر من الصحابة! ---- ۷۴
القیام لله أبلغ الموعظة ---- ۷۵
القیام لله أبلغ الموعظة ---- ۷۵
مقدمة ---- ۷۵
الإنسان بطبعه میّال لذاته ---- ۷۶
مع الشیخ محمد تقی الشیرازی ---- ۷۶
أمثلة علی حب الذات ---- ۷۷
نکران الذات مصدر کلّ الفضائل ---- ۷۷
مثنی وفرادی ---- ۷۸
واقعة فیها عبرة ---- ۷۸
العمل بالآیة ---- ۷۸
الخلاصة ---- ۷۹
کیف نکون فی نور الله تعالی؟ ---- ۷۹
کیف نکون فی نور الله تعالی؟ ---- ۷۹
معنی کون الإنسان فی نور الله تعالی ---- ۷۹
المقصود من الحدیث الشریف ---- ۸۰

نماذج من الواعين لمعنى الحديث ----- ۸۰
الخلاصة ----- ۸۱
كيفية العمل لله تعالى ----- ۸۲
كيفية العمل لله تعالى ----- ۸۲
مقدمة ----- ۸۲
أشدّ آية فى القرآن ----- ۸۳
أهمية الكيف ----- ۸۴
مثال من واقع الحياة ----- ۸۵
من علامات الكيف المقبول ----- ۸۵
المؤمن يرتبط قلباً بالله لا بغيره ----- ۸۶
الرب أعرف بمصلحة المربوب وحاله ----- ۸۷
تكييف الإنسان نفسه مع ما كتب الله له ----- ۸۷
تكييف الإنسان نفسه مع ما كتب الله له ----- ۸۷
اشارة ----- ۸۷
الزهد بين كلمتين من القرآن ----- ۸۷
التغيير ممكن ----- ۸۸
التأسّى بأهل البيت سلام الله عليهم ----- ۸۸
الاعتبار بقصص الآخرين ----- ۸۸
أ. لا تفرحوا بما آتاكم ----- ۸۸
ب. لا تأسوا على ما فاتكم ----- ۸۹
السبيل إلى التغيير ----- ۸۹
فى تربية النفس صلاح الدنيا والآخرة ----- ۹۰
الورع عن محارم الله تعالى ----- ۹۱
الورع عن محارم الله تعالى ----- ۹۱

۱- من هو الشقی ---- ۹۲
أقسام الصوم ومراتبه ---- ۹۲
لنصمم على بلوغ أعلى المراتب ---- ۹۳
ولنحدّد المحرّمات التی تواجهنا ---- ۹۳
ولیکن لنا فی المتحولین عبرة ---- ۹۳
۲- الورع عن محارم الله ---- ۹۴
شهر رمضان شهر بناء النفس والمجتمع ---- ۹۵
شهر رمضان شهر بناء النفس والمجتمع ---- ۹۵
مقدمة ---- ۹۵
۱ - شهر رمضان فرصة مناسبة لبناء الذات ---- ۹۵
۲ – شهر رمضان والتغییر الاجتماعی ---- ۹۷
الاعتبار ببعض أهل العلم ---- ۹۸
لنتعلّم من أهل البیت سلام الله علیهم ---- ۹۸
الباقیات الصالحات ---- ۱۰۰
الباقیات الصالحات ---- ۱۰۰
ما المقصود بالزینة؟ ---- ۱۰۰
المال وتحدیده ---- ۱۰۰
معانی کلمة «دنیا» ---- ۱۰۱
الباقیات ---- ۱۰۱
وقفة تأمّل ---- ۱۰۱
وخیر أملًا ---- ۱۰۲
خیر للمرء أن ینفق من ماله فی حیاته ---- ۱۰۲
الشیاطین تمسک بید المنفق ---- ۱۰۲
الصالحات ---- ۱۰۲

قصتان فیهما عبر ۱۰۳
سارعوا فی الخیرات ۱۰۳
آثار الأعمال ۱۰۳
آثار الأعمال ۱۰۳
مقدّمة ۱۰۴
العبد الصالح الذی سأل الملک الجبار ۱۰۴
الاعتبار من قصة شریک النخعی ۱۰۵
الخلاصة ۱۰۶
قصة أصحاب الحجر ۱۰۶
قصة أصحاب الحجر ۱۰۶
مَن هم أصحاب الحجر؟ ۱۰۶
الإعراض عن الآیات ۱۰۷
آیة صالح علیه السلام ۱۰۷
عقر الناقة ۱۰۷
نزول العذاب، والعبرة من القصة ۱۰۸
معرکة الأحزاب.. دروس وعبر ۱۰۸
معرکة الأحزاب.. دروس وعبر ۱۰۸
الحکومة الإسلامیة هی التی تطبّق کلّ أحکام الله ۱۱۰
لا ضرائب جمرکیة فی الإسلام ۱۱۱
عود علی بدء ۱۱۲
الحریة فی الإسلام ۱۱۲
الحریة فی الإسلام ۱۱۲
معنی الطاغوت ۱۱۳
العروة الوثقی ۱۱۳

حریة اختیار الدین فی الإسلام ----- ۱۱۳
رسول الله صلی الله علیه وآله القدوة فی تطبیق المبدأ ----- ۱۱۳
أمثلة من سیرة أمیر المؤمنین سلام الله علیه ----- ۱۱۴
مقارنة ----- ۱۱۵
أنت حرّ ما لم تضرّ ----- ۱۱۶
التزم بتوجیهات الإسلام ولا تکن عبد غیرک ----- ۱۱۶
حقوق المرأة فی الإسلام ----- ۱۱۷
حقوق المرأة فی الإسلام ----- ۱۱۷
الشرح اللفظی للآیة الکریمة ----- ۱۱۷
"تحریر المرأة "شعار جمیل الظاهر خاوی المحتوی ----- ۱۱۸
الرجل والمرأة یکمل أحدهما الآخر ----- ۱۱۸
لماذا کان نصیب المرأة من الإرث نصف نصیب الرجل؟ ----- ۱۲۰
لماذا وضع الإسلام الطلاق بید الرجل؟ ----- ۱۲۰
الإصلاح الزراعی فی الإسلام ----- ۱۲۱
الإصلاح الزراعی فی الإسلام ----- ۱۲۱
القریة فی الاستعمال القرآنی ----- ۱۲۲
معنی البرکة ----- ۱۲۲
لنزول البرکات سببان؛ تکوینی وتشریعی ----- ۱۲۲
مثال البرکات التکوینیة ----- ۱۲۲
الإصلاح الزراعی فی الإسلام لا غیره ----- ۱۲۳
الإسلام أفضل نظام ----- ۱۲۳
پی نوشتها ----- ۱۳۶
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۴۸

نفحات الهداية

اشارة

اسم الكتاب: نفحات الهداية

المؤلف: حسينى شيرازى، صادق

الموضوع: فقه

اللغة: عربى

عدد المجلدات: ۱

الناشر: ياس الزهراء(ع)

مكان الطبع: قم

تاريخ الطبع: ۱۴۳۱ ق

الطبعة: الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين

إلى قيام يوم الدين

دعاء

«ما لى كُلّما قُلتُ قَد صَلُحَتْ سَريرَتى وَقَرُبَ مِن مجالسِ التَّوَّابينَ مجلِسى عَرَضَتْ لى بَليَّةٌ أزَالَت قَدَمى وَحالَتْ بَيْنى وَبَينَ خِدمَتكَ سَيدى، لَعَلَّكَ عَنْ بَابكَ طَرَدتَنى، وَعَن خِدمَتكَ نحَّيْتنى، أو لَعَلَّكَ رَأيتَنى مُسْتَخِفّاً بحَقِّكَ فَأقْصَيتنى أو لَعَلَّكَ رَأيتَنى مُعْرِضاً عَنْكَ فَقَلَيتَنى أو لَعَلَّكَ وَجَدتنى فى مَقام الكاذبينَ فَرَفَضْتَنى أو لَعَلَّكَ رَأيتَنى غَير شَاكر لنَعمَائكَ فَحَرَمْتَنى أو لَعَلَّكَ فَقَدْتَنى من مجالس العُلَماء فَخَذَلتَنى أو لَعَلَّكَ رَأيتَنى فى الغَافلين فَمِن رَحمتكَ آيَستَنى أو لَعَلَّكَ رَأيتَنى آلفُ مجالس البَطّالين فَبَينى وَبَينهم خَلَّيتَنى أو لَعَلَّكَ لم تحبَّ أن تَسْمعَ دُعَائى فَبَاعَدْتنى أو لَعَلَّكَ بجُرمى وَجَريرَتى كافَيتَنى أو لَعَلَّكَ بِقِلَّةْ حَيَائى منكَ جَازَيتَنى، فَإن عَفَوْتَ يَا رَبِّ فَطالَ مَا عَفَوْتَ عَن المُذْنبين قَبْلى، لأنَّ كَرَمَكَ أىْ رَبِّ يجلُّ عَنْ مُكافَاةْ المُقَصِّرين وَأنَا عَائذٌ بِفَضْلكَ هَاربٌ منْكَ إلَيْكَ، مُتَنَجِّزٌ مَا وَعَدْتَ منَ الصَّفْح عَمَّنْ أحْسَنَ بكَ ظَنّاً» ().

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيّدنا محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

لقد تظافرت الروايات الشريفة فى الدعوة إلى حضور مجالس العلماء للاستفادة من علومهم والنهل من معارفهم والاسترشاد بتعاليمهم الروحية والتربوية والخُلُقية؛ فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «مجالسة العلماء عبادة» ().

وروى عن أمير المؤمنين سلام الله عليه أنّه قال: «العقل ولادة، والعلم إفادة، ومجالسة العلماء زيادة» ().

كما حثّت الروايات الكثيرة على تدوين العلم وتقييده بالكتابة، مثل قوله صلّى الله عليه وآله: «قيّدوا العلم» قيل: «وما تقييده؟» قال: «كتابته» ().

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من مات وميراثه المحابر والأقلام دخل الجنّة» ().

وروى أنّ الإمام الحسن سلام الله عليه دعا بنيه وبنى أخيه فقال: «إنّكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلّموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه فى بيته» ().

ومن مجالس علمائنا المليئة بالمعارف والعبر، المحاضرات العامّة لسماحة المرجع الدينى آية الله العظمى السيّد صادق الحسينى الشيرازى دام ظلّه، فلطالما أتحف مستمعيه وزوّاره – سواء فى لقاءاته العامّة فى المناسبات المختلفة، أو فى المحاضرات الأخلاقية التى كان يلقيها على طلبة العلوم الدينية أسبوعيّاً – بالنكات الخفية والمعارف الدقيقة الكامنة فى كلمات أهل البيت سلام الله عليهم وسيرتهم، فكانت تلك المجالس بما تبثّه من وعى فكرىّ وعقيدى، دروساً ومحاضرات تربويّة ترشد المؤمنين إلى الاقتداء بأهل البيت عليهم السلام والسير على نهجهم عقيدة وفكراً، وأدباً وخُلُقاً.

فمن منطلق العمل بالأحاديث الشريفة الداعية إلى الاستفادة من مجالس العلماء، والأخرى الحاثّة على تقييد العلم، وحرصاً منّا على إيصال ما حملته تلك المحاضرات من المفاهيم الإسلامية الأصيلة إلى أُولئك الذين حرموا من الحضور فيها، باشرنا – فى مؤسّسة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله – بعون الله تعالى وتوفيقه بتدوينها وإخراجها، فكانت «نفحات الهداية» هى المجموعة الأولى، وتضمّ فى الغالب المحاضرات العامّة للسيد المرجع، نضعها بين أيديكم أيها القرّاء الأعزّاء، على أمل أن نوافيكم قريباً بإذن الله تعالى بالمجاميع الأخرى، ونبدأها بإفاضات سماحته فى شرح دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين سلام الله عليه ثم نعقبها بالمحاضرات الأخلاقية التى كان يلقيها سماحته على طلّاب العلوم الدينية أسبوعيّاً ثم المحاضرات الأخرى لسماحته إن شاء الله تعالى.

وفى الختام نوجّه شكرنا لكلّ الإخوة الذين بذلوا جهداً فى هذا المجال، نخصّ بالذكر منهم الأستاذ عبد الرضا افتخارى، والسيد خلدون العسكرى، والأستاذ علاء حسين، والشيخ جاسم الأديب، سائلين الله تعالى أن يسدّدنا وإياهم ويوفّقنا لتقديم المزيد ولكلّ ما يحبّه ويرضاه، وصلى الله على سيّدنا ونبيّنا محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

مؤسسة الرسول الأكرم ? الثقافية

المحاضرة الأُولى●

نبى الإسلام صلى الله عليه وآله خير هاد للبشرية

نبى الإسلام صلى الله عليه وآله خير هاد للبشرية

فى ضوء الآية الكريمة

?ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا?

●ألقيت هذه المحاضرة فى ۲۸ صفر عام ۱۴۲۳ه، بمناسبة ذكرى

شهادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

كيف دخل الناس فى الإسلام أفواجاً؟

مكث نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله فى مكة المكرمة، مدة ثلاث عشرة سنة تقريباً بعد البعثة المباركة، ثم هاجر بعدها إلى المدينة المنورة، إلى أن استشهد صلى الله عليه وآله مسموماً فى مثل هذا اليوم (الثامن والعشرين من صفر).

وخلال هذه السنين الثلاث عشرة، التى لبث فيها النبى الأكرم صلى الله عليه وآله فى مكة، بعد بعثته الشريفة، أحصى المؤرخون عدد الذين دخلوا فى الإسلام، فكانوا زهاء مئتى شخص.

أما فى المدينة المنورة فقد طُبّق الإسلام عملياً، وتوافد الناس إلى الإسلام حتى قال الله تعالى فى القرآن الكريم?: ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً(). ?فخلال هذه المدة القصيرة التى أمضاها رسول الله صلى الله عليه وآله فى المدينة، دخل مئات الألوف من الناس فى الإسلام، وحصل كُلُّ ذلك خلال السنتين أو الثلاث الأخيرة من العمر المبارك للنبى صلى الله عليه وآله، فكيف تحقق مثل هذا الأمر؟

قوانين الإسلام أفضل القوانين كلّها

إن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله هو أكبر وأفضل شخصيّة خلقها الله تعالى، حتى إن الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب سلام الله عليه عندما سئل: أنبيٌّ أنت؟ قال: أنا عبدٌ من عبيد رسول الله صلى الله عليه وآله().

وإن السنّة أو النظام والأحكام والقوانين التى قرّرها نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله للمسلمين، مثلها مثل النبى صلى الله عليه وآله نفسه؛ فهى أفضل وأكمل القوانين والأحكام، ويجب أن تكون كذلك؛ أى يجب أن يكون هناك تناسب من حيث الأصل والسنخية، وهذا أمرٌ حاصل.

بيد أنه طيلة حضور نبى الإسلام صلى الله عليه وآله فى مكة - بعد البعثة الشريفة - لم تخرج برامجه وتعاليمه وسياسته إلى العلن؛ فأكثر أقواله لم تطبق عملياً، لأنّ أرضية التطبيق لم تكن مهيَّأة بعد، ولم تتوافر بيده صلى الله عليه وآله حيال ذلك خيارات أُخرى؛ لكى يتسنّى معرفة نوع تعامله صلّى الله عليه وآله مع الناس، سواء فى الحرب أو السلم، مع أنصاره أو مع أعدائه؟

حتّى اتضح جميع ذلك فى المدينة، حين شرع صلّى الله عليه وآله فى بناء نواة الدولة الإسلامية المباركة، وزال طوق الحصار عنه وعن المسلمين، عندها سرت فى الأُمّة الإسلامية عافية الشريعة السمحاء والسنّة المطهّرة بأحلى صورها وأصدق معانيها، فعكس بذلك صلّى الله عليه وآله الصورة المثلى لأمثل دولة فى الوجود. وهو المنهج نفسه الذى طبقه الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، على مدى خمس سنوات أيام حكومته بعد خمس وعشرين سنة مضت على شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله.

اقرأوا سيرة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله، لتلحظوا المئات من النماذج، التى لو جُمعت وضُمّت بعضها إلى بعض، فإن أى شخص غير مسلم، حتى لو كان متعصّباً - ما لم يكن معانداً- سيتأثّر بها، ويعتنق الإسلام.

فإذا ما طُبّق، اليوم أو أىّ يوم آخر، منهج النبى الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، فى بيوتنا، ومحالِّ عملنا، وفى شركاتنا وبلداننا، لتحقّق ما تحقق فى العالم قبل ألف وأربعمائة عام، وهو تأويل قول الله عز وجل?: ورأيتَ الناس يدخلون فى دين الله أفواجا، ?وسترون أن ملايين الناس سيدخلون فى الإسلام.

كيف كان منهج نبيّنا صلى الله عليه وآله؟

فى تاريخ نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله، أمثلة ونماذج كثيرة توضّح الحقيقة التى أشرنا إليها آنفاً. وكان أخى المرحوم سماحة آية الله العظمى السيد محمد الحسينى الشيرازى قدس سره يؤكد على مخاطبيه تكراراً ومراراً خلال أحاديثه وكتبه، وكما سمعتم أنتم منه غير مرة، أن يقرأوا تاريخ نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله، ليكتشفوا جوانب العظمة فيه، ويدركوا سرّ التحوّل العظيم الذى أحدثه حتى قال الله تعالى فى القرآن الحكيم?: ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً ?فإن هذا الدخول لم يكن معجزة وعملاً غير طبيعى، بل

كان نتيجة طبيعية لنهج وطريقة وأسلوب نبى الإسلام صلى الله عليه وآله.

فمن هم أولئك الناس الذين دخلوا فى دين الإسلام، أفواجاً وجماعات، على عهد النبى الأكرم صلى الله عليه وآله؟ لقد كان عددٌ كبير منهم من عبدة الأصنام، كما أنّ عدداً من هؤلاء كانوا نصارى، لم يأتوا أفراداً وآحاداً، بل كانوا يأتون جماعات ويعتنقون الدين الإسلامى؛ ومنهم اليهود أيضاً، لا سيما أولئك الذين كانوا داخل المدينة المنورة وفى ضواحيها، هؤلاء كأولئك دخلوا فى الإسلام أفواجاً وجماعات.

فكيف اعتنقوا الإسلام دفعة واحدة؟ ماذا رأوا؟ وماذا سمعوا؟

فإذا ما وُجِدَت اليوم مثل تلك المشاهدات، وتلك المسموعات، ومثل تلك المعتقدات، فى أية نقطة من العالم - سواء فى الغرب أو فى الشرق - لانقاد الناس إلى الإسلام بشوق ورغبة، ولأصبحوا مسلمين، وفى الوقت نفسه لتعزز عزم المسلمين ورسخ اعتقادهم، وسعوا حثيثاً فى هداية الآخرين.

إن حياة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله تزخر بالكثير من النماذج المؤثّرة، فاقرأوا تاريخه صلى الله عليه وآله وقوموا بعرض العشرات من تلك النماذج على النصارى واليهود والمشركين والملاحدة، عندها سترون إسلامهم، كما أن أى مسلم سيتعزز إيمانه، وسيكون سبباً لهداية الآخرين، بعد الاطلاع عليها.

لو طبقتم ذات المنهاج الذى كان فى صدر الإسلام، داخل أسركم، فإن جيرانكم وأقاربكم والذين لديكم معهم روابط أسرية، سيحصل لديهم الاعتقاد بالتدريج؛ لو كانوا كفاراً فسيصبحون مسلمين، ولو كانوا غير محبين لأهل البيت سلام الله عليهم، فسيصبحون من محبيهم، ولو كانوا غير متدينين، فسيصبحون متدينين؛ ذلك لأن مناهج الإسلام وأحكامه وقوانينه عظيمة ورائعة.

نموذج من قوانين الدولة الإسلامية

أقدّم لكم نموذجاً واحداً من طريقة عمل رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ورد ذكره فى كتب الحديث عند العامة والخاصة، بل رواها غير المسلمين أيضاً.

هذه الرواية التى سأنقلها لكم، لو عُرضت على أى شعب، أو أتباع أى دين أو مذهب أو بلد فى الكرة الأرضية فسيتغيرون حتماً إذا ما حصل لديهم التصديق أو الاعتقاد بها.

تقول الرواية: فى الوقت الذى كان نبى الإسلام صلى الله عليه وآله فى المدينة المنورة، وكان يتولّى سائر الأمور والشؤون، بصفته رئيساً للحكومة، أعلن صلى الله عليه وآله أنه: من ترك ديناً أو ضياعاً فعلىّ، ومن ترك مالاً فلورثته() فماذا يعنى ذلك؟

إن قضية (الضريبة على الإرث) متداولة اليوم فى أكثر دول العالم، بل هى موجودة حتى فى الدول التى تدعى بأن لديها أفضل وأرقى القوانين.

إن قانون (الضريبة على الإرث) لم يشرّع حديثاً، بل يعود إلى ما قبل الإسلام، حيث كان رائجاً فى أوساط المشركين. ففى قوانين وأحكام المشركين قبل الإسلام - وكذلك الديانتين اليهودية والنصرانية المحرفتين طبعاً - كان يُعمل بمثل هذا المرسوم، فإذا ما مات شخص وترك مالاً، فإن رئيس الحكومة أو العشيرة، أو أى شخص يتمتع بسلطان، يأخذ قسماً من هذه الأموال، كضريبة على الإرث.

أما فى الإسلام فلا وجود لشىء اسمه (الضريبة على الإرث) بمقتضى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله المذكور آنفاً.

ويقول صلى الله عليه وآله أيضاً: ومن ترك دَيْناً أو ضياعاً فإلىَّ أو علىَّ () أى من مات ولم يترك مالاً، وكان فقيراً، وخلّف أسرة لا تجد ما تعيش به، ف(إلىَّ وعلىَّ)، أى إن نفقتهم على حاكم الدولة الإسلامية.

حقّاً إنه لا وجود لمثل هذا القانون فى أى مكان من العالم، فحتى الدول الثرية والدول التى تدعى بالمتمدنة، ليس عندها مثل هذا القانون الرائع.

لا رفاهية إلا فى الإسلام

فهل يوجد مثل هذا القانون، حتى فى أكثر الدول ثراءً فى عالم اليوم، بحيث يتحمل الحاكم الأعلى دَيْن المتوفى؟ نعم قد يتّفق أحياناً، بعد مراجعات مضنية فى الدوائر الحكومية، أن يحصل الورثة على جزء يسير من المال، ولكن لا وجود لمثل هذا الأمر (ضمان الدَّين)، كحالة قانونية، فى مكان من العالم.

هناك نقطة لا بد أن نشير إليها، وهى أنه يوجد اليوم فى بعض الدول قدر من الضمان الاجتماعى. وفى بعض الدول الغنية، هنالك قانون يمنح الأسرة الفقيرة التى فقدت معيلها نصيباً من المال، ولكن ليس بالقدر الذى يكفى لسدّ رمق تلك الأسرة.

ثم، لو فرضنا أن إحدى الدول أعلنت هذين المطلبين:

١. إلغاء الضريبة على الإرث.

٢. إذا مات شخص وخلّف أسرة فقيرة، فإن الدولة تتحمل نفقتها، وإذا كان مديوناً أدّت الدولة دينه.

ألا تعتقدون أن الكثير من الناس، من سائر نواحى الدنيا، سيتركون أوطانهم ويهاجرون إلى ذلك البلد، ليكونوا من مواطنيه؟

ورغم أنه لا وجود اليوم لمثل هذا الأمر، إلا أنكم تلاحظون كم من الناس، من البلدان الإسلامية وغيرها، يهاجرون إلى الدول التى تتمتع برفاه اقتصادى وأمنى نسبى، أو التى فيها ضغوط أقلّ بقليل من غيرها، مهما تكن نسبة التدين فيها.

لكن المتيقّن على نحو الإجمال: أنه يتعيّن فى الإسلام، على إمام المسلمين، تأمين نفقة الأسر الفقيرة، إلى حدٍّ كافٍ، وأداء ديونها.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال ...: فعلى الإمام أن يقضيه، فإن لم يقضه فعليه إثم ذلك().

إن نبى الإسلام صلى الله عليه وآله قدّم هذه الهدية إلى العالم، وفيها سعادة البشرية.. وهذا ما سيحصل ثانية حين يظهر وليّ الله الأعظم الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه، ويتحقق الوعد الإلهى (ليظهره على الدين كله).

وبديهى أنه ليس مراد النبى صلى الله عليه وآله من «إمام المسلمين» الإمام المعصوم، ذلك لأن الإمام المعصوم لا يرتكب ذنباً، بل المقصود من الإمام فى هذا الحديث الشريف هو من بيده مقاليد الحكومة، ويملك مثل هذه الإمكانات.

اليهود يعتنقون الإسلام

هناك رواية عن الإمام الصادق سلام الله عليه، تبيّن ما قاله نبى الإسلام صلى الله عليه وآله، وهى موجودة فى كتبنا، كما أنها جزءٌ من مفاخرنا؛ إذْ إن لدى أئمة أهل البيت سلام الله عليهم أشياء لا يملكها أحدٌ من الناس.. غير أنه من المؤسف أنه يوجد بيننا من لا يعرف كثيراً من هذه المفاخر.

يقول الإمام الصادق سلام الله عليه: وما كان سببُ إسلام عامّة اليهود إلا من بعد هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّهم أمنوا على أنفسهم وعلى عيالاتهم.()

حينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتصدى لمهامه، كرئيس حكومة، فى المدينة المنورة، أعلن تلك الجمل المعدودة، وطرحها كقانون، وعلى أثر هذا الإعلان، دخل الكثير من اليهود، أو عامتهم، فى الإسلام؛ ذلك لأن من طبيعة اليهود اكتناز الثروات، فوقع فى خلدهم أن الإسلام دين جيّد، فاستحسنوا الدخول فيه، ولعلّهم فكروا على هذا النحو: إذا كنّا أثرياء ومتنا، فإن رئيس الحكومة الإسلامية لن يأخذ من أموالنا شيئاً، وسيرثها أبناؤنا وسائر الورثة كاملةً غير منقوصة. أما إذا كنّا فقراء ومتنا، فإنه لا مثار للقلق فى هذه الحالة أيضاً، لأن رئيس الحكومة الإسلامية سيؤمّن كفاف العيش لأسرنا، كما أنه لو متنا وكانت علينا ديون، فإن الدائنين لا يلاحقون أبناءنا والورثة، لأن نبى الإسلام صلى الله عليه وآله يقول: فإليَّ وعليَّ. لذا فإن اليهود الذين تحدّث عنهم القرآن الكريم بقوله: ?لتجدّن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود () ?دخلوا فى الإسلام آحاداً وأسراً وجماعات.

صحيح، إن أغلب أولئك اليهود دخلوا الإسلام لأجل المال، ولكن أبناءهم وذراريهم رأوا النور بين أظهر المسلمين ونشأوا وترعرعوا فى كنف الإسلام؛ ولذلك فإن عدداً من علماء المسلمين من نسل أولئك اليهود أنفسهم الذين أسلموا فى ذلك اليوم.

ما تقدم نموذجٌ واحدٌ من مئات النماذج فى تاريخنا الإسلامى.

الإسلام دين الحقّ والصدق

فلو علم النصارى أن الإسلام حق وصدق، وليس لفظاً مجرداً فقط بل هو عمل أيضاً - كما هو شأن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله، والإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب سلام الله عليه - أفلا يصبحون مسلمين؟ وكذلك اليهود إذا ما صدقوا بأن تلك هى حقيقة الإسلام، أفلا يؤول أمرهم إلى أن يصبحوا مسلمين؟

ألا يكفى هذا النموذج وحده ليحوّل النصارى واليهود والبوذيين وسائر الكفار إلى مسلمين؟

كيف غيّر رسول الله صلى الله عليه وآله أولئك الناس، وصيّرهم مسلمين؛ حتى تحقق قول الله تعالى?: ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً؟ ?ولماذا لم يتحقق مثل هذا الأمر - دخول الناس أفواجاً فى الإسلام - خلال الثلاث عشرة سنة التى أمضاها رسول الله صلى الله عليه وآله فى مكة المكرمة بعد البعثة الشريفة، غير أنه حصل ذلك أثناء السنوات التسع وبضعة أشهر التى عاشها صلى الله عليه وآله فى المدينة المنورة، حيث أقبل الناس أفواجاً وجماعات على الدين الإسلامى؟

وإذا ما تهيأت الأرضية نفسها فى أية منطقة من مناطق العالم - بما فيها بلاد الكفر وفى أىّ زمان، وأُعلن هذا الأمر، وطبِّق على أرض الواقع، لتحوّل سكان تلك البلاد إلى الإسلام.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل إنسان، وصاحب خير منهج، فمن ذا الذى لا يحب أن يتبع المنهاج الأفضل، أو ينتسب إلى النظام الأمثل؟!

إن العزة والكرامة الإنسانية، والضمان الاجتماعى الذى طبّقه نبى الإسلام صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه عملياً، لا يوجد نظير له فى مكان من العالم، كما لا وجود لأى قانون يضاهى القوانين الراقية فى الإسلام.

إن أبا ذر الغفارى كان شابّاً مشركاً، فما الذى جعله يعتنق الإسلام؟ ماذا رأى حتى أصبح مسلماً، وإنساناً مثالياً؟ وكم هى كثيرة آثاره التى بقيت خالدةً، حيث إن هناك المئات من علماء الشيعة الكبار، هم ثمرة جهد أبى ذر رضى الله عنه. هؤلاء رأوا وصدقوا..

التأمين الاجتماعى لأول مرّة فى العالم

كانت الحكومة الظاهرية لبضع سنوات بيد الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، عندما كان فى الكوفة، وكانت الكوفة مدينة كبيرة، وبحسب ما أثبته بعض المؤرخين، فإن مساحتها كانت تتجاوز الخمسمائة كيلومتر مربع، والبعض قالوا إن مساحتها أكثر من ذلك، وكانت تمثّل عاصمة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه.

روى فى أحوال أمير المؤمنين سلام الله عليه، أنه خلال الأربع سنوات وبضعة أشهر وهى مدة حكومته الظاهرية سلام الله عليه حدث أمر لمرة واحدة فقط، لم يذكر التاريخ غيره، ولا يوجد فى سائر الكتب ما يشير إلى أن تلك الحادثة تكررت فى زمان حكومة الإمام سلام الله عليه.

تقول الرواية إنه ذات يوم كان أمير المؤمنين سلام الله عليه يجتاز فى أحد شوارع الكوفة، فرأى شخصاً يتكفف، فقال: ما هذا؟ فأجابه بعض من لا يعرف حقيقة الإسلام، قائلاً: هذا نصرانى.. قد هَرِمَ وصار لا يقوى على العمل، فهو يتسوّل!!

وربما تصور ذلك المجيب أن الأمر يختلف عند الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، إذا كان المتسول غير مسلم، والحال أنه فى القانون الإسلامى لا يختلف الأمر من هذه الجهة.. الناس اليوم لا يعلمون هذه القضايا، وقد لا يصدّقون بها، وسيقولون: فلماذا

المسلمون اليوم ليسوا على هذه الشاكلة؟

لكن الإمام أمير المؤمنين جعل يلوم أصحابه على ما رأى من حال ذلك النصرانى، وقال: استعملتموه حتى إذا كبُر وعجز منعتموه! أنفقوا عليه من بيت المال().

فأى نصرانى، أو أى يهودى، بل أى عابد وثن تعرضون عليه مثل هذا النموذج، ثم لا يتغير؟! إذا صدّق بذلك، فلا بد أن يتغيّر، ويؤثّر فى أسرته ويجعلها تتغيّر أيضاً.

هل يوجد بلدٌ فى العالم اليوم يخلو من المتسولين؟ لو ذهبتم إلى أغنى بلد فى العالم لوجدتم فقراء ومتسولين.. وبالطبع، فإن الأمر يتفاوت من بلد إلى آخر؛ فهناك بلد فيه متسولون وفقراء أكثر، وآخر أقل.. وهكذا فأنتم تلاحظون أنه حتى فى أكثر بلدان العالم تقدماً، وفى ظل أفضل القوانين العصرية، يوجد متسولون، فى حين لا تجد مثل هذه الحالة فى الإسلام، بل لا معنى لوجود حالة تسول فى بلد إسلامى!

الإسلام للدنيا والآخرة

الإسلام لا يتعلق بالآخرة فقط.

بل الإسلام يعنى: سعادة الدنيا أيضاً.

يعنى: الأمان.

يعنى: الاقتصاد السليم.

يعنى: السياسة السليمة.

يعنى: المجتمع النظيف.

يعنى: أن يكون كل شىء صحيحاً وسالماً.

ورسول الله صلى الله عليه وآله نفسه، حينما كان فى المدينة المنورة، بل حتى عندما كان فى مكة المكرمة ولم يكن وقتها مبسوط اليد، أعلن: فأجيبونى تكونوا ملوكاً فى الدنيا وملوكاً فى الآخرة()، ومعنى ذلك أنه تعالوا ادخلوا فى الإسلام، لتجدوا سعادة الدنيا والآخرة؛ أى تصبح الدنيا بين أيديكم، وفى الآخرة يكون مصيركم إلى الجنة أيضاً.

كما أن إسلام أمير المؤمنين سلام الله عليه، يعنى الإسلام الصحيح؛ أى إسلام القول والعمل، وليس إسلام الاسم فقط، كما عبّر رسول الله صلى الله عليه وآله عن إسلام أقوام: ويأتى على أمتى زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه().

لهذا أمر أمير المؤمنين سلام الله عليه فى شأن ذلك النصرانى المتكفف، أن يُجرى له من بيت المال راتب يكفيه لمعيشته.

أجل، إن نبى الإسلام صلى الله عليه وآله قدّم إلى العالم هذه الهدية التى فيها سعادة البشرية.. وحين يظهر صاحب العصر والزمان ولى الله الأعظم الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه، سيتحقق الوعد الإلهى? ليظهره على الدين كله () ?وتنتشر راية الإسلام على كل أرجاء الكرة الأرضية، ويصبح الجميع مسلمين لله تعالى.

وصيتان فى مجال العمل الصالح

فى هذه المناسبة أقدم للإخوة وصيتين، وأرجو أن يسعوا للعمل بهما إن شاء الله تعالى:

الأولى: ما كان يؤكده أخى المرحوم (سماحة آية الله العظمى السيد محمد الحسينى الشيرازى طاب ثراه) تكراراً ومراراً: أن يجهد كل واحد منكم فى إقامة مجالس العزاء والمشاركة فيها على مدى السنة، فهذا الجهد المبارك، لن يذهب سدىً حتى قدر رأس إبرة منه؛ وسيكون ذخراً لكم، ويثبت فى سجلّ حسناتكم، إن شاء الله تعالى.

فبعد انقضاء شهر صفر، حاولوا درك هذا التوفيق العظيم، وأرجو أن توصوا الآخرين بذلك، وتتواصوا فيما بينكم، وهو أن كلاً منكم – سواء كان ربّ أسرة وعنده عائلة، أم ما زال فتىً يافعاً– عليه أن يخصص ساعتين أو ساعة واحدة، أو حتى نصف ساعة، لأجل الإمام أبى عبد الله الحسين سلام الله عليه.

فى منزلك الشخصى اعقد مجلساً لسيد الشهداء سلام الله عليه، وابدأ من الصفر.

وإذا كان أحدكم فقيراً ولا يملك شيئاً، فليعمل على النحو الذى يتناسب مع وضعه الاقتصادى، كأن يشعل شمعة أو ينير سراجاً باسم الإمام الحسين سلام الله عليه لمدة دقائق كل أسبوع، وسط الأفراد الذين يكونون معه فى بيته.

وإذا أتيحت لكم فرصة أفضل، وحالفكم التوفيق، فادعوا جيرانكم وأقاربكم وسائر المؤمنين لمثل هذا الأمر.

اسعوا لئلا يمضى عليكم أسبوع، دون أن يكون فى بيوتكم ذكرٌ لمصيبة الإمام الحسين سلام الله عليه؛ ففى هذا بركة الدنيا والآخرة.

وحتى إذا كنت عضواً أو مسؤولاً لهيئة حسينية، وينعقد كل ليلة وكل يوم، مجلس ذكر لمصيبة أبى عبد الله سلام الله عليه فى هيئتك، فلا تدَع منزلك يخلو من سراج باسم الإمام الحسين. اسع لتحقيق هذا الأمر، وأن يكون لك مثل هذا التوفيق الدنيوى والأخروى.

إن مجلس ذكر أبى عبد الله الحسين سلام الله عليه، هو رأس الخيط الذى أوصل ويوصل إلى الكثير من التوفيقات.

عليكم بالشباب

الوصية الثانية: صونوا شبابكم وفتيانكم، واعملوا على أن يكونوا مؤمنين ومعتقدين بالله والرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت سلام الله عليهم. ومهما بلغوا من اعتقادهم، فاعملوا على زيادة هذا الاعتقاد لديهم، بل وفروا وسائل وأسباب ذلك.

علينا أن نعرّف الشباب والفتية بنبى الإسلام صلى الله عليه وآله وأهل بيته سلام الله عليهم، بالنحو والكيفية التى عرفّوا بها أنفسهم سلام الله عليهم، وبالطريقة نفسها التى عرّف بها القرآن الكريم شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله، وحقيقة الأئمة الأطهار سلام الله عليهم، وليس عبر كلمات الإفراط والتفريط، التى تصدر من بعض الجهات المضللة وهى تريد أن ترفع مقام الأئمة الأطهار سلام الله عليهم إلى أكثر من الحد الواقعى، أو تهبط بهم إلى ما دون ذلك، لا ـ يجوز أن تنسبوا حتى صفة واحدة من صفات الله عز وجل الثبوتية إلى الأئمة الأطهار سلام الله عليهم.

أطلعوا الشباب على حقيقة مسألة العصمة، ومسألة علم الغيب، والمسائل التى تُعدُّ من المسلّمات والقطعيات المتعلقة بمقام الأئمة المعصومين سلام الله عليهم.

الإمام الصادق سلام الله عليه يتبرّأ من المفترين

يُروى أن شخصاً منحرفاً اسمه محمد بن مقلاص ويكنى بأبى الخطّاب، كان يتظاهر بالإسلام، وهو فى حقيقته لم يكن مسلماً، حشر نفسه بين أصحاب الإمام الصادق سلام الله عليه، وأخذ يتردد فيهم مدةً، وبمرور الوقت تعلّم بضع كلمات.

وبعد مضى زمان، صار يعرّف نفسه للناس على أنه ينوب عن الإمام الصادق سلام الله عليه، ويطرح مسائل معيّنة. وذات يوم ادّعى بأن الإمام الصادق سلام الله عليه هو الله، وأنه – أبا الخطّاب – نبيّه، فلما بلغ خبره الإمام سلام الله عليه، لعنه بشدة، وقيل لأبى الخطاب غير مرة بأن الإمام الصادق سلام الله عليه لعنك، لكنه لم يكن يعبأ، وكان يقول فى ذلك: هذا أمر مصطنع، إن الإمام يريد بإنكاره تقديم المصلحة!!

فماذا يصنع الإمام الصادق مع مثل هذا الشخص؟ الأمور لا تسير كلها بالمعجزة، بل لا بد من أن يُمتحن الناس، وإنما تكون المعجزة على قدر إتمام الحجة، وإن نفس وجود الإمام المعصوم، أى الإمام الصادق سلام الله عليه، هو إتمام للحجّة?؛ ليهلك من هلك عن بيّنة()؛ ?وما لم تكن هناك (بيّنة) تكون المعجزة.

ذهب محمد بن مقلاص إلى مكة المكرمة لأداء مراسم الحج، فجاء شخص إلى الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، وقال له: يا بن رسول الله! ذهب ابن مقلاص إلى الحج، وعند الإحرام فى الميقات لبّى باسمك. تقول الرواية: انهمرت الدموع من عينى الإمام الصادق سلام الله عليه، وتغيرت قسمات وجهه، ثم رفع يديه إلى السماء، وراح يتضرّع إلى الله تعالى ويقول: يا رب برئت اليك مما ادعى فىّ الأجدع عبد بنى أسد().

نحن نسأل هنا: ما هو ضرر فعل محمد بن مقلاص على الإمام الصادق سلام الله عليه؟ أ لم يقل القرآن الكريم?: ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى()؟?

إن الإمام الصادق سلام الله عليه يعرف هذه الآية جيّداً، وإن محمد بن مقلاص هو الذى قال ذلك القول بشأن الإمام الصادق سلام الله عليه، والإمام سلام الله عليه نفسه لم يقل ذلك، ولم يدّع مثل ذلك الادعاء، فلماذا إذن يبكى الإمام، ولماذا يضطرب سلام الله عليه؟ ثم أوليس الله عز وجل يعلم بأن الإمام لم يقل ذلك، وهو يعلم السر والعلن؟ كما أن الإمام سلام الله عليه يعلم أيضاً أنه? لا تزر وازرةٌ وزر أخرى... ?

إن محمد بن مقلاص هو الذى اقترف ذنباً، حين لبّى باسم الإمام الصادق سلام الله عليه. والله سبحانه وتعالى يعلم أن الإمام الصادق سلام الله عليه هو ذلك الإمام الذى حين يريد أن يقول (لبّيك) يضطرب، وترتعد فرائصه، ولا يسعفه لسانه فى قولها، لأنه يعلم أنه يتكلم مع الله عز وجل.. لا كما يقولها عامّة الناس، فما أكثر من يقولها ولا يعرف تمام معناها، غير أن الإمام الصادق سلام الله عليه يعلم تماماً ما تعنى كلمة (لبيك).

ولعل بعض من كان حاضراً عند الإمام سلام الله عليه تعجب من استغفار الإمام وتضرعه على هذا النحو، وتصرفه بهذا الشكل. يقول الإمام سلام الله عليه لزيد النرسى وهو راوى الحديث -: ما استغفارى وتضرعى لله سبحانه وتعالى إلا لأستقرّ فى قبرى ()؛ أى لأطمئن فى قبرى.

بعض الناس زعموا أيضاً أن السيد المسيح سلام الله عليه، هو الله، والقرآن الكريم يشير إلى أنه فى يوم القيامة، وفى ساحة العدالة الإلهية الواسعة، يُسأل السيد المسيح سلام الله عليه فى حضور الخلائق?: أأنت قلت للناس اتخذونى وأمّى إلهين من دون الله().?

إن الله تعالى يعلم أن عيسى سلام الله عليه لم يقل ذلك، ولعل الله عز وجل يريد أن يدين أولئك الذين زعموا تلك المزاعم الباطلة لأغراضٍ وأمراضٍ فى نفوسهم.

قال بعض العلماء: قد يكون معنى تألم الإمام الصادق سلام الله عليه من عمل محمد بن مقلاص، واستغفاره وتضرعه إلى الله، ومعنى قوله: «لأستقرّ فى قبرى» هو: أنا أستغفر وأتضرع إلى الله، حتى لا يُقال لى فى قبرى: أأنت الذى قلت لمحمد بن مقلاص، لبِّ باسمى؟ فالإمام سلام الله عليه لم يرد أن يُسأل حتى مجرد سؤال عن ذلك؛ لأنه يشقّ عليه أن يوجّه له مثل هذا السؤال..

فلا معنى لهذا الكلام غير المناسب، والمبالغ فيه، الذى يُنسب للأئمة المعصومين سلام الله عليهم.. هذا النوع من الكلام يؤذى المعصومين سلام الله عليهم، لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلوّ كغلوّ النصارى فإنى برىء من الغالين().

إن الإفراط بالوصف، والمبالغة فى الكلام، ليس هو الطريق لمعرفة الإمام المعصوم سلام الله عليه؛ مثل هذا الأسلوب قد يؤدى بصاحبه إلى أن يلعنه المعصومون سلام الله عليهم، وقد يلعن الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف من يجعل الإمام المعصوم سلام الله عليه فى منزلة فوق منزلته الواقعية.

إن الصفات الثبوتية هى الصفات الخاصة بالله تعالى وحده، ولا يمكن لأى مخلوق أن يتصف بها لتعلقها بذات الله المقدسة وحسب.

قال الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: هلك فىَّ رجلان محبّ غال، ومبغض قالٍ().

عود على بدء

إذن عليكم أن تصونوا الشباب، وهذا واجب الآباء والأمهات أوّلاً، وكذا الأعمام والأخوال والأقارب، وهو واجب الشباب المتدين أيضاً.

اهتموا بالمجالس الدينية وروّجوا لها وكذلك مجالس أهل البيت

سلام الله عليهم، ومجالس القرآن، وهكذا الكراسات الدينية، التي تقوم بتعريف أصول الدين وفروعه، وتعريف المعاد والآخرة، وتعريف الله الكبير المتعال.. لتنتقل الاعتقادات الصحيحة إلى الأولاد والبنات.

أي شاب تعرفونه، حافظوا عليه بكلّ طريق صحيح، وتحدثوا معه بأساليب ليّنة مسالمة، وعاودوا الحديث معه مرة بعد أخرى.. وإذا تحدثتم مع شابٍ لعشر مرات، ولم ينجذب إليكم، فحدثوه للمرة الحادية عشرة، وإلى المرة العشرين وهكذا.. المهم ألا تيأسوا؛ لأنه كلما ضاع شابٌ، تغيّر تاريخ بعينه.. وكلما آمن شاب وصار معتقداً حقاً، فمن الممكن أن يهتدي بواسطته، في المستقبل، آلاف الشباب.

أؤكد مرة أخرى على الوصيتين:

الأولى: أقيموا مجالس أسبوعية باسم الإمام الحسين سلام الله عليه، في بيوتكم.

الثانية: الشباب.. الشباب.. صونوا الشباب، وصححوا عقائدهم..

أتمنى، ببركة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت المعصومين الأطهار سلام الله عليهم، أن تُقبل أعمالكم جميعاً، وتُثبّت في صحائف حسناتكم، وأن توفَّقوا جميعاً للعمل بهاتين الوصيتين.. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة الثانية●

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و السلامة في الدين

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و السلامة في الدين

اشارة

من خلال قوله عليه السلام

(وفي سلامة من ديني؟)

●ألقيت هذه المحاضرة في ليلة ۲۳ رمضان ۱۴۲۴ه، بمناسبة

ليالي القدر وذكرى استشهاد الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

في الخطبة التي خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان المبارك - ولها أسانيد معتبرة، وإن كان السند المنسوب إلى الشيخ الصدوق رحمه الله أكثر اعتباراً روى أن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله في نهاية الخطبة قائلاً: ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال الرسول صلى الله عليه وآله في جوابه: ياأبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزّوجلّ.

ثم إن الرسول صلى الله عليه وآله بكى بعد ذلك، فسأله الإمام عن سبب بكائه، فأخبره النبي صلى الله عليه وآله أنه سيقتل في هذا الشهر. فسأله الإمام سلام الله عليه: وذلك في سلامة من ديني؟ فأجابه النبي صلى الله عليه وآله: في سلامة من دينك().

و فی روایة أخری أن النبی صلی الله علیه وآله خرج یوماً مع الإمام أمیر المؤمنین سلام الله علیه إلی ضواحی المدینة، و عندما نظر إلیه النبی صلی الله علیه وآله بکی، فسأله الإمام عن سبب بکائه فأخبره صلی الله علیه وآله بما سیجری علیه من بعده، فقال الإمام: فی سلامة من دینی؟ ()

وفی مورد ثالث أن النبی صلی الله علیه وآله أخبره عن عداوة القوم له، وکرر الإمام السؤال نفسه.

فماذا یضمر هذا السؤال؟ إن الإمام أمیر المؤمنین سلام الله علیه یسأل عن سلامة الدین، وهی لفظة مرکبة من کلمتین، بل هی بمثابة کلمة واحدة فی اللغة ولکن یالها من کلمة تحظی بأهمیة کبیرة.

سلامة الدین أهم من کل شیء

لو أُبلغ أحدنا بخبر موته وکان متیقّناً من صحّة الخبر، فکیف سیکون حاله؟

لا شک أن أکثر الأشخاص سیتحسّرون علی فقدهم الحیاة وفراقهم المال والأهل و الولد. أما الإمام أمیر المؤمنین سلام الله علیه فلم یتأسّف أو یتحسّر ولم یحزن ولا فکّر إلا فی أمر واحد وهو سلامة دینه!

لقد أخبر النبی صلی الله علیه وآله الإمام أمیر المؤمنین سلام الله علیه عن الظلم الذی سیقع علیه، وکان الإمام سلام الله علیه ذا شخصیة قویة سواء من حیث الإدراک والعلم، أو من الناحیة البدنیة، والإنسان القوی إذا وقع علیه ظلم، فإنه یقع تحت تأثیر نفسه الأمارة عادة ویسعی للانتقام، وتوسوس له نفسه وتنسیه دینه وتجعله خاضعاً لمشاعر الانتقام ()، ولکنا نری الإمام أمیر المؤمنین سلام الله علیه یختار السکوت من أجل مصالح دینه! لو أن شخصاً أهان واحداً منا، ولم یکن ردّنا له فی صالح دیننا فماذا سنفعل؟ إن السکوت فی مثل هذه الحالة یتطلب مقدمات کثیرة حتی یستطیع المرء أن یعمل وفق مصالح دینه ویدع أهواءه النفسیة جانباً.

لقد ورد مفهوم سؤال الإمام أمیر المؤمنین سلام الله علیه من النبی صلی الله علیه وآله: فی سلامة من دینی؟ فی دعاء الصباح للإمام أمیر المؤمنین سلام الله علیه حیث یقول: فاجعل اللهم صباحی هذا نازلاً علیّ بضیاء الهدی وبالسلامة فی الدین والدنیا ().

إن بلوغ السلامة فی الدین أمر ایجادی وتکوینی واختیاری. آمل أن یکون کلّ منا قادراً علی أن یوجد فی نفسه السلامة فی الدین، فی هذا الشهر الکریم، شهر رمضان المبارک.

ما المقصود بسلامة الدین؟

الدین یعنی الطریق والأسلوب الذی إن اعتقدنا به عُدّ من أصول الدین، وإن عملنا به سمّی فروع الدین، أی الواجبات (کالصلاة والصیام) والمحرّمات (کالغیبة والتهمة) والمستحبات والمکروهات والأخلاق والآداب.

الدین هو ما عبّر عنه الله تعالی بقوله?: إن الدین عند الله الاسلام().?

فما المقصود بالسلامة فی الدین؟ إن القرآن لاعیب فیه، ووصایا الرسول صلی الله علیه وآله وأهل بیته سلام الله علیهم وأقوالهم وأفعالهم وتقریراتهم صحیحة وسلیمة أیضاً، فما هو المراد من السلامة فی الدین إذن؟

إن المقصود هو سلامة الإنسان فی دینه وأن یکون علی نصیب منه.

فی بعض روایات باب النکاح أن النطفة إذا انعقدت فی وقت کذا کان المولود فی سلامة من دینه.

بعبارة أخری إن المعیار الذی یُعرف به سلامة الدین هو فی معرفة مدی استیعاب الإنسان لمفاهیم القرآن وکلمات أهل البیت سلام الله علیهم والعمل والالتزام بهما.

عندما تسأل شخصاً: کیف حالک؟ فیجیب": سالم والحمدلله، "فما معنی" سالم؟ "معناه أن فکره وأعضاء بدنه وجوارحه کلها سالمة، ولو کانت أعصابه متشنجة لم یقل إنه سالم، وهکذا سلامة الدین فهی تعنی أن یکون الإنسان سالماً فی دینه کله.

ولقد أشير أن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه عندما سأل الرسول صلى الله عليه وآله عن أفضل الأعمال فى هذا الشهر، أجابه الرسول صلى الله عليه وآله إنه الورع عن محارم الله. وهذا فى الحقيقة هو الذى يقرّبنا من سلامة الدين. إن الدار المبنيّة قبل عشرين سنة مثلاً ليست نفسها اليوم لأنها استهلكت خلال هذه المدة، وهكذا الطعام الذى يطبخ الآن أو اللباس الذى خيط، والسيارة وكلّ ما يستعمله الإنسان لن يبقى على حاله بعد مرور مدة من الزمن، فكل شىء فى هذه الدنيا إلى نفاد وهو فى طريقه إلى الاضمحلال والتلاشى، أما الإنسان فيختلف حاله عن الأشياء التى أشرنا إليها.

صحيح أن عمر الإنسان وكيانه الظاهرى - أى بدنه - سائر إلى الفناء والزوال، ولكن جنبته المعنوية وروحه، على العكس من ذلك، تسير نحو العروج والتعالى بدل الأفول والنقصان.

هناك بعض الأشخاص يبدون ظاهراً أنهم يقضون حياتهم فى سلامة من دينهم ولكن عواقبهم فى آخر عمرهم تكون إلى شرّ، ويصدق العكس أيضاً.

أسأل الله تعالى أن يجعل كلاً منا قادراً على أن يوجد فى نفسه السلامة فى الدين، فى هذا الشهر الكريم، شهر رمضان المبارك، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة الثالثة

قبس من الغدير

قبس من الغدير

بيان حقيقة عيد الغدير الأغرّ و عظمته

فى ضوء الحديث النبوى الشريف

«يوم غدير خم أفضل أعياد أمتى »...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

عيد الله الأكبر

طبقاً للروايات الإسلامية فإنّ عيد الغدير هو أعظم أعياد الله تبارك وتعالى.

روى عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله أنّه قال: يوم غدير خمّ أفضل أعياد أمّتى وهو اليوم الذى أمرنى الله - تعالى ذكره - فيه بنصب أخى على بن أبى طالب علَماً لأمّتى يهتدون به من بعدى، وهو اليوم الذى أكمل الله فيه الدين وأتمّ على أمّتى فيه النعمة ورضى لهم الإسلام ديناً().

وروى عن عبد الرحمن بن سالم، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟ قال: نعم، أعظمها حرمة، قلت: وأىّ عيد هو جعلت فداك؟ قال: اليوم الذى نصّب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام وقال: من كنت مولاه فعلىّ مولاه. قلت: وأىّ يوم هو؟ قال ...: يوم ثمانية عشر من ذى الحجّة().

فعيد الغدير ليس يوم أمير المؤمنين على سلام الله عليه وحده، بل هو يوم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله أيضاً، بل يجب القول بأنّه يوم الله تعالى، لأنّ مراد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين سلام الله عليه فى طول مراد الله تعالى.

لقد ذكر الله تعالى هذا اليوم فقال?: اليَوْمَ أكمَلتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأتمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتى وَرَضيتُ لَكُمُ الإسْلامَ ديناً(). ?وحسب هذه الآية

الكريمة فإنّ كمال الإسلام حصل عندما أعلنت ولاية على سلام الله عليه كفريضة.

روى عن الإمام محمد الباقر سلام الله عليه أنه قال: آخر فريضة أنزلها الله الولاية? اليَومَ أكمَلتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأتمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإسْلامَ ديناً ?فلم ينزل من الفرائض شيء بعدها حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله().

كما روى عن الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه قوله: وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عزّ وجلّ: اليَوْمَ أكْمَلْتُ ... يقول الله عزّ وجلّ: لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة، قد أكملت لكم هذه الفرائض().

لقد أوحى الله عزّ وجلّ بالأحكام والواجبات الواحدة تلو الأخرى حتى ختمها بالولاية، لأنّه عندما تمّ بيان هذا الحكم، أنزل الله هذه الآية? اليَوْمَ أكمَلتُ ? ... ليعلن أن لا فريضة بعدها. فبعد نزولها وتنصيب أمير المؤمنين سلام الله عليه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله أدرك الناس مراد الله تعالى من الآية الكريمة?: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم()، ?وعلموا أنّ عليهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الامتثال لطاعة أمير المؤمنين وأبنائه الطاهرين سلام الله عليهم.

إذن، كانت فريضة الولاية آخر فريضة أنزلها الله تعالى، ثمّ قُبض النبيّ صلى الله عليه وآله.

الغدير ووفور النعمة

ممّا يثير الانتباه فى هذه الآية الكريمة أنّ الله تعالى قد ربط إتمام نعمته على الخلق بموضوع الولاية، أى كما أنّ تحقّق كمال الدين ارتبط بالولاية فإنّ إتمام النعمة أنيط بإعلانها من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله. والمقصود بالنعمة جميع النعم، ظاهرها وباطنها مثل العدل والمساواة والاتحاد والأخوة والعلم والأخلاق والطمأنينة النفسية والروحية والحرية والإحساس بالأمن، وبعبارة موجزة جميع أنواع العطايا.

لذا، فموقف أولئك الذين سعوا إلى تفسير النعمة فى الآية بالشريعة واعتبارها مجرّد مسألة معنوية محلّ تأمّل ونظر، لأنّ الآية المذكورة لم تتطرّق لمسألة أصل النعمة، بل الحديث يدور حول «إتمام النعمة»، فأينما ورد ذكر إتمام النعمة فى القرآن الكريم كان المراد منها النعم التى يصيبها الإنسان فى الدنيا()، ومن هنا توجد علاقة مباشرة بين ولاية أمير المؤمنين على سلام الله عليه والتمتّع بالنعم الدنيوية، وإحدى الشروط المهمّة والرئيسية للوصول بنا إلى مجتمع الحرية والبناء القائم على أساس العدالة والأخلاق وسيادة القيم والفضائل الأخلاقية الإنسانية أن نسلّم لما بلّغ به رسول الله صلى الله عليه وآله فى يوم الغدير، وأن نقبل عملياً بولاية أمير المؤمنين سلام الله عليه، بعبارة أخرى: إنّ الأخذ بولاية أمير المؤمنين سلام الله عليه، له أثر تكوينى، ويوجب سبوغ البركات والخيرات على الناس من الأرض والسماء.

يقول الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز?: وَلَوْ أنَّهُمْ أقاموا التَوْراةَ وَالإنْجيلَ وَما أنزِل إليهِم مِنْ رَبّهِمْ لأكَلوا مِنْ فوقِهِمْ وَمِن تحْتِ أرجُلِهِم().?

لو أردنا أن نشرح الغدير فى عبارة موجزة نقول: الغدير هو الوعاء الذى تصبّ فيه جميع تضحيات الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وهو مخزن الأحكام والآداب التى أوحى الله تعالى بها إلى رسوله الأمين، وفى إشارة إلى هذه الحقيقة يقول جلّ وعلا?: يا أيُّها الرَّسولُ بَلِّغ ما أنزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإنْ لم تفعَل فما بَلَّغتَ رِسالَتَه().?

والغدير روضة الفضائل والأخلاق والمكارم والمحاسن بل هو المكارم بعينها، ويدين التطور الحضارى والمعنوى له بذلك؛ لأنّه أهمّ عامل فى حفظ كيان الدين والملّة، ويعدّ إنكاره بمثابة إنكار لجميع القيم الإسلامية السامية الممتدّة على أرض الإسلام الواسعة.

إذن كلّ عقيدة لا تغرف من معين الغدير فهى ليست على شيء، والغدير بجوهره وروحه يعنى مدرسة أمير المؤمنين سلام الله عليه التى تصلح لإسعاد البشر أجمع. فأمير المؤمنين سلام الله عليه هو بعد الرسول صلى الله عليه وآله أعظم آيات الله عزّ وجلّ ولا تضاهيه

آيـة، وفى هذا يقول الإمام الصادق سـلام الله عليه للّذى أراد سبر معرفة الله بدون أمير المؤمنين سـلام الله عليه: فليشـرّق وليغرّب()، أى لن يبلغ غـايته ولو يمّم وجهه شـرقاً وغربـاً. إنّه لمن تعاسـة الإنسـان وسوء حظّه أن يطلب العلم والمعرفـة من غير طريق على وآل على سلام الله عليهم، وهذا العلم، إن حصل، فليس بذاك لأنّه مفرّغ من القيم الأخلاقية والمعنوية، وبعيد عن روح الشريعة.

الغدير والتعاطف مع الناس

إحـدى خصال الإمام على سـلام الله عليه خاصـة فى فترة خلافته، تعاطفه مع الناس، ويتجلّى تعاطفه مع أفقر الناس من خلال عمله وقد قال: ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه().

فهو سـلام الله عليه لم يضع حجراً على حجر، ولم يسكن قصراً فارهاً، بل تحمّل كلّ المصاعب والآلام لئلا يكون هناك فرد فى أقصى نقاط دولته يتبيّغ بفقره لا يجـد حتى وجبـة غذاء واحدة تسدّ رمقه، وهو القائل: ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له فى القرص، ولا عهد له بالشبع(). لذا، فإنّه لمجرد أن يحتمل سـلام الله عليه وجود أفراد فى المناطق النائية من رقعة حكومته جوعى، لم يكن ينام ليلته ممتلئ البطن، وقد حرم نفسه حتى من متوسط الطعام واللباس والمسكن ولوازم الحياة العادية.

أراد الإمام على سلام الله عليه بنهجه هذا تحقيق هدفين:

الهدف الأول: أن يُبعد عنه أى شبهة كحاكم إسلامى، ويسلب منتقديه - هؤلاء الذين أنكروا عليه حتى مناقبه() - أى حجّة تدينه.

الهـدف الثـانى: تـذكير الحكّام المسـلمين بمسؤوليـاتهم الخطيرة تجاه آلام الناس وفقرهم فى ظلّ حكوماتهم، وضـرورة إقامـة العـدل والتعاطف مع آلامهم وعذاباتهم، والسعى بجدّ من أجل تأمين الرفاهية والعيش الكريم لهم.

من هـذا المنطلق، فإن مجرّد احتمال وجود جياع فى أبعـد نقاط الحكومة الإسـلامية يعتبر فى ميزان الإمام على سـلام الله عليه مسؤولية ذات تبعات، لذا فهو عليه السـلام يؤكّد على الحكّام ضـرورة أن يجعلوا مسـتوى عيشـهم بنفس مستوى عيش أولئك، وأن يشاركوهم شظف العيش.

وهنـا تتجلى عظمـة الغـدير أكثر فأكثر، وتسـطع أنوار القيم والتعاليم السامية التى يحملها يوماً بعـد آخر، تلك القيم التى تؤمّن التوازن السليم بين المتطلبات الروحية والعقلية والمادية والمعنوية للبشر، لتحقّق السعادة للجميع أفراداً وجماعات، حكاماً ومحكومين.

مبادئ مدرسة الغدير

وهى مبادئ واسـعة وعميقـة لدرجـة أنّه لا يسـتطيع أحد الإحاطة بها وبكنهها جميعها، إلّا قبسات من إشـعاع فيضـها. ألفت نظركم إلى تلك العبارة الموجزة والبليغة من كلام أمير المؤمنين سـلام الله عليه فى قوله: والله لو أُعطيت الأقاليم السـبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله فى نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته().

النقطة البالغة الأهمية التى تتضـمّنها هذه العبارة أنّ الإمام سـلام الله عليه قد اسـتخدم كلمة «لو» وهى كما يذكر علماء اللغة ليس مجرد حرف شـرط، بل حرف شـرط يدلّ على امتناع لامتناع، أى امتناع الجواب لامتناع الشـرط. يقول الله عزّ وجلّ فى كتابه العزيز?: لَوْ كانَ فيهما آلِهَةٌ إلّا اللهُ لَفَسَدَتا()، ?أى لو كان فى الأرض والسـماء آلهة غير الله عزّ وجلّ لانفرط عقد الكون، وما زال الأمر ليس كذلك، فالسـماوات والأرض باقيتان على حالهما ممسكتان، إذن ليس فيهما آلهة إلا الله. فحرف (لو) سلفاً يدلّ على أن ما بعده من الشرط غير ممكن.

وهكـذا نحو قولنا: لو كان لى جناحان لطرت بهما، فانتفى طيرانى لعـدم امتلاكى جناحين. ف (لو) ابتداءً يدلّ على انتفاء مدخوله، من هنا، يكون معنى قوله سـلام الله عليه (والله لو أعطيت): ... أى أن عصـيانى لله تعالى فى ظلم نملـة بهذا المقدار القليل لا يمكن تحققه حتى إذا كان بإعطائى مقابله الأقاليم السبعة. وهذا المعنى يؤشر عليه حرف (لو).

والإمام سلام الله عليه غير مستعدّ للفوز بملك الأقاليم السبعة فى مقابل معصية الله ولو فى سلب قوت نملة واحدة، ففى القول دلالة على نملة مفردة.

ونقطة ثانية مهمة فى العبارة المذكورة: هى استخدام كلمة «جُلب شعيرة»، وهى قشرة حبة الشعير الرقيقة، والتى تنزع عنها تلقائياً، ولو كان يوجد ما هو أتفه شأناً من جلب الشعير لقارن الإمام سلام الله عليه به. من هنا، فقد أقام الحجّة على جميع الحكّام وولاة الأمر، واضعاً إيّاهم أمام مسؤولياتهم الخطيرة، هؤلاء الحكّام الذين لا يتورّعون عن ارتكاب أى جريمة، فيبيدون الحرث والنسل، ويزهقون الآلاف من الأرواح الزكية البريئة من أجل شبر من الأرض أو مال قليل أو بلوغ المناصب والتمتّع بحطام الدنيا الزائل.

حسب ثقافة الغدير، فإنّ فى سلب النملة جُلب شعيرة معصية، فما بالك بقتل الأفراد بالظّنّة والشبهة! فى النقطة المقابلة، نجد المنطق الأموى والعباسى الذى كان يعاقب الأفراد بتهمة حبّهم لعلى سلام الله عليه، ويقمع الخصوم الفكريين لأدنى شبهة.

والحكام السابقون للإمام على سلام الله عليه أيضاً كانوا يسيرون على هذا النهج نفسه - أى نهج الحكام الأمويين والعباسيين - حيث كانوا يخنقون أصوات المعارضين لأتفه الأسباب، فمثلاً أرسل أبو بكر جيشاً بقيادة خالد بن الوليد للإجهاز على معارضيه، وقد أدّى خالد المهمّة بوحشية وبشاعة بإهراقه دماء فريق من المسلمين فى حروب سمّيت «بحروب الردّة»، وتحت ذريعة محاربة المرتدّين، إلاّ أنّ معظم الذين سفكت دماؤهم من قبل خالد وجيشه كانوا من المسلمين الأبرياء، ولم تكن تهمة الارتداد سوى ذريعة().

بل إنّ الأساليب التّى اتّبعها خالد فى حربه ضدّهم كانت مخالفة تماماً لنهج الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وتعاليم الإسلام، وتتلخص أساليب خالد فى: قتل المسلمين بقذفهم من المرتفعات والأماكن العالية، وحرقهم وهم أحياء، والتمثيل بهم، وقطع أوصالهم، وإلقائهم فى الآبار، فى حين كان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ينهى عن المثلة حتى بالكلب، فى هذا يوصى الإمام على سلام الله عليه أهل بيته محذراً إيّاهم من التمثيل بقاتله، بقوله:.. فإنّى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور(). وهذا غيض لفيض من الفظائع التى ارتكبها خالد وهو منطلق بأمر أبى بكر.

الغدير والمشاعر الإنسانية

بركة أخرى من بركات الغدير هى الوقوف على الجانب العاطفى من شخصية الإمام على وأبنائه سلام الله عليهم الذين نصّ بهم رسول الله صلى الله عليه وآله لخلافته من بعده، ففيهم تتجلّى الرحمة الإلهية على الخلق وهم التجسيد الحىّ لأسمائه الحسنى، حيث ورد فى بعض الروايات أنّ الآية الكريمة?: وَلِلهِ الأسْماء الحُسْنى فادْعوهُ بِها ?نزلت فى شأنهم().

فمن شفقة أمير المؤمنين سلام الله عليه على الخلق أنه أعطى طعامه للأسير واليتيم والمسكين وبات جائعاً هو وزوجته فاطمة الزهراء وولداه الحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين ثلاثة أيام متواليات، ولم يكن طعامهم سوى أقراص خبز. وعلى فراش الشهادة أوصى سلام الله عليه بإعطاء مقدار من الحليب الذى كان يتناوله كدواء إلى قاتله ابن ملجم، وأن لا يُبخس حقّه فى المأكل والمشرب والمكان والملبس المناسب()، بل كان يطالبهم أن يعفوا عن ابن ملجم حيث قال لهم: إن أعف فالعفو لى قربة وهو لكم حسنة فاعفوا، ألا تحبّون أن يغفر الله لكم().

يروى المؤرخون أنّه بعد استشهاد الإمام على سلام الله عليه خطب الإمام الحسن سلام الله عليه الناس فقال: لقد فارقكم أمس رجل ما سبقه الاولون، ولا يدركه الآخرون فى حلم ولا علم، وما ترك من صفراء ولا بيضاء، ولا ديناراً، ولا درهماً، ولا عبداً، ولا أمة، إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله().

أما عثمان بن عفان فقد بلغت أمواله بعد مقتله (۱۵۰) ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما (۲۰۰) ألف دينار، وخلّف إبلاً وخيلاً كثيرة().

فلتقارن هذه الثروة العظيمة التى خلّفها عثمان مع ما تركه الإمام على سلام الله عليه عند استشهاده ليتبيّن لنا البون الشاسع بين المنهجين،

ونكتشف عظمة على سلام الله عليه والغدير أكثر فأكثر. وهنا، ينجلى لنا جانب من السرّ الذى تنطوى عليه عظمة الغدير ومقولة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله باعتباره أهمّ الأعياد.

مسؤوليتنا تجاه الغدير

لكى نعرف طبيعة وحجم المسؤولية التى يلقيها الغدير على عاتقنا، يجب أولاً أن نسأل أنفسنا، إلى أى مدى تعرّف العالم المعاصر على الغدير وسبر أسراره العميقة؟ وإذا كان العالَم يجهل الغدير فمن الذى يتحمّل مسؤولية هذا الجهل؟ وما هى طبيعة المسؤولية التى ينبغى أن نضطلع بها وفق مقرّرات الغدير تجاه المجتمعات الإسلامية؟

فى الحقيقة، لا يحمل الجيل الحالى عموماً تصوراً واضحاً وصحيحاً عن الغدير، و تقع مسؤولية ذلك على عاتقنا نحن فى الدرجة الأولى، فلو أدّينا واجبنا فى شرح فكرة الغدير للناس لكان الوضع أفضل ممّا عليه الآن.

كان علينا أن نوضّح للعالم بأنّ الغدير يعنى تحقيق الرفاهية وتوسيع نطاقها، لبلوغ التقدم والرقى فى عمران المجتمعات الإنسانية، كما يعنى المساواة بين الممسكين بمقاليد الاقتصاد والمال وبين باقى أفراد المجتمع، والقضاء على الطفيلية والعصابات. وحسب ثقافة الغدير، فإنّ المسؤولين عن الشؤون المالية هم المؤتمنون الذين بيدهم عصب الحياة المدنية والذى تدور به عجلة المجتمع.

الخلاصة، إنّ الغدير يعنى ميثاق ولاء الأمر مع الله عزّ وجلّ والذى يحتّم عليهم بأن يجعلوا مستوى عيشهم بمستوى أقلّ الأفراد فى المجتمع، وأن يحاكوهم فى المأكل والمسكن والملبس والرفاهية ... إلخ.

فى الختام، نؤكّد المسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتقنا إزاء الغدير، وضرورة الالتزام بها. ومن أهمّ هذه المسؤوليات فى الوقت الراهن نشر مفاهيم الغدير، ودعوة عموم الناس لينهلوا من هذه المائدة السماوية؛ وفى غير هذه الحالة، لا يوجد أدنى أمل فى كفّ أيدى الحكّام المستبدّين عن المستضعفين، لإنقاذ الإنسانية من هذا الوضع السيّئ والخطير، والوصول إلى ساحل الأمن والرفاهية والعدل والحرية.

إذن، عندما يكون الحديث عن الغدير، فإنه فى الواقع حديثٌ عن المعانى التى يحملها، مجسّدة الروح العظيمة لأمير المؤمنين سلام الله عليه.

بقى أن نتساءل: يا ترى هل سينجب التاريخ حاكماً عادلاً يقتفى أثر الإمام على سلام الله عليه الذى كان يشاطر حتى أضعف مواطنى دولته؟ هنا يتوضّح جلياً مغزى قول الإمام الرضا سلام الله عليه: لو عرف الناس فضل هذا اليوم بحقيقته لصافحتهم الملائكة فى كلّ يوم عشر مرّات().

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

المحاضرة الرابعة●

ماذا خسر العالم بإقصاء الغدير

ماذا خسر العالم بإقصاء الغدير

وقفة مع عبارة الإمام الهادى مخاطباً جدّه أمير المؤمنين عليهما السلام

«وحال بينك وبين مواهب الله لك»

●ألقيت المحاضرة فى ۱۷ ذى الحجة الحرام ۱۴۲۴ فى مسجد الإمام

زين العابدين سلام الله عليه فى قم المقدسة بمناسبة حلول ذكرى عيد الغدير الأغرّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

مقدمة

إن عيد الغدير هو أعظم الأعياد فى الإسلام على الإطلاق، كما ورد فى الروايات! فما هو السرّ فى ذلك؟ بتعبير آخر: ما الذى كان يحدث فيما لو تحقق واستمرّ مفهوم الغدير؟ وما الذى خسرناه إذ أقصى الغدير وطويت صفحته فى التاريخ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال أودّ أن ألفت نظركم إلى أن هناك زيارة للإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه فى يوم الغدير رواها الأكابر من علمائنا عن اثنين من النوّاب الأربعة للإمام الحجة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وهما: عثمان بن سعيد (النائب الأول) والحسين بن روح (النائب الثالث)؛ وكلاهما من أصحاب الإمام الحسن العسكرى، نقلا هذه الزيارة عنه عن أبيه الإمام الهادى سلام الله عليهما.

عندما جلبوا الإمام الهادى سلام الله عليه من المدينة إلى سامراء وكان معه ابنه الحسن العسكرى سلام الله عليهما مرّا على النجف الأشرف فوقفا على قبر جدّهما أمير المؤمنين سلام الله عليه وزاره الإمام الهادى سلام الله عليه بهذه الزيارة() المرجّو أن يواظب عليها المؤمنون كلَّ عام إن شاء الله تعالى.

هذه الزيارة الشريفة تزخر بمضامين ومفاهيم قلّما توجد فى الزيارات الأخرى للإمام وسائر أئمة أهل البيت سلام الله عليهم، ولذلك ينبغى للزائر أن يتوقف عندها ويتأمل فى عباراتها؛ ومن تلك العبارات قول الإمام الهادى سلام الله عليه فى الزيارة مخاطباً جدّه أمير المؤمنين سلام الله عليه: وحال بينك وبين مواهب الله لك. أى صار مانعاً وحائلاً بينك يا أمير المؤمنين وبين المواهب الإلهية لك.

فما هى تلك المواهب التى حيل بينها وبين الإمام؟ هل حيل بينه وبين علمه أم عصمته أم مقامه وإمامته أم درجاته عند الله تعالى؟ وكلّها ثابتة له. لقد حيل بين الإمام سلام الله عليه وبين الحكومة، أى منعوه من الحق الذى وهبه الله تعالى له بخلافة الرسول صلى الله عليه وآله وإدارة شؤون الأمّة الإسلامية.

لكن هذا الحؤول وهذا المنع أضرّا بالمسلمين أنفسهم، فلماذا قال الإمام الهادى سلام الله عليه: وبين مواهب الله لك - فاللام هنا هى لام النفع وقد دخلت على ضمير المخاطب - ولم يقل «للأمّة» مثلاً؟

نقول فى الجواب: لأنّ المولى أمير المؤمنين عليه السلام هو المتفضّل علينا بما وهبه الله تعالى، لذلك لو لم يُقصَ الإمام سلام الله عليه وسُمح له بأن يحكم الأمّة مباشرة خلال هذه الثلاثين سنة التى عاشها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لكانت حكومته امتداداً كاملاً ودقيقاً لحكومة النبى صلى الله عليه وآله، بفارق واحد فقط وهو أنه ليس بنبى كما أخبر بذلك النبى صلى الله عليه وآله نفسه().

وهذا معناه أن كل حالات الخير والعدل التى كانت ستقام منذ ذلك اليوم حتى يوم القيامة، وكذلك دفع كل حالات الظلم التى ما كانت لتقع فيما لو سُمح للإمام سلام الله عليه بممارسة حقه، كان نفعها سيعود للأمّة؛ لعدم تفريطها بمواهب الله تعالى التى وهبها كلّها للإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه.

الإمام على سلام الله عليه مرسى دعائم الحرية فى العالم

بعد بيان هذه المقدمة نعرض سؤالين هامين ونجيب عنهما باختصار:

الأولى: ما الذى كان سيحدث لو أن الغدير تحقَّق وكان الإمام هو الحاكم مباشرة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وماذا خسر المسلمون والعالم بتغييب الغدير وإقصاء الإمام سلام الله عليه؟

الثانية: ماذا ينبغى لنا أن نعمل الآن؟ أى ما هى مسؤوليتنا تجاه ما حدث وقد مرّ عليه زهاء ۱۴۰۰ عام، وما هو واجبنا حسب الأدلّة الشرعية؟

أما عن النقطة الأولى فالكلام كثير والروايات عديدة فى المقام؛ ولو وُفّق أحد الباحثين لجمعها لألّف منها موسوعة وليس كتاباً واحداً، ولكن أُشير هنا إلى بعضها ليتبيّن لنا أننا إذا كنا نشهد اليوم بعض الحرية فى العالم، فى أىّ بقعة من الأرض وبأىّ درجة، فإن الفضل فى ذلك يعود لأمير المؤمنين سلام الله عليه، لأنّه هو الذى وضع أساسها وأرسى دعائمها طبعاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فحديثنا عن مرحلة الغدير وما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله -.

فكلّ من يتمتع اليوم بشىء من الحرية فهو مدين فيها لأمير المؤمنين سلام الله عليه، وكلّ من كان محروماً من الحرية فالسبب فى ذلك يعود لعدم قيام واستمرار الغدير، ولإبعاد الإمام سلام الله عليه عن تحقيق ما أراده الله تعالى ورسوله له.

وإذا كانت هناك اليوم حرية فى الغرب، فهى فى أساسها مدينة للإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، مع فارق أن الحرية الغربية خاطئة ومبتلاة بالإفراط والتفريط فى حين أن الحرية التى طبّقها الإمام سلام الله عليه حرّية صحيحة ومعتدلة.

لنطالع الرواية التالية ثم نقارن مبادئ الحرية عند الإمام سلام الله عليه مع الحريات الموجودة اليوم فى الدول التى ترفع شعار الحرية لنرى أيّهما أعظم.

لقد جاء الإمام إلى سدّة الحكم بعد مرور ۲۵ سنة من الغصب والظلم وغياب العدالة وكبت الحريات، فحتى تدوين الحديث بل روايته كان ممنوعاً يعاقَب مرتكبه وإن كان من أتباع السلطة وأنصارها؛ حتى أن عبد الله بن عمر نفسه لم يستطع أن يروى فى زمن أبيه عمر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله. فى ظلّ أوضاع كهذه حيث الحرية مغيَّبة إلى هذا الحدّ والمشاكل تحيط بالأمة من كلّ جهة استلم الإمام سلام الله عليه زمام الحكم، ترى فكيف تصرّف مع الناس، وما هى حدود الحريات التى سمح بها لهم، سواءً فى عاصمته الكوفة، حيث اختلاف المذاهب والمشارب والأعراق والأذواق، أو فى البصرة بعدما تمرّدت بعض الطوائف ضدّه فى حرب الجمل بقيادة عائشة وطلحة والزبير، أو مع غيرهم من المارقين والقاسطين كالخوارج بقيادة الأشعث بن قيس وأهل الشام بقيادة معاوية؟

عندما حلّ شهر رمضان المبارك فى السنة الأولى من حكومة الإمام نهى صلوات الله عليه أن تصلى النافلة فى ليالى شهر رمضان المبارك جماعةً وأوصى بأن تصلَّى فرادى، كما سنّها رسول الله صلى الله عليه وآله، واحتجَّ سلام الله عليه لرأيه بقوله: «إنه ما زال هناك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من يشهدون أنه صلى الله عليه وآله جاء إلى المسجد الليلة الأولى من الشهر الكريم يريد أداء النافلة فاصطفَّ المسلمون للصلاة خلفه فنهاهم وقال: هذه الصلاة لا تؤدَّى جماعة ثم ذهب إلى بيته للصلاة» ().

ولكن عمر عندما استلم الحكومة قال: «أرى أن يصلّى الناس هذه الصلاة جماعة» (). فصلَّاها الناس كذلك وأسموها بالتراويح.

أما الإمام سلام الله عليه فقد احتجَّ ببطلانها بنهى رسول الله عنها، فإنه صلى الله عليه وآله لم يُجِز أن تصلَّى جماعة ولم يقبل أن يؤمَّ المسلمين فيها وهو المبلّغ للصلاة والمؤسّس لها بأمر الله تعالى، بل قال: تصلَّى فرادى.

ومن هنا كان نهى الإمام سلام الله عليه من أن تصلى النوافل جماعة وأعلن ذلك وأوصى المسلمين أن يصلّوا نوافل الليل فى شهر رمضان فرادى سواء فى المساجد أو فى البيوت.

إلا أن أولئك الذين اعتادوا على أدائها طيلة سنين لم يطيقوا منعها، فخرجوا فى مظاهرات تطالب بإلغاء المنع، وكان شعارهم «واسنّة عمراه»، فماذا كان ردّ فعل الإمام سلام الله عليه؟

انظروا إلى عدالة الإمام والحرية التى يؤمن بها. فبالرغم من أنّه قال شيئاً واستدلّ عليه وكان استدلاله محكماً لم يستطع أن يشكّك فيه حتى أولئك الذين ما برحوا يختلقون الإشكالات الباطلة ويثيرونها فى وجهه، حتى بلغ الأمر بهم أن يعدّوا بعض فضائله رذائل، كما عابوا عليه خلقه الذى هو فضيلة عظيمة فقالوا: «إنّه امرؤ فيه دعابة» ().. حتى أولئك لم يشكّكوا فى الاستدلال الذى طرحه الإمام لإثبات صحّة ما ذهب إليه.

ومع ذلك ماذا فعل الإمام مع المتظاهرين الذين خرجوا ضدَّه؟ هل واجههم بالسلاح؟ هل اعتقلهم وسجنهم، أم نفى أحداً منهم؟ هل أحال بهم إلى المحاكم على أقلّ تقدير؟ كلا ثم كلا. إنه سلام الله عليه لم يفعل أىَّ شىء من ذلك معهم. فلم يقمع المظاهرة ولا

استعمل العنف والقوة ضدهم، بل الأعظم من ذلك أنّه سلام الله عليه استجاب لمطالبهم ورفع المنع الذى أصدره وسمح لهم بممارسة سنّتهم هذه رغم أن تلك السنَّة لم تكن حتى من الباطل المدلَّس بالحق بل كانت باطلاً واضحاً لا شكّ فى بطلانها ولا شبهة، وهو الإمام الحق - كما نعتقد وكما قال الرسول صلى الله عليه وآله: على مع الحق والحق مع على يدور معه حيثما دار() - والحاكم الذى يجوز له أن يُعمل ولايته ويحكم بما رأى كما فعل من سبقه

على رأى القوم على أقلّ تقدير ومع ذلك قال الإمام لابنه الحسن سلام الله عليه: قل لهم صلّوا().

والآن قارنوا هذا الموقف مع ما تدّعيه أرقى الدول التى تزعم أنّها راعية الحرية اليوم. أجل إن المسؤولين فى تلك الدول لا يوجهون بنادقهم للمتظاهرين كما تفعل بعض الدول الإسلامية مع الأسف! ولكن غالباً ما تنتهى المظاهرات بوقوع قتلى أو جرحى واعتقال بعض وإحالتهم إلى المحاكم والسجون.

فما قيمة ما وصل إليه الغرب إذا ما قيس إلى الحرية فى ظلّ حكم الإمام على سلام الله عليه؟ أما فى البلاد الإسلامية فلا وجود حتى لذلك القدر من الحرية الموجودة فى الغرب!

والأعجب من هذا أن الإمام سلام الله عليه منح هذه الحريات للناس فى عصر كان العالم كلّه يعيش فى ظلّ الاستبداد والفردية فى الحكم، وكان الإمام رئيس أكبر حكومة لا نظير لها اليوم سواء من حيث القوة أو العدد، لأن الإمام كان يحكم زهاء خمسين دولة من دول عالم اليوم.

قد توجد اليوم فى العالم حكومة تحكم ما ينيف عن المليار إنسان كالحكومة الصينية ولكنها ليست الأقوى. وقد توجد حكومة تحكم دولة قوية كالولايات المتحدة ولكنها لا تحكم أكبر عدد من الناس؛ أما الإمام على سلام الله عليه فكان يحكم أكبر رقعة من الأرض وأكبر عدد من الناس، وكانت الحكومة الإسلامية يومذاك أقوى حكومة على وجه الأرض، فالإمام سلام الله عليه لم تنقصه القوة، وكان يكفى أن يقول للرافضين: لا، ولكنه لم يقلها وأعلن للبشرية عملياً أنه? لا إكراه فى الدين().?

فلئن كان فى العالم شىء من الحرية اليوم فلا يعود الفضل فيه إلا لإمامنا ومولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه.

كيف تعامل الإمام سلام الله عليه مع مثيرى الحرب ضده؟

لم يبادر الإمام بأية حرب ابتداء، فكُلّ حروبه فُرضت عليه، وأوّلها حرب الجمل، والتى ما إن وضعت أوزارها وهُزم جندها حتى هرب الذين أشعلوا فتيلها واختبأوا فى حجرات إحدى الدور فى موضع من البصرة، فتوجّه أمير المؤمنين سلام الله عليه فى كوكبة من جنوده إلى ذلك المحلّ حتى انتهى إلى الحجرة التى كانت فيها عائشة فعاتبها أولاً قائلاً لها: أبهذا أمرك الله أو عهد به إليك رسول الله صلى الله عليه وآله؟() ثم أمرها بالتهيؤ لإرجاعها إلى المدينة المنورة.

يروى أنه عليه السلام قبل أن ينتهى إلى الحجرة التى كانت فيها عائشة تظاهرت نسوة المحاربين الذين خسروا المعركة وهتفن بشعارات فى وجه الإمام من قبيل: «هذا قاتل الأحبّة» (). ولكن الإمام لم يبالِ بهنَ ولم يُظهر أىّ رد فعل إزاءهن! فعدن إلى التظاهر والهتاف ضد الإمام سلام الله عليه بالشعار نفسه، وكان الإمام يهمّ بمغادرة المكان ولكنه توقف هنيئة ثم عاد وقال جملة واحدة فقط سكتن كلّهن على أثرها.. لقد قال لهن: لو قتلت الأحبة لقتلت من فى تلك الدار - وأومأ بيده إلى ثلاث حجر فى الدار()!

فبالرغم من أن عائشة قد ألّبت على الإمام حتى فرضت عليه الحرب وبالرغم من أنها ومن خرج معها خسروا الحرب وانهزموا وتلبدوا، إلا- أن الإمام اكتفى بعتابها ثم أمر بعد ذلك بإرجاعها مجلَّلة إلى المدينة وأمر أن لا يتعقَّب قادة الجيش المعادى ولا يلقى القبض عليهم ليعدمهم أو يسجنهم أو ينفيهم أو يحاكمهم!

إننا لم نعهد تعاملاً من هذا القبيل فى تاريخ البشر، بل لم نعهده حتى فى هذا اليوم وفى الدول التى ترفع شعارات الحرية وحقوق الإنسان، فإنهم ما إن ينتصروا فى معاركهم الباطلة ويقبضوا على رؤوس الجهة المعادية حتى يسجنوهم أو يحيلوهم إلى محاكم خاصّة

بصفتهم مجرمي حرب أو خونة ومتآمرين وقد يعدمونهم.

نعم، هذه هي الحرية التي نقول عنها لو أن الغدير قد حكم الأمّة طيلة الثلاثين سنة من عمر الإمام علي بعد الرسول صلى الله عليه وآله، لنعمنا بظلّها إلى الآن، ولما شهدنا كلَّ هذه الويلات والمحن منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا وإلى أن يظهر منقذ البشرية الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

كيف تعامل الإمام مع الخوارج؟

بعد أن اضطرّ الإمام سلام الله عليه لخوض معركة صفين وسقط القتلى من الطرفين وكان النصر قاب قوسين أو أدنى من أمير المؤمنين سلام الله عليهم، تدارك الجيش المعادي الأمر بحيلة رفع المصاحف وانطلت حيلتهم على قسم كبير ممن كان يحارب في ركاب أمير المؤمنين عليه السلام فطالبوه بوقف الحرب وهدَّدوه إن لم يفعل. فاضطُرّ الإمام لوقف الحرب كما اضطُرَّ لخوضها وطلب من مالك الأشتر التوقّف عن التقدم، ثم أجبروه على قبول التحكيم ثم اعترضوا على قبوله له بعد ذلك مطلقين شعاراً ينطوي على مغالطة فقالوا: «لا حكم إلا لله» (). وهكذا نشأت فرقة الخوارج من بطن جيش الإمام نفسه!

ولم يكتفِ هؤلاء بمروقهم حتى تظاهروا ضد الإمام أيضاً، ورفعوا في وجهه هذا الشعار عندما دخل المسجد وكان يوم الجمعة وهو إمام وحاكم لأكبر وأقوى دولة على وجه الأرض يومذاك().

ومع ذلك لم يعاقبهم الإمام سلام الله عليه بل لم يسمح لقادة جيشه أن يمنعوهم ولا أحال أحداً منهم إلى القضاء أو السجن؛ مع أنهم كانوا يعلمون كما كان الإمام نفسه يعلم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: علي مع الحق والحق مع علي.

وهذا معناه أن الباطل كان يهتف بشعاراته في وجه الحق، ومع ذلك لم يمنع الحق أصحاب الباطل من حرية التعبير. فأين تجدون مثل هذه الحرية؟ هل عهدتم حرية كهذه حتى ممن يدعي حرصه عليها في هذا اليوم المعروف بعصر الحريات؟

والأعظم من هذا أن الإمام سلام الله عليه لم يسمّ هولاء الذين خرجوا عليه وهتفوا بهذا الشعار في وجهه - ولا رضي أن يسمّوا - بالمنافقين() مع أنهم كانوا أجلى مصداق لهذه المادة، لأن هناك رواية متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلا منافق أو كافر().

إن الذين خرجوا ضدَّ الإمام أمير المؤمنين هم المنافقون الحقيقيون، ولكن سياسة الإمام التي هي سياسة النبي والإسلام ومنهجهما في الحكم هو أن لا يستخدم سيف التخويف هذا ولا يقال عن المعارضين للحكم أنهم منافقون وإن كانوا هم المنافقين حقاً!

فمن أجل إدارة الحكومة ومراعاة المصلحة الأهمّ وملاحظة التزاحم ومراعاة حال الأمَّة والمعارضين أيضاً نهى الإمام أن يقال عنهم إنهم منافقون.

ماذا كنّا سنربح لو تحقق الغدير؟

لو حكم الإمام وتحقّق الغدير لأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم رغداً إلى يوم القيامة. ففي رواية أنّه قال سلمان لأبي بكر: قم عن هذا المجلس ودعه لأهله يأكلوا به رغداً إلى يوم القيامة(). فلفظة «الرغد» تشير إلى الكيف ولفظة «إلى يوم القيامة» تشير إلى كمّ السعادة التي كان سيتحقق فيما لو تحقق الغدير.

فالرغد في اللغة هو المعيشة التي لا ضنك فيها أبداً ولا أدنى ما يعكرها، فلا مرض ولا فقر ولا جهل ولا حروب ولا نزاع ولا قلق ولا مشكلات ولا حبس ولا ويلات. هذا هو معنى الرغد. ولذلك قيل فيه: وإنما العيش الرغد في الجنة().

وهذا معناه أنّه لو كان الإمام يحكم كما أراد الرسول صلى الله عليه وآله لما وُجد اليوم مريض ولا سجين واحد في العالم، ولا أُريقت قطرة دم ظلماً ولا وجد فقير ولا تنازع زوجان ولا قُطع رحم. فهذا هو مفهوم الرغد.

فهل تبيّن لماذا كان الغدير أعظم الأعياد فى الإسلام؟ إن المفاهيم التى ينطوى عليها الغدير لا تتوفر حتى فى عيدى الفطر والأضحى وغيرهما من أعياد الإسلام. فقارنوا بين كلّ الأعياد الإسلامية ومنها الجمعة وبين عيد الغدير وانظروا هل يؤيدنا التاريخ فى كونه أعظم الأعياد أم لا؟

إذن لم يعد يخفى علينا معنى قول الإمام الصادق سلام الله عليه يوم غدير خم ... هو عيد الله الأكبر().

ماذا حدث بإقصاء الغدير؟

والآن بعدما سُلب الإمام حق الخلافة وأُقصى عن الحكومة ولم يُمتثل أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله فى يوم الغدير، فما الذى حدث؟

أقول: بعد جلوس الإمام ۲۵ سنة فى الدار بل منذ السنة الأولى التى أُنكر فيها الغدير عملياً بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، ظهرت المشاحنات والقتل والحروب والظلم بدءاً من الظلم الذى حاق بمولاتنا السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليه وإسقاطها محسناً() ثم بالحروب التى أسماها القائمون بها بحروب الردة واستمراراً بما تلاها من حروب حتى يومنا هذا، حيث قتل الملايين من البشر! كلّ ذلك بسبب إقصاء الغدير وتجاهل قول رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا وليكم من بعدى() أى متولّى أموركم وحاكمكم.

هناك رواية تستدعى التأمل وتؤيد ما ذهبنا إليه؛ مفادها أنه لو تحقق الغدير لما اختلف فى هذه الأُمّة سيفان() أى لما تحارب اثنان وهذه حقيقة واقعية. أما الحروب التى خاضها الإمام فلم تكن لتقع لو تحقق الغدير كما أراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ولكنها فُرضت على الإمام سلام الله عليه من قِبل أولئك الذين مكّنهم الأسبقون الذين لم يروقهم تحقق الغدير.

فصرنا نشهد على مرّ التاريخ حروباً ودماراً وظلماً وفساداً وهتكاً للحرمات حتى آل الأمر إلى ما نشهد اليوم من حروب وتفجيرات وقتل وعنف فى كل بقاع العالم تقريباً، فهذا يقتل ذاك وذاك يظلم هذا، وعمليات خطف وإبادة ودمار فى كل مكان! وهذا ما حذّرت منه مولاتنا السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها بقولها: ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً وزعافاً ممقراً().

بعبارة أخرى: إن الهدف الذى سيظهر من أجله الإمام المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان سيتحقق على يد الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، لو استقاموا على دين النبى صلى الله عليه وآله وائتمروا به.

مسؤوليتنا تجاه الغدير

النقطة الأخرى التى ينبغى التحدث عنها هى مسؤوليتنا تجاه الغدير.

إذا كان العالم لا يعرف الغدير وحقيقته بسبب إقصائه، وحُرم النهل من مبادئه وعطاياه، وحتى بعض المسلمين لم يتعلّم من علىّ سلام الله عليه وابتعد من سيرته، فما هى مسؤوليتنا نحن الذين أدركنا بعضاً من عظمة الغدير ووعينا خسارة البشرية جراء تغييب الغدير؟ وبتعبير آخر: كيف نُحيى الغدير؟

أقول: روى عن عبدالسلام بن صالح الهروى، قال: سمعت أبا الحسن الرضا سلام الله عليه يقول: رحم الله عبداً أحيى أمرنا فقلت له: فكيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس(). والإمام لم يحصر المسألة فى الشيعة أو المسلمين فقط بل قال" الناس "أى كل الناس.

فعالم اليوم يجهل الغدير، وتعاليم أهل البيت سلام الله عليهم بل يجهلها أكثر المسلمين مع الأسف. والمؤسف حقاً أن ترى شخصاً يُحسب من العلماء يعبِّر فى موضع ما عن صلاح الدين الأيوبى بالقائد الإسلامى، مع أنّه حتى محبّوه وأتباعه ومن هم على مذهبه يقرّون أنّه حرق فى واقعة واحدة مدينة بأكملها فأزهق أرواح كلّ سكّانها البالغ عددهم خمسين ألفاً وبينهم النساء والأطفال والشيوخ!!

أرجو الله تعالى ببركة عيد الغدير أن يزيدنا معرفة بعظمة الغدير فنحن لا نعرف منها إلا اللفظ، أما العظمة فالله تعالى يقدّرها ورسوله

وأمير المؤمنين صلى الله عليهما وآلهما. نسأل الله أن يتفضّل علينا بما نستطيع به، أن نؤدى واجبنا تجاه هذه القضية المباركة.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة الخامسة●

أهمية أحكام الله تعالى

أهمية أحكام الله تعالى

فى ضوء الآية الكريمة

?ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل? ...

●حديث سماحته فى شهر ذى الحجة عام ۱۳۹۸ ه، بمناسبة قرب شهر

محرم الحرام وذكرى شهادة سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الإمام عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى فى كتابه الكريم ?: ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل* لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين.()?

لاشك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو أفضل الخلق وأعزّهم عند الله تعالى، فهو أشرف المخلوقات، بل إنّ الله تعالى ما خلق الخلق إلّا لأجله صلى الله عليه وآله، وهو الذى قال له يخاطبه ليلة المعراج- كما فى الحديث القدسى -: يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك().

كما لا ـ شك أنّه صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى- كما عبّر عنه ربه الكريم - ولا يخون رسالة ربه. ولكن الله تعالى أنزل هذه الآيات ردّاً على جماعة من المشركين كذّبوا النبى وكانوا يقولون: إنّ الله لم يوحِ إليه بشىء وأنه يتقوّل على الله، أى ينسب أقوالاً إلى الله لم يقلها الله سبحانه. فلم يردّ الله تعالى فى هذه الآيات على هذه المزاعم فحسب بل نزّه رسوله صلى الله عليه وآله أن يأتى بما لم يأمره الله تعالى به كما يظهر من حرف الامتناع (لو) وشدّد فى التعبير أكثر من ذلك لبيان عدم المحاباة عنده مع من ينسب إليه قولاً كذباً ولو كان أحبّ الخلق إليه – من باب فرض المحال ليس بمحال - موضحاً أنّ خاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وآله - على عظمته وعلوّ مقامه - لو تقوّل علينا بعض الأقاويل، وليس القرآن كلّه أو النبوة نفسها، بل لو أخبر عن أمور بسيطة ونسبها إلينا، فإنّنا سنشلّ يمينه وقدرته، ونقطع وتينه، وهو العرق الكبير فى الجسم الذى بانقطاعه يموت الإنسان، ثم لا يستطيع أن يحول بيننا وبينه أحد!! حقاً إنّ هذه الآيات من أعجب آيات القرآن وتستدعى التأمل كثيراً، إذ يتحدّث الله بهذه الشدة عن أحبّ الخلق إليه عندما يتعلّق الأمر بأحكامه تعالى. وهذا يكشف عن أنّ أحكام الله تعالى وحدوده أحبّ وأعظم وأكبر عنده من كلّ شىء، حتى أوليائه المقرّبين ورسله والناس أجمعين.

قد يُتساءل: كيف؟ أقول: لقد أخبر الله تعالى فى مواطن عديدة من القرآن الكريم أنّه بعث أنبياءه إلى الأمم لتبليغ أحكامه ورسالاته، ولكن الناس قتلوهم واستهزءوا بهم ونكّلوا بهم. وهذا يعنى أنّ الله تعالى كان يقدّم أنبياءه وأولياءه وكذلك الأئمة المعصومين سلام الله عليهم قرابين على طريق أحكامه وضحايا من أجل رسالاته. ولاشكّ أنّ ما يُضحَّى له أغلى مما يُضحَّى به. فلو أنّ أحداً مرض فإنّه سيبذل ماله من أجل استعادة صحته، مما يعنى أنّ الصحة أغلى عنده من المال، وأنّ الأقل قيمة يضحّى به فى سبيل الأعلى قيمة.

لنتأمل جيداً فى الآيات، لا يقول الله تعالى إنّ أحكامه أغلى من حبيبه فحسب بل يستعمل شدة فى التعبير توحى إلى السامع أنّ رسول

الله صلى الله عليه وآله وهو أشرف الأوّلين والآخرين، يبدو لا شيء إلى جنب أحكام الله تعالى، بحيث لو أراد أن يتلاعب بها أدنى تلاعب أو ينسب إلى أحكام الله ما لم يقله، فإنّه سيأخذه بهذه الكيفية!

إذا لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله اليوم فينا - وهو حي عند الله - فإنّ أحكام الله تعالى موجودة بيننا، فكيف سنحافظ عليها؟

وإذا كان الله تعالى يتحدث عن سيد رسله مقابل أحكامه بهذه الكيفية، فما بالك بي وبأمثالي من سائر الناس؟

إنّ أحكام الله تعالى تتمثّل في حلاله وحرامه، في آياته وتشريعاته، في القرآن الكريم والروايات المعتبرة، وفي المسائل الشرعية الموجودة في الرسائل العملية التي أتعب العلماء أنفسهم في استخراجها من القرآن الكريم وكلمات المعصومين سلام الله عليهم.

تقدير الله للعلم والعلماء

ومن تقدير الله لأحكامه تقديره تعالى للعلماء، فهم حفظة الأحكام؛ والله تعالى يقدّر حفظة أحكامه والعاملين بها؛ قال تعالى في وصف العلماء?: إنّما يخشى الله من عباده العلماء().?

كما ذكر تعالى العلم في القرآن أكثر من أيّ شيء آخر إلّا اسمه الكريم، ثم يأتي بعده مباشرة كلمة «العلم».

ومما نُقل عن تقدير الله عزّ وجلّ للعلماء ما حكي عن بقاء جسد الشيخ الصدوق رحمه الله طرياً رغم مرور أكثر من ألف عام على موته.

والشيخ الصدوق رحمه الله هو من علماء الطائفة الحقّة واسمه محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي. وقد مضى على وفاته أكثر من ألف سنة، ومدفنه في إيران عند مزار السيد عبد العظيم الحسني في مدينة ري. ولمّا أُريدَ تعمير مقبرته في العهود الأخيرة حصل ثقب أو حفرة في القبر فظهرت على أثره جنازة الشيخ الصدوق غضّة طرية وكأنه مدفون لتوّه رغم مرور كلّ هذه الأعوام على وفاته!

قد يقول قائل: ماذا يستفيد الشيخ الصدوق من بقاء جسده طرياً وهو غير حالٍّ فيه؟

فنقول في الجواب: إنّ هذا نوع من التقدير له جزاء على ما قدّم من أعمال، كما نقوم مثلاً- للمرجع إذا دخل؛ إشعاراً منا بتقديره واحترامه، مع أنّ قيامنا نفسه غير مؤثر بحالنا ولا حال الشخص الذي نقوم له.

إن للشيخ الصدوق رحمه الله كتاباً ثميناً جداً يسمى «ثواب الأعمال وعقاب الأعمال» جمع فيه جزاء الأعمال الحسنة كالصلاة والصوم والصدقة والصبر وغيرها تحت عنوان ثواب الأعمال، وجزاء الأعمال السيئة كالغيبة والكذب وغيرهما تحت عنوان عقاب الأعمال.

يروي الشيخ الصدوق في هذا الكتاب أحاديث في ثواب مَن قلّم أظفاره في يوم الخميس، ومن قلّمها يوم الجمعة. ثم يقول الشيخ رحمه الله: من الأفضل للإنسان إذا أراد أن يحصل على الثوابين أن يقلّم أظفاره يوم الخميس إلّا بعضها يتركه ليوم الجمعة.

وعندما رئي جسده بعد أكثر من ألف عام طرياً تحت التراب لوحظ أنّ أصابعه كلّها مقلّمة إلّا إصبعاً واحدة كان قد تركها ليوم الجمعة إلا أن الأجل لم يمهله.

في التراب خاصية بحيث حتى الحديد لو دفن فيه لتآكل - كما نعلم - فكيف بقي ظفر هذا الرجل العالِم مع جسده حياً كلّ هذه السنين بقدرة الله تعالى؟ إلّا تقديراً منه تعالى لحفظة أحكامه! فكم سيكون سخطه علينا لو فرّطنا في أحكامه؟ وكم سنكون مقرّبين منه تعالى لو قدّرنا تلك الأحكام؟!

وهناك حادثة أخرى لعالِم آخر من علماء الطائفة هو السيد مهدي بحر العلوم رحمه الله الذي توفي قبل أكثر من مئتي سنة ومدفنه في النجف الأشرف - قرب مسجد الطوسي رحمه الله - في شارع الطوسي الممتد من باب صحن المولى أمير المؤمنين سلام الله عليه والمسمّى بباب الطوسي متجهاً إلى مقبرة وادي السلام.

نقل الحادثة في وقتها مَن شاهدها عياناً وهو أحد طلبة المدرسة الهندية - سابقاً - في كربلاء المقدسة، يقول:

كنت فی النجف الأشرف نازلاً فی مدرسة قوام – وهی مدرسة للعلوم الدینیة بالقرب من قبر السید بحر العلوم – وکان العمال مشغولین بالحفر عندما جاءوا إلی أحد أحفاد السید بحر العلوم وهو السید محمد تقی بحر العلوم وقالوا له: لقد عثرنا علی جنازة جدیدة!

یقول راوی الحادثة: فجاء السید وأنا معه، فنَزلنا إلی القبر فوجدناها جنازة السید مهدی وهی تبدو طریة بحیث عندما وضعت یدی علی الجسد ثم رفعته فوجئت أنّه کان یشبه البدن الحی الذی لو ضغطت علیه فترة ثم رفعت یدک فإنّه یبیضّ أوّلاً ثم یعود للاحمرار بسبب جریان الدم فیه مجدداً.. وکان حال السید أشبه بشخص نام من ساعتین!

فهذا یعتبر من تقدیر الله تعالی للعلماء الحقیقیین من حفظة أحکامه.

قیمتنا عند الله یحددها دفاعنا عن أحکامه

إنّ أعظم قیمة لنا عند الله تعالی تتحقق بمقدار ما ندافع عن أحکامه تعالی وبمقدار ما نعمل بها ونطبقها علی واقع سلوکنا، وبمقدار ما نحفظ هذه الأحکام لکی نبلّغها إلی الأجیال القادمة.

یقول النبی صلی الله علیه وآله لسبطه الإمام الحسین سلام الله علیه: وإنّ لک فی الجنة درجات لا تنالها إلاّ بالشهادة(). فماذا فعلت شهادة الإمام الحسین سلام الله علیه سوی أنها حافظت علی دین الله وأحکامه من الضیاع فی زمن الطاغیة یزید بن معاویة؟!

وهکذا تعتبر مجالس الإمام الحسین سلام الله علیه استمراراً لأحکام الله تعالی ودعماً لها وللقرآن والسنّة وأهل البیت سلام الله علیهم.

ترانا هل نقیم لأحکام الله تعالی وزناً کما یقیم بعضنا للدرهم والدینار؟ إنّ بعض الناس لو سمع بوجود مال وضیع مَرمیّ فی مکان ما، یجدّ فی البحث عنه للحصول علیه، ولکن إذا قیل له إنّ الشیء الفلانی حرام استهان بالأمر، فهو لا یقیم وزناً لأحکام الله سبحانه حتی بمقدار عشرة دنانیر یرکض خلفها ویبحث عنها لمجرد احتمال حصوله علیها.

إنّ مَن لا یکرم أحکام الله تعالی فلا کرامة له عند الله. صحیح أنّ کرم الله تعالی عظیم ولطفه عمیم بحیث یشمل المؤمن والکافر برزقه وعطفه فی الحیاة الدنیا، لکن هذا لا یعنی تکریماً للکافر، بل هو أشبه بالولیمة العامة تقیمها وقد یحضرها مَن لا تحبّه، لکنک لا تمنعه، ولا یُعدّ ذلک تکریماً له؛ لأنّ الدعوة عامة ولم تکن من أجله.

إذن لنقرّر من الآن – ونُشهد الله – أن ندافع عن أحکام الله تعالی، فنأمر بالمعروف وننهی عن المنکر، فی البیت وخارجه، مع الأصدقاء، والجیران والغرباء بالمقدار الذی نتمکن. ولیس المطلوب منا أن نجرّد سیوفنا ونحارب بل لیکن سلاحنا الکلمة الطیبة نقولها، فإن سُمعتْ منا فبها ونعمت، وإلاّ نکون قد أدّینا ما علینا وأبرأنا ذمتنا.

کذلک فلنبدأ من الآن فصاعداً بحفظ أحکام الله تعالی وتعلّم المسائل الشرعیة حتی تلک التی لا یجب علینا تعلّمها، فلنتعلّمها أیضاً. فهب أن تعلّم أحکام الزکاة والتجارة لیست واجبة علیَّ ولکن لیکن تعلّمی لها من أجل حفظها ونشرها.

لیأخذ أحدنا الرسالة العملیة ویقرّر أن یحفظ عدة مسائل منها کلّ یوم، فی مختلف الأبواب، فیعرف حکم الله تعالی فی التجارة والزراعة والصلاة والأراضی ومعاشرة الإخوان والجیران والأرحام والوالدین والأولاد؛ فإنّ أصحاب الأئمة سلام الله علیهم لم یکونوا کلّهم فقهاء متفرغین بل کان فیهم البقال والکاسب والتاجر والطحان والقصاب والتمار، ومع ذلک حفظوا لنا هذه الروایات وحفظوا لنا الأحکام حتی هذا الیوم؛ فإن استطعت أن تحفظ بعض الأحادیث ثم تقوم بطبعها ونشرها فاعمل، لعلّ الله تعالی یهدی بک بعض الناس وی بقی لک ثوابه.

إذن لنوقّر أحکام الله تعالی أوّلاً، ولنطبقها فی حیاتنا ثانیاً، ونسعی فی تقلیل تخلّفنا عنها، ولنحاول الرجوع إلی الرسائل العملیة ونقوم بتعلّم وحفظ عدة مسائل من مسائل الأحکام فی الحلال والحرام کلّ یوم، لأنّنا إذا عملنا ذلک أکرمنا الله عزّ وجلّ لتوقیرنا أحکامه.

وصلّی الله علی محمد وآله الطیبین الطاهرین.

المحاضرة السادسة●

أحكام الله فوق كلّ شيء

أحكام الله فوق كلّ شيء

لا يجوز الإفتاء لغير المتخصصين، و الشعائر الحسينية جائزة شرعاً

(تتمّة الحديث السابق)

●حديث سماحته في محرم الحرام عام ۱۳۹۹ ه، بمناسبة ذكرى شهادة

الإمام الحسين سلام الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى?: ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم قطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين ().?

مقدمة

ذكرنا في المحاضرة السابقة أنّ بعض المشركين ادّعى أنّ القرآن ليس من عند الله تعالى وأنّ النبي صلى الله عليه وآله – حاشاه – جاء به من نفسه، فردّ الله تعالى عليهم بهذه الآيات، وقلنا إنّها من الآيات العجيبة في القرآن الكريم؛ لأنّ الله تعالى يتحدّث فيها بشدّة بالغة عن نبيّه وحبيبه مع أنه من المحال أن يصدر عنه ذلك! فلم يقل الله تعالى مثلاً: إنّ رسولنا صادق وأمين كما تعرفونه، فكما لا يكذب عليكم لا يكذب على ربّه، أو إنّ سبيله صلى الله عليه وآله سبيل سائر الأنبياء، فلِم يكذب على ربّه، بل قال إنه سيأخذه بهذه الشدّة لو صدر منه أدنى نسبة كذب حاشاه؛ وما ذلك إلا بياناً لعظمة أحكامه تعالى وعدم المحاباة فيها حتى مع أحبّ خلقه إليه.

تفسير مفردات الآية

في اللغة: ((قال عن فلان))، أي نقل عنه قولاً، و «تقوّل عليه» أي نسب إليه قولاً لم يقله.

إذن يكون تفسير قوله تعالى? ولو تقوّل علينا: ?لو أنّ هذا النبي نسب إلينا قولاً لم نقله، وليس شرطاً أن يكون تقوّله كلّ القرآن، بل لو تقوّل علينا? بعض الأقاويل، ?كأن يضيف آية واحدة مثلاً على آيات القرآن التي تعدادها ستة آلاف وستمئة وستة وستون آية.

?لأخذنا منه باليمين: ?اليمين في اللغة: اليمن والبركة، والقوة والقدرة، واليد اليمنى أيضاً؛ وذلك لأنّ أكثر الناس يعتمدون على هذه اليد، ففيها إذاً اليمن والبركة أي استمرار الحياة، وفي هذه اليد القوة والنشاط والعمل. والمقصود بالآية اليد اليمنى والقدرة والسيطرة. فيكون المعنى: لو فعل ذلك إذاً لأخذنا منه يمناه وسلبنا عنه قدرته وجرّدناه من قوّته().

ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يقول تعالى بعد ذلك:

?ثم لقطعنا منه الوتين ?أي قطعنا شريان حياته. فإنّ الوتين هو حبل الوريد الذي ورد في آية أخرى في قوله تعالى?: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد().?

ولا يقف الأمر عند هذا الحد كذلك، بل يتعدّاه تعالى كما في تتمّة قوله ?: فما منكم من أحد عنه حاجزين: ?أي لو أننا أردنا أن نفعل ذلك مع أشرف الأنبياء فإنّ أياً منكم – أيها المسلمون، يا أمّة رسول الله ويا مَن تعتزّون به – لا يتمكن أن يدافع عنه أو يكون حاجزاً يمنعنا عن إنزال هاتين العقوبتين به. لماذا؟ لأنّ أحكام الله تعالى بهذه المثابة من الأهمية!

التلاعب بأحكام الله من أكبر الكبائر

إذا كان هذا جزاء رسول الله صلى الله عليه وآله فيما لو تقوّل على الله تعالى ترى فما حال غيره من الناس؟!

إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستطيع أن يتصرف فى أحكام الله تعالى، بل يكون مستحقّاً لهذه العقوبة الشديدة لو فعل ذلك مع أنّه أشرف المخلوقات، فكيف الحال بغيره؟!

نستنتج من هذا العرض المختصر أنّ أحكام الله هى أهم شىء عند الله تعالى، وأنّ التلاعب بها يعدّ أكبر جريمة عند الله كما عبّر عنها القرآن الكريم وتهون عندها كلّ الجرائم والمعاصى إلا الشرك بالله تعالى! فمن أكبر الكبائر أن يقول شخص: إنّ هذا حلال وهذا حرام كذباً على الله ومن دون علم.

الفقهاء لا يفتون إلا بعد استفراغ الجهد

إنّ مَن يراجع كتب الفقه يدرك هذه الحقيقة بجلاء. فهناك على سبيل المثال أخذ وشد طويل وعريض ونقاش حاد بين فقهاء الإسلام منذ أربعة عشر قرناً وحتى اليوم حيال الإفتاء طبق روايةٍ أحد رواتها مجهول الحال. فمثلاً لو وردت رواية عن المعصوم عبر عشرة رواة كان تسعة منهم ثقات ولكن يقع فى هذه السلسلة شخص واحد مجهول الحال أى لا يُعلم حاله هل هو ثقة أم لا؛ هنا يتوقف الفقهاء فى الإفتاء طبق هذه الرواية، لأنّه لا يجوز القول إنّ حكم الله فى مسألة هو كذا أو كذا دون دليل ومستند. فإذا كان الأمر كذلك فهل يحقّ بعد ذلك لمن ليس اختصاصه الفقه أن يعطى رأياً فى أحكام الله فيحلل ما يشاء ويحرّم ما يشاء؟!.

لقد سمعت شخصياً من المرحوم الوالد رضوان الله عليه أنّه كانت هناك مسألة من مسائل الحج - لا يسعنا بيانها - وقعت مداراً للبحث بين مجموعة من المجتهدين، منهم مراجع للتقليد، وهم السيد الوالد رحمه الله نفسه والسيد آقا حسين القمى رحمه الله والشيخ محمد رضا الإصفهانى رحمه الله والسيد زين العابدين الكاشانى رحمه الله، واستمر البحث لمدة ثلاثة أسابيع ولم يستطيعوا فى نهاية المطاف أن يقطعوا فيها بالحرمة فأفتوا بالاحتياط؛ مع أنّهم جمهرة من المجتهدين قضى كلّ منهم عشرات السنين من عمره حتى صار خبيراً فى الفقه وصار استنباط الأحكام شغله واختصاصه، لكنهم مع ذلك توقفوا عندما أعوزهم الدليل ولم يتعجلوا فى إصدار الحكم، فإن الجاهل وحده الذى يصدر الأحكام هكذا اعتباطاً، أما المتخصص فهو يدرك أهمية الموضوع ولا يستهين بأحكام الله ويطلقها جزافاً لأنّه يعرف عظمتها وأنه سيكون مسؤولاً أمام الله الذى تحدث عن نبيّه بتلك الشدة، فقال?: ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل،? ... فكيف بغيره من الخلق؟!

الشيخ المفيد مثالاً للخوف من الفتيا

لقد كان الشيخ المفيد رضوان الله عليه من كبار علماء الطائفة، عاش قبل أكثر من ألف عام فى الغيبة الصغرى للإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكان يحضر درسه فى بغداد العلماء من مختلف الطوائف والملل من السنّة والشيعة والنصارى واليهود والصابئة. ورد فى تاريخه أنه سئل يوماً فى حكم امرأة حامل ماتت والولد ينبض فى رحمها، فقال: يُشق الجانب الأيمن من البطن ويُخرج الولد ثم تدفن الأم. ثم تبيّن أنّه أخطأ فى جوابهم، فكان ينبغى أن يقول بشقّ الجانب الأيسر، فأسف على إفتائه وقرّر أن لا يفتى أحداً بعد ذلك.

فمع أنّه لم يثبت من الناحية الطبّية وجود فرق فى شقّ بطن الحامل الميّتة سواء كان من الجانب الأيمن أم الأيسر، ومع أنّ الشيخ المفيد لم يكن عامداً بل صدرت منه الفتوى بخلاف الحكم الشرعى خطأً، وكلّ الناس معرّضون للخطأ إلّا المعصومين، إلّا أنّ الشيخ المفيد تألّم إلى درجة بحيث قرّر ترك الإفتاء خشية الوقوع فى الخطأ ثانية والقول بما لم يحكم الله - وإن لم يكن عامداً -.

هذا والشيخ المفيد بلغ درجة من العلم والفضل بحيث كان مرجعاً ليس للشيعة وحدهم بل كان يرجع إليه المسلمون وغيرهم وينهلون من نمير علمه. ولقد نُقل أنّ الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف نعاه بنفسه عندما توفى وكتب على قبره:

لا صوّت الناعى بفقدك إنّه يوم على آل الرسول عظيم()

عالِم بهذه المنْزلة يحذر من تكرّر الخطأ منه فيجلس فى بيته ويغلق عليه بابه ويقرّر عدم الإفتاء، دون أن يجدى معه إصرار المراجعين، حتى بعث إليه على ما يُنقل - الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه، فى أحد الأيام شخصاً وقال له: يقول لك الإمام: أفِد يا مفيد، منك الفتيا ومنّا التسديد (). ثم اعلم أن الإمام بعثنى على الجماعة الذين استفتوك وقلتُ لهم: إنّ الشيخ يقول": لقد أخطأت،" فشقّوا البطن من الجانب الأيسر. عندها أرسل الشيخ خلف الجماعة ليتأكد من الموضوع، فقال لهم: ماذا عملتم بالمرأة الحامل؟ قالوا: شققنا بطنها من الجانب الأيسر كما أخبرنا الشخص الذى أرسلته خلفنا. بعد ذلك عاد الشيخ المفيد للإفتاء().

العوام والإفتاء فى الشعائر الحسينية!!

إذا عرفنا هذا الاحتياط من العلماء فى صدور الأحكام فلنلق نظرة على واقعنا، وخاصة عندما يحلّ شهر محرم الحرام وذكرى استشهاد أبى الأحرار الإمام الحسين سلام الله عليه، ترى العجب العجاب، فى كثرة المتصدين للإفتاء من عوام الناس! فهذا يقول لبس السواد حرام، وذاك يقول بحرمة اللطم على أبى عبد الله، وآخر يحرّم التطبير، مع أنّ أحداً من المجتهدين لم يقل بحرمة أىّ من الشعائر الحسينية؛ لأنّ المجتهد لا يصدر الأحكام جزافاً وبسرعة بل ربما أتعب ثلة من المجتهدين أنفسهم ثلاثة أسابيع - كما قلنا - دون أن يخرجوا بحكم قاطع فى مسألة واكتفوا بالاحتياط، أمّا الجهلة من الناس فتراهم يتسرعون فى إصدار أحكام ليس من شأنهم ولا من اختصاصهم دون أن يبالوا!

فكيف يمكن أن يكون اللطم على الإمام الحسين سلام الله عليه حراماً وهذا هو الشاعر دعبل الخزاعى ينشد أشعاراً فى رثاء الإمام المظلوم بمحضر الإمام الرضا سلام الله عليه ويقول فيها:

أفاطم لو خلت الحسين مجدّلاً وقد مات عطشاناً بشطّ فرات

إذاً للطمت الخدّ فاطم عنده وأجريت دمع العين فى الوجنات()

والإمام الرضا سلام الله عليه لا يردّه بل يستزيده. فهل يمكن أن ينسب دعبل الخزاعى عملاً محرّماً إلى فاطمة الزهراء سلام الله عليها ويسكت الإمام الرضا سلام الله عليه عنه؟!

ولقد سئل الإمام الصادق سلام الله عليه عن مسائل كهذه، فقال: وقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن على عليهما السلام وعلى مثله تُلطم الخدود وتُشقّ الجيوب()، فهل الفاطميات وزينب الكبرى لا بل الإمام الصادق سلام الله عليه لا يعرفون الحرام، ويعرفه زيد من الناس أو عمرو؟

وهكذا الحال مع لبس السواد على سيد الشهداء سلام الله عليه فلقد فعله المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين.

اقرأ التاريخ ثم تكلّم. راجع كتب الفقهاء والرسائل العملية وبعد ذلك قل ما بدا لك.

فها هو كتاب جواهر الكلام() ذو الأربعين مجلداً، هذا الكتاب الضخم الذى لا يَذكر صاحبه - وهو بحر من العلم - مسألة إلّا ويذكر دليلها، وأصحاب الاختصاص يعرفون الجواهر وصاحب الجواهر.. هذا الرجل يستدلّ على مسألة واحدة فى باب من أبواب الفقه عبر عشر صفحات من كتابه ثم يناقش الاستدلال ويرد ثم يقول أخيراً: لا يمكننا أن نفتى والاحتياط سبيل النجاة!

تأمّل جيّداً: صاحب اختصاص يناقش مسألة فى عشر صفحات ولا يقطع أخيراً، ثم يأتى رجل ليس بصاحب اختصاص وليس بمجتهد ويصدر حكماً بسرعة، دون تفكير ودون دليل، ويقول لك إنّ العمل الفلانى حرام!

والعجيب أنّه عندما تأتى مناسبة استشهاد الإمام الحسين سلام الله عليه وينصب عزاؤه يصبح كلّ شىء حراماً وكلّ الناس فقهاء!! مع أنّ أحداً من المجتهدين لم يفتِ بحرمة أىّ من شعائر أبى عبد الله سلام الله عليه.

إن الحكم بغير ما أنزل الله من أكبر الكبائر، حتى لقد تحدّث الله عن رسوله وأحبّ الخلق إليه بتلك الصفة عندما تعلّق الأمر بهذا

الموضوع!

الفتاوى التى بها تحبس السماء ماءها

تنازع رجلان فى عهد الإمام الصادق سلام الله عليه عند أبى حنيفة فى كراء حيث اكترى أحدهما فرساً من الثانى للذهاب إلى مكان للقاء صاحب له ولكنه عندما وصل إلى ذلك المكان لم يلقَ صاحبه لأنّه كان قد ذهب إلى نقطة أبعد منها، فاستمر فى مسيره قاصداً إياه حتى بلغه، وهنا طالب صاحب الفرس أجراً أكثر لقاء المسافة الزائدة، لكن المكترى اعترض بأنّ الكراء كان بهدف الوصول إلى الصاحب وإن زادت المسافة، وحكم أبو حنيفة لصالحه استناداً إلى قاعدة فقهية أخطأ فى فهمها، وهى «الخراج بالضمان». ولم يرض المكارى وطلب الاحتكام إلى الإمام الصادق سلام الله عليه، ورغم أنّ الخلاف كان فى دراهم معدودة وأنّ أبا حنيفة أخطأ فى فهم القاعدة وأنّ الإمام الصادق إمام معصوم وحفيد رسول الله فهو عنده علم رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان أستاذاً لأبى حنيفة، إلاّ أنّ الإمام لم يجب على المسألة أوّلاً بل قال قبل أن يجيب: بمثل هذا القضاء تحبس السماء ماءها وتمنع الأرض بركاتها.()

أى أنّنا لو قلنا عن أمر إنّه حرام مع أنّ الله لم يحرّمه، أو إنّه حلال وهو عند الله ليس بحلال، وكذا المكروه والمستحب والواجب فإن ذلك القول بغير ما أنزل الله يمنع الأمطار من النزول ويحبس بركات الأرض.

فلو سألك أحد: هل الشيء الفلانى حلال أم حرام؟ فلا تجبه من تلقاء نفسك بل سل مجتهداً وأعطه الجواب، فإنّ الله تعالى لم يجعل أحكامه بيد أىّ أحد، بل جعلها بيد نبيه صلى الله عليه وآله وقال?: وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا().?

لقد قُتل الأنبياء والأولياء فى سبيل أحكام الله تعالى، وأخبر الإمام الحسين عليه السلام أخاه محمد بن الحنفية - لمّا أراد ثنيه عن الخروج إلى كربلاء - أنه رأى جدّه صلى الله عليه وآله فى المنام، فقال له:

يا حسين اخرُج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً!

فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون! فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟

فقال له: قد قال لى إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا().

لماذا شاء الله ذلك؟ لأنّ أحكام الله فوق الحسين وزينب وأمّ كلثوم.

هل أنت أفقه من الإمام صاحب الزمان؟!

أمّا مَن يقول إنّ إخراج الدم على الإمام الحسين سلام الله عليه حرام فنقول له: هل أنت أفقه أم صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؟! وهو الذى يخاطب جده الحسين سلام الله عليه بقوله فى زيارة الناحية المقدسة: لأندبنّك صباحاً ومساءً ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً فهل الدم الذى يخرج من العين أخطر أم الدم الذى يخرج من الرأس بالتطبير أو من الظهر بالسلاسل أو من الصدر باللطم؟ أم أنّ الإمام الحجة حاشاه- لا يعرف أنّ هذا العمل حرام ويعلمه فلان من الناس؟!

لقد نطحت زينب سلام الله عليها رأسها بمقدم المحمل حتى سال الدم من تحت قناعها. فهل فعلت زينب حراماً؟ ولماذا لم تندهش من فعلها؟

الناس مسلطون على أنفسهم

هناك حريتان موجودتان فى الإسلام؛ حرية الفكر حيث يقول تعالى?: لا إكراه فى الدين() ?وحرية العمل؛ للقاعدة المسلّمة لدى الفقهاء «الناس مسلّطون على أنفسهم» ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله الذى أجمع المسلمون على نقله وهو: الناس مسلّطون على أموالهم() يتصرّفون فيها بما يشاؤون. أمّا الإضرار بالنفس فليس حراماً فى الإسلام إلاّ فى موضعين واسألوا عن ذلك جميع الفقهاء؛

الموقع الأوّل هو الانتحار فهذا غير جائز فى الإسلام، واستدلّ الفقهاء عليه بالآية الكريمة?: ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة()، ?وإن كانت فى سياق آيات الجهاد لكن استدلّ الفقهاء بها؛ لاستدلال الأئمة بها فى هذا المعنى. وكذلك لقوله تعالى?: ولا تقتلوا أنفسكم? ().

الموقع الثانى المستثنى من جواز الإضرار بالنفس هو أن يتلف الإنسان أحد أعضائه أو إحدى قواه. فلا يجوز للإنسان أن يعمى عينه أو يصمّ أذنه أو يقطع أنملة من أنامله هكذا عبثاً وليس لعملية جراحية فى ضرورة من الضرورات.

كما لا يجوز للإنسان أن يشلّ قوة من قواه كالمرأة تقلع رحمها أو تشرب دواء يمنعها عن الإنجاب نهائياً - أمّا إذا كان شلّ القوة لفترة معيّنة فقال العلماء بجوازها - وكذلك الحال بالنسبة للرجل.

أجل إنّ الإضرار بالغير غير جائز حتى لو كان بمقدار عود ثقاب، ولقد روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قوله ...: ألا وإن الله عزّ وجلّ سائلكم عن أعمالكم حتى عن مسّ أحدكم ثوب أخيه بأصبعه()، فلو أنّ أخاك جلس إلى جانبك ووضعت طرف ثوبه بين إصبعين من أصابعك تريد أن تعرف نوع القماش مثلاً- وهو لا- يعلم، فإنّ ذلك لا يجوز لك إن كنت تعلم أنّه لا يرضى، ولسوف تُسأل عن ذلك يوم القيامة. بل يقول الفقهاء إنّ الإنسان مسؤول عن مثل هذا التصرف - لو كان غصباً - حتى مع زوجته كما لو كانت تستحى من ذلك ولا- ترضى مثلاً-؛ فإنّ حق الرجل على الزوجة لا يتعدى أمرين هما: الفراش وخروجها من البيت بإذنه، وليس له وراءهما أىّ حق عليها بعد ذلك، ولا يجوز له أن يلحق بها أدنى ضرر.

أمّا الإضرار بالنفس فكما قلنا هو جائز إلّا فى موردين هما قتل النفس أو تلف أحد الأعضاء أو القوى. فهاهم الناس والتجار يسافرون فى الحر والبرد وهم يتعرّضون للأخطار وربما قللوا من نومهم أو غذائهم وربما مرضوا وهم فى الفُلك، وعلى هذا جرت سنّة الناس ولم يبلغنا أنّ الأئمة منعوا أحداً رغم وجود احتمال للغرق والموت - غير الغالب طبعاً -.

ولم ينهَ الفقهاء عن الضرر البالغ كالتدخين مثلاً، فمع أنّ الأطباء مجمعون على أنّ التدخين مضرّ بصحة الإنسان فهل سمعتم أنّ فقيهاً أفتى بحرمة التدخين؟ كلا بالطبع لأنّه لا دليل لهم على الحرمة بل الأصل «إنّ الناس مسلّطون على أنفسهم».

ومثل التدخين إدخال الطعام على الطعام والنوم بعد الأكل مباشرة وأمور كثيرة أخرى من هذا القبيل، واكتفى الشرع بكراهتها ولم يقل بحرمتها إلّا فى الاستثناءين المذكورين آنفاً، وما ذلك إلا لأنّ الناس مسلّطون على أنفسهم.

ولو كانت أحكام الله تعالى بيد الناس لأفتى كلّ واحد بها حسب أهوائه وتصوراته، ولانمحى الإسلام الذى بين أيدينا اليوم ولأصبح شيئاً ثانياً! لكنّ جهاد المصطفى صلى الله عليه وآله وإخلاصه فى تبليغ ما أمر المولى تعالى به، وكذلك دماء أهل البيت سلام الله عليهم التى أريقت فى سبيل ديمومة أحكام الله تعالى قد أبقتا على الدين حيّاً نابضاً إلى اليوم.

إذن لو سئل أحد عن مسألة ولم يكن من أهل الاختصاص فعليه أن يحيل سائله إلى المجتهد الجامع للشرائط أو أن يسأله بنفسه وينقل عنه جوابه إليه، ولا يحقّ حتى لوكيل المجتهد أن يجيب من عند نفسه، بل عليه أن ينقل رأى مرجع التقليد فهو الحجة علينا، وقد علمنا كم يبذل المجتهدون من الوقت والجهد للوصول إلى استنباط حكم من أحكام الله تعالى، وربما لا يتوصلون إليه فيعملون بالاحتياط ولا يفتون.

لم يفت مجتهد بحرمة أى من الشعائر الحسينية

الأمر الآخر الذى ينبغى أن لا ننساه هو أنّ أياً من الشعائر الحسينية المعهودة لم يفتِ مجتهد بحرمتها، بل الفقهاء قاطبة أفتوا بجوازها بل استحبابها؛ فلا- يجوز لغير الفقيه أن يفتى من عند نفسه بحرمة شىء منها، فيقول مثلاً: إنّ اللطم على الحسين أو التطبير أو التشبيه أو ضرب السلاسل حرام لأنّ فيها ممارسة لإيذاء الإنسان نفسه، مع أنّ كلّ هذه الممارسات لا تصل إلى حدّ خروج الدم من عين الإنسان، والإمام الحجة يمارسه، فلست أنا ولا أنت ولا غيرنا أفقه من صاحب الزمان صلوات الله عليه وعجّل الله تعالى فرجه الشريف، وكلام

غير المجتهدين ليس بحجة ولا يصحّ الأخذ به ولا يجوز نقله شرعاً.

نسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى.

وصلى الله على رسوله الأمين وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

المحاضرة السابعة●

الإمام الحسين عليه السلام أقام الدين

الإمام الحسين عليه السلام أقام الدين

اشارة

معرفة مكانة الإمام الحسين عليه السلام

فى ضوء الآية الكريمة

?شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً ... أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه?

●حديث سماحته فى الأول من شعبان عام ۱۳۹۶ ه بمناسبة ذكرى مولد

الإمام الحسين سلام الله عليه فى الثالث من الشهر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى فى كتابه الكريم?: شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه().?

دين الله واحد

الدين: طريقة السلوك فى الحياة. فالدين اليهودى يعنى طريقة سلوك اليهود فى الحياة. والدين المسيحى يعنى طريقة سلوك النصارى فى الحياة. والدين الإسلامى يعنى طريقة السلوك التى رسمها الإسلام لأتباعه فى الحياة.

هذا وإنّ الله تعالى يخبر المسلمين فى هذه الآية أنّ الدين الذى شرعه ورسمه لهم لا يتعارض مع الدين الذى شرعه لنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام. فطريق الأنبياء كلّهم واحد وهو عين ما أتى به محمد صلى الله عليه وآله.

ومادام الأنبياء كلّهم يصدرون عن الإله الواحد، فطريقهم كلّهم واحد؛ ولذلك قال تعالى?: شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى ?الآية.

ما وصّى الله به أنبياءه

فما هو الشىء الذى وصى به الله نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم النبيين محمداً سلام الله عليهم أجمعين؟

قال تعالى بعد ذلك?: أن أقيموا الدين. ?ويقول النحاة: إن قوله تعالى?: أن أقيموا الدين ?بدل من قوله تعالى?: وما وصّينا، ?وهذا يعنى أنّ ما أوصى به الله سبحانه أنبياءه عليهم السلام – ومن جملتهم نبينا وسيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله – هو إقامة الدين؛ أى جعله قائماً.

وكما أنّ الإنسان القائم يتحرّك ويمارس حياته بشكل طبيعى خلافاً للمريض الذى لا يستطيع القيام والنهوض، فكذلك الدين إذا

كان مبعداً عن الحياة لم يكن قائماً، والله تعالى وصّى أنبياءه أن يقيموا الدين.

مكانة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فى السماوات

إن الإمام الحسين سلام الله عليه أقام دين جدّه صلى الله عليه وآله، ولولاه لما قامت للدين الإسلامى قائمة. وهذا ما سنبيّنه خلال البحث؛ عسى أن نكون قد وفينا بعض ما علينا تجاهه ولو بمقدار ما تحمله رأس الأبرة من بلل البحر!! ذلك أنّ الحديث عن الحسين سلام الله عليه حديث عن الله سبحانه والقرآن وعن الرسالة والحق وعن كلّ فضيلة.

لقد ذكر القرآن الكريم قصّة إسراء نبيّه صلى الله عليه وآله وعروجه إلى السماء فى عدّة موارد منها قوله تعالى فى سورة النجم?: ثم دنا فتدلّى * فكان قاب قوسين أو أدنى().?

جاء عن ابن عباس: فلما بلغ صلى الله عليه وآله إلى سدرة المنتهى فانتهى إلى الحجب فقال جبرئيل: تقدم يا رسول الله ليس لى أن أجوز هذا المكان ولو دنوت أنملة لاحترقت().

وجاء فى رواية أخرى أنه صلى الله عليه وآله قال: فلمّا انتهيت إلى حجب النور قال لى جبرئيل: تقدّم يا محمد! وتخلّفَ عنى، فقلت: يا جبرئيل فى مثل هذا الموضع تفارقنى؟! فقال: يا محمد إن انتهاء حدّى الذى وضعنى الله عزّ وجلّ فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته احترقت أجنحتى بتعدّى حدود ربى جلّ جلاله. فزجَّ بى فى النور زجّة حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علوّ ملكه().

وهنا عندما بلغ الله تعالى بحبيبه هذه المرتبة جعل يريه آياته الكبرى، وتحقق قوله سبحانه?: لقد رأى من آيات ربه الكبرى() ?وكان مما رآه صلى الله عليه وآله من الآيات الكبرى مكانة حفيده الإمام الحسين سلام الله عليه وعظمته فى السماوات.

عن الإمام الحسين سلام الله عليه قال: أتيت جدّى رسول الله صلى الله عليه وآله، فرأيت أُبَيّ بن كعب جالساً عنده، فقال جدّى: مرحباً بك يا زين السماوات والأرض فقال أُبيّ: يا رسول الله وهل أحد سواك زين السماوات والأرض؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله: يا أُبَى بن كعب! والذى بعثنى بالحقّ نبياً، إنّ الحسين بن على فى السماوات أعظم مما هو فى الأرض، واسمه مكتوب عن يمين العرش: إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة().

ومن هنا ينبغى لزائر الإمام الحسين عليه السلام أن يعرف أنّه بين يدى مَن، ويكلّم مَن، ولو كنّا كذلك ونحن فى حرم الإمام الحسين سلام الله عليه وبين يديه عندما نزوره لما شغلنا شىء آخر أبداً. يقول الإمام الصادق سلام الله عليه: مَن أتى الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه كتبه الله فى أعلى علّيين().

إنّ الله سبحانه وتعالى دعا أشرف أنبيائه ورسله عليهم السلام ومن خاطبه بقوله: لولاك لما خلقت الأفلاك()، دعاه فى أعظم دعوة لأعظم وليمة يغذيه فيها بالتعاليم الروحية وليريه آياته الكبرى، ومنها إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة. فهذا هو الحسين سلام الله عليه؛ فهل عرفناه حقّ معرفته؟

أنّى لطاقاتنا الفكرية المحدودة أن تدرك عظمة الإمام الحسين سلام الله عليه؟ والله سبحانه يعبّر عنه بآيته الكبرى، ويقول عنه: إنّه مصباح الهدى وسفينة النجاة. فهذا ليس قول الإمام الصادق أو أمير المؤمنين سلام الله عليهما أو جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فى حقّه، بل هو كلام الله مكتوب على ساق العرش وقبل أن يولد الإمام الحسين سلام الله عليه.

وهنا نسأل: لماذا يرى الله أشرف أنبيائه هذه الكلمة عن سبطه ويعدّه آية كبرى؟ وما هو السرّ وراء ذلك؟

والجواب: هو أنّ الحسين سلام الله عليه خير مَن طبّق الآية التى صدّرنا بها البحث وما وصّى الله به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد سلام الله عليه وآله وعليهم أجمعين، وهو? أن أقيموا الدين. ?إن الحسين سلام الله عليه أقام الدين وحفِظ الشريعة. فلولا الحسين لما كانت الصلاة اليوم ولا الصيام ولا حجَّ البيت أحدٌ؛ لأنّ بنى أمية كانوا على وشك القضاء على الدين، ولكن الحسين سلام الله عليه حفظه وأقامه بدمه ودماء أهل بيته.

نماذج من محاولات بنى أمية للقضاء على الدين

?حقد معاوية على الدين والرسالة

كان لمعاوية بن أبى سفيان صديق ونديم اسمه المغيرة بن شعبة، وكان يشبه معاوية - فإنّ الطيور على أشكالها تقع -.

يقول المطرف ابن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبى على معاوية، فكان أبى يأتيه، يتحدّث معه، ثم ينصرف إلىَّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتمّاً فانتظرته ساعة ظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لى أراك مغتمّاً منذ الليلة؟ فقال: يا بنىّ جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم. قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنّك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بنى هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شىء تخافه، وإنّ ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه. فقال: هيهات هيهات! أىّ ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدى، واجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: عمر.. وإنّ ابن أبى كبشة ليصاح به كلّ يوم خمس مرات: (أشهد أنّ محمداً رسول الله) فأىّ عمل يبقى، وأىّ ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك! لا والله إلاّ دفناً دفناً().

?يزيد يثأر لقتلى بدر

أرأيت كيف كان يفكّر معاوية؟! أمّا ولده يزيد فقد أظهر ما كان يضمره بعد قتله سبط رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قال:

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك، فلا خبر جاء ولا وحى نزل()

وقال فى أبيات أخرى:

لمّا بدت تلك الحمول، وأشرقت تلك الرؤوس على ربا جيرون

نعب الغراب فقلت: قل أو لا تقل فقد قضيت من الرسول ديونى()

يعنى أنه اقتصّ من رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قتل سبطه بمن قتلهم الإسلام من أجداده الكفرة فى بدر. فالقضية عند يزيد تتلخّص فى نزاع بين قبيلتين، فلا دين ولا نبوّة ولا وحى ولا جنّة ولا نار!

?خليفة يشتهى أن يفجر فوق الكعبة!!

نموذج ثالث من خلفاء بنى أمية هو «الوليد بن يزيد».

ذكر ابن الأثير أنه: اتخذ له ندماء فأراد هشام أن يقطعهم عنه فولاّه الحج ... فحمل معه كلاباً فى صناديق، وعمل قبّة على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة وحمل معه الخمور وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويشرب فيها الخمور. ()

ومن أخباره أنّه واقع جاريته وهو سكران وجاءه المؤذّنون بالصلاة فحلف لا يصلّى بالناس إلاّ هى، فلبست ثيابه وتنكّرت وصلّت بالمسلمين وهى سكرى متلطّخة بالنجاسات على الجنابة().

فهل عرفتم الآن كيف أنّ الإمام الحسين سلام الله عليه أنقذ دين جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله من براثن بنى أميّة؟ وكيف أنّه حقّق وصيّة الله لأولى العزم من أنبيائه بإقامة الدين؟ ولهذا وجد رسول الله صلى الله عليه وآله مكتوباً على ساق العرش إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة.

أليس للإمام الحسين سلام الله عليه حقّ على كلّ صلاة تقام على وجه الأرض؟ أليس لدمه سلام الله عليه حقّ على الكعبة والبيت

الحرام؟ فلولا جهاد الحسين سلام الله عليه وثورته ودمه لما كانت صلاة ولا صيام وما كانت تؤدَّى الزكاة ولا الخمس ولا سائر أحكام الإسلام.

وما نقلناه كان غيضاً من فيض، فاقرأوا التاريخ بأنفسكم لتعلموا ما أراد الأمويون فعله بالإسلام، وما هو دور الحسين سلام الله عليه؟ ولماذا قال الله تعالى عنه على لسان رسوله صلى الله عليه وآله: إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة!

حسين منّى وأنا من حسين

وهكذا أيضاً يفسّر معنى الحديث النبوى الشريف: حسين منّى وأنا من حسين().

أمّا أنّ الحسين من النبيّ فهذا لا خلاف فيه، ولكن كيف يمكن أن يكون الجدّ من الحفيد أو السبط؟ لاشكّ أنّ النبيّ يقصد بذلك استمرار رسالته صلى الله عليه وآله. وهذا الكلام النبوى الشريف مقتبس من ذاك التعبير المكتوب على ساق عرش ربّ العزّة! لأنّ بقاء اسم النبى صلى الله عليه وآله يُرفع من على المآذن (أشهد أنّ محمداً رسول الله) إنما كان بتضحيات الإمام الحسين سلام الله عليه. ولولا الإمام الحسين سلام الله عليه لمحا معاوية ويزيد وآل مروان من بعدهما هذا الذكرَ، ولعادت الجاهلية من جديد، فهكذا كان تخطيط معاوية، ولكن الله تعالى شاء أن يرى الإمام الحسين قتيلاً! لتعلّق إرادته تعالى بإنقاذ الدين بأساليب طبيعية غير غيبية. وهكذا كان إنقاذ دين الله متوقّفاً على دم الحسين سلام الله عليه، ولولا شهادة الحسين وأهل بيته لما بقى للإسلام من أثر، ومن شاء فليراجع التاريخ.

إذن كلّ مسجد تدخله اليوم فهو مدين للحسين، وكلّ صلاة وصيام، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وبرّ بالوالدين، وإخلاص لله، بل واسم رسول الله صلى الله عليه وآله عندما يُرفع فى الأذان.. كلّه من الحسين سلام الله عليه، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله: وأنا من حسين.

ولولا الحسين لكان اسم الرسول صلى الله عليه وآله - وكما تمنّى معاوية - حاله حال اسم أبى بكر وعمر، لا يزاد أن يُقال: كان محمد. أمّا رفعه فى الأذان مقروناً بالرسالة كلّ يوم خمس مرات، وامتداده فى استمرار تعاليمه فى الصلاة والصوم والمساجد والحجّ والدين كلّه فكلّ ذلك رهين دم الحسين سلام الله عليه.

وهذا معنى مخاطبتنا له سلام الله عليه فى الزيارة: أشهدُ أنّك قد أقمت الصلاة لأنّه لولا الحسين لما صلّى أحد.

ينقل الشيخ محمد شريعت رحمه الله - أحد علماء الشيعة الذين عاصرتهم، أصله من كراجى، وكان يسكن فى النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة - أنّه كانت تربطه صداقة بقسّ مسيحى فقال له يوماً:

أنتم الشيعة عندكم الحسين سلام الله عليه ولكنّكم لا تستفيدون منه كما ينبغى. ولو كان الحسين لنا لركزنا فى كلّ شبر من الأرض منبراً باسم الحسين نجمع الناس حوله ونبلّغهم ديننا ولما تركنا إنساناً على وجه الأرض إلّا دعوناه إليه.

ختاماً: ماذا نقدّم للحسين سلام الله عليه؟

أقترح ثلاث وصايا بسيطة يتمكّن كلّ منّا العمل بها عسى أن نرفع شيئاً من تقصيرنا تجاه الإمام الحسين سلام الله عليه:

أوّلاً: قبل أيام من ذكرى ميلاده المبارك سلام الله عليه أخبِر كلّ مَن تلقاه - سواء فى محلّ عملك أو فى طريقك إلى البيت أو صديقاً تلقاه - أنّ يوم الثالث من شعبان هو يوم ميلاد الحسين سلام الله عليه، ولا أبالغ إن قلت إنّ كثيراً من المسلمين الذين تعيش بينهم لا يعلمون بذلك!

ثانياً: لنتحف أولادنا وعوائلنا بفكرة ولو مبسّطة عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم لاسيّما صاحب الذكرى الإمام الحسين سلام الله عليه فى يوم ميلاده؛ ليتربّوا على حبّهم سلام الله عليهم.

ثالثاً: لنظهِر علامات الفرح والتهنئة ولنوزّع الهدايا أو الحلويات على عوائلنا وزملائنا فى محلّ عملنا وأهالى منطقتنا فى يوم ميلاد الإمام الحسين سلام الله عليه.

إنّ العمل بهذه الوصايا الثلاث هو أقلّ ما يمكن أن نقدّمه وأقلّ ما يُراد منّا، لكى يصدق علينا أنّنا نحبّ الحسين سلام الله عليه ونواليه.

أمّا الأمور والمؤهّلات المطلوبة منا لكى نكون على طريق الإمام الحسين سلام الله عليه فقد لا نكون بمستواها فإنّ الحسين سلام الله عليه أقام الدين، ونحن نرى محيطنا مليئاً بالمحرّمات، وذوينا لا يؤدّون الواجبات ولكن مع ذلك ترى بعضنا – ومع الأسف – لا يكترث! إذا كنّا من الذين يهتمّون بمعالجة الأمراض الروحية فى المجتمع كاهتمامنا بمعالجة الأمراض البدنية خاصة إذا أصيب بها أحد أبنائنا، فليكن سعينا من الآن أن نبدأ بنشر حبّ الحسين سلام الله عليه، وفكر الحسين، ثم السعى للعمل وفقه إن شاء الله تعالى.

أسأل الله تعالى أن يوفّقنا لذلك، وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المحاضرة الثامنة●

عاشوراء دروس وعبر

عاشوراء دروس وعبر

الاستلهام من قضية عاشوراء وتعظيم الشعائر الحسينية

●ثلاثة أحاديث لسماحته بمناسبة أيام عاشوراء، وذكرى استشهاد

سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الإمام أبى عبد الله الحسين سلام الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

عاشوراء أيضاً

مرة أخرى يطلّ علينا شهر محرّم الحرام وذكرى عاشوراء التى مافتئت مشعلاً يهتدى به الأنام منذ استشهاد سيد الشهداء الإمام الحسين سلام الله عليه إلى يومنا هذا، وفى كل مرّة تحيى فيها هذه المناسبة ينهل محبّو الإمام قيماً ومفاهيم جديدة من مدرسة عاشوراء الخالدة، هذه الملحمة العظيمة المضيئة للأجيال على مرّ العصور، والتى جعلت الأغيار يطأطئون رؤوسهم إجلالاً لعظمة صاحب الذكرى، والمؤمنين يتزوّدون من دروسها الغنية لدنياهم وأخراهم.

لا ننسى بأنّ ذكرى عاشوراء مرّت بمسيرة طويلة من التحوّلات، وأنّ التضحيات التى قدّمها الأسلاف والوالهون بسيّد الشهداء سلام الله عليه هى التى أوصلت إلينا هذه المدرسة العاشورائية المناهضة للظلم، العريقة بأهدافها المقدسة.

ولا يمكننا أن ندّعى انتماءنا لهذه المدرسة ما لم نرخص الغالى والنفيس فى سبيل ديمومة أهدافها العالية، وأن نسلّم هذه الأمانة الحسينية، السماوية، إلى الأجيال اللاحقة مصانة لا تشوبها شائبة، وفى الوقت نفسه فاعلة وبعيدة عن أى زيغ أو حرف، طبعاً إذا خلصت النوايا، وأبعدت المصالح الشخصية، ليحلّ محلّها هدف تحقيق مرضاة الله عزّ وجلّ.

وأوّل مهامّ محبّى أهل البيت سلام الله عليهم إعلاء شأن عاشوراء ونشر ثقافتها وبرامجها، وإحياء مجالس عاشوراء، ومواكبها، بل إحياء كل ما يتعلّق بها من شعائر ليخلِّد ذكراها، ولا يخفى أنّها مسألة محفوفة بالمشاقّ والصعاب، لكنّها مشاقّ عاقبتها الثواب الجزيل والأجر الوفير. فالذين قدّموا فى هذا الطريق الخدمات الجليلة للإمام الحسين سلام الله عليه، وتحمّلوا فى سبيله العناء والعذاب، سيسَجَّل لهم ذلك بأحرف من نور فى سفر التاريخ، وفى المقابل ستكتب أسماء الذين وجّهوا أدنى إهانة لمواكب العزاء والمآتم الحسينية بأحرف

من نار وهوان، أولئك الذين تصدّوا لمراسيم العزاء على سيد الشهداء سلام الله عليه وصدرت عنهم عبارات من قبيل: «هذا ليس شأنك، اترك الأمر لهم»، أو الزوج الذى منع زوجته من المشاركة، والزوجة التى ثبطت من عزيمة زوجها، أو الأخ الذى منع أخاه، أو الجار الذى منع جاره، وبعبارة واحدة: كلّ من وضع عقبة فى طريق إقامة الشعائر الحسينية، سيسجّل عليهم صغيراً كان أم كبيراً.

الخشية من عدل الله

ليس فى أسماء الله تعالى ما يبعث على الخوف أو الصدود، فرحمته تعالى ورأفته ومغفرته وكلّ صفاته وأسمائه لا تحمل من معانى الخوف أو الرهبة شيئاً. ذكر فى دعاء الجوشن الكبير ألف اسم من أسماء الله جلّ وعلا وصفاته، ليس فى أىّ منها ما يشير إلى ذرة خوف أو فزع عدا واحدة وهى صفة العدل. وثمة صفات أخرى وردت فى الدعاء تدخل فى السياق نفسه، وجميعها تصبّ فى صفة العدل، وعليه يجب الخشية من عدله سبحانه.

لماذا لا يخشى الإنسان عدل الله تعالى إذا علم أنّه ليس فى عقاب الله عزّ وجلّ يوم القيامة وقفة، وأنّه خالد، وأن أسباب الهلاك والثبور من كل لون تصبّ على العاصى فى ذلك اليوم، ومع ذلك لا يموت بل يذوق أشدّ أنواع العذاب؟ فلو تأمّل الإنسان قليلاً فى وصف القرآن الكريم لجهنّم وعذابها لما هدأ باله، كما فى قوله تعالى?: ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت().?

ليس البائس من يبيت ليلته وهو جائع، أو من يقبع فى غياهب الزنزانات ويذوق أشدّ أنواع التعذيب، لأنّ ذلك كلّه إلى أجل معلوم ثمّ بعدها يشبع الجائع ويتحرّر السجين، إنّما البائس من حكم الله تعالى عليه بالعدل وحاسبه على سيّئاته، يوم تعرض صحيفة أعمال الخلائق على الله تعالى، فلا تخفى عليه صغيرة ولا كبيرة. عندها يفوز الذين ثقلت موازينهم، ومنهم أولئك الذين تفانوا فى خدمة شعائر الإمام الحسين سلام الله عليه وكان محفّزهم فى كلّ ما بذلوا من جهد وتضحية هو خدمة الإمام سلام الله عليه.

المحيون للمآتم الحسينية

إنّ لمواكب العزاء الحسينية منزلة رفيعة ومقاماً سامياً جعلت جهابذة العلماء وكبار الوجهاء والشخصيّات يفخرون بالمشاركة فيها أيّما افتخار.

على سبيل المثال، تقام سنوياً فى مدينة كربلاء المقدسة، وفى يوم عاشوراء بالتحديد مراسيم عزاء تعرف بعزاء طويريج()، وكان السيد بحر العلوم() مواظباً على المشاركة فيها، وكان يقول بأنّه قد شاهد الإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف بين صفوف المعزّين.

كان العمل بهذه المراسيم مستمراً فى كربلاء إلى ما قبل حوالى ۳۳ سنة، حيث كان يشارك فيها الآلاف، مهرولين حفاة، وضاربين بأيديهم على رؤوسهم ووجوههم، ولقد رأيت مرات عديدة مراجع كبار وهم يؤدّون هذه المراسيم مع الجموع المهرولة، كما كان يشارك فيها بعض الوزراء والوكلاء والأعيان.

هؤلاء لم يكونوا يفعلون ذلك حتى فى مجالس عزاء آبائهم، ولم يكونوا ليجزعوا هذا الجزع حتى لو فقدوا أموالهم وثرواتهم. فهنيئاً لهم ثم هنيئاً.

إن مقيمى المآتم الحسينية إنما هم فى الحقيقة يعزّون رسول الله صلّى الله عليه وآله. يقول الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام فى ما جرى على الحسين سلام الله عليه وأهل بيته سلام الله عليهم: يعزّ على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم ولو كان فى الدنيا يومئذ حيّاً لكان صلوات الله عليه وآله هو المعزّى بهم().

فى الحقيقة، لا يمكننا مطلقاً أن نتصوّر ما كابد سيّد الشهداء سلام الله عليه فى يوم عاشوراء. قد تراود الإنسان أحياناً بعض الخطرات، ولكن لا يمكن مطلقاً تصوّر ما جرى فى ذلك اليوم فعلاً، وليس لنا أن نختصر القضية بالقول: إنّه إمام، والإمام يتمتّع بالصبر ورباطة الجأش. لاشك أنّ الإمام المعصوم سلام الله عليه أرقى وأعقل خلق الله، وله روح عالية تعلو على جميع المخلوقات، لكنّ له قلباً يطفح

بعاطفة تسمو على عواطف جميع البشر وإن كانت معقودة بأكمل العقول.

لقد ذرف الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله الدمع حزناً على فقد ولده إبراهيم، الذى لم يتجاوز الرضاع، وكان صلّى الله عليه وآله يجهش بالبكاء لدرجة كان كتفاه يهتزّان حتى قال له بعض أصحابه: يا رسول الله، تأمرنا بالصبر وتبكى لهذه المصيبة؟ فقال صلّى الله عليه وآله: تدمع العين ويحزن القَلْبُ ولا نقول ما يُسخط الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون().

فالرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله يبكى كلّ هذا البكاء لفراق ولده الرضيع، فى حين فقد الإمام سلام الله عليه فى يوم عاشوراء أعزّ الناس وأقربهم إليه كأبى الفضل العباس وعلى الأكبر والقاسم ... سلام الله عليهم. ولو كان هؤلاء أفراداً عاديين لهان الأمر، ولكنهم قد ترعرعوا فى حجر الإمامة الطاهر، وكانوا بعد الإمام المعصوم سلام الله عليه قدوة فى الوفاء والنخوة والأصالة، ولا مثيل لهم على وجه الأرض مطلقاً، وإنّنا لنعجز عن أداء حقّهم وفى وصف مكانتهم.

فى أقلّ من نصف يوم، تجرّع الإمام الحسين سلام الله عليه كل هذه المصائب وتحمّل ما لا يطيقه بشر؛ وكلّ ذلك كان بعين الله التى لا تنام ولكن ستحلّ الساعة التى يُقرّر الله سبحانه بحكمته التامّة انتهاء أمر الصبر لتصل النوبة لعدل الله تعالى الذى يُعدّ الانتقام من الظالمين أحد فروعه.

قتلة سيد الشهداء سلام الله عليه

ورد فى كتاب كامل الزيارات() أن كلّ من شارك فى قتل الإمام الحسين عليه السلام ابتلى بأحد الأمراض الثلاثة: الجنون والجذام والبرص().

وتقول الرواية أيضاً بأنّ هذه الأمراض قد انتقلت إلى ذراريهم من بعدهم، رغم أنّهم لا علاقة لهم بجريرة آبائهم، إلا أنّ هذا هو الذى حصل بالفعل، وكان ذلك من عواقب قتل الإمام الحسين سلام الله عليه، فكما السكّير تمتد آثار عمله إلى نسله، فكذلك الحال مع الظالم، وهذه مسألة تكوينية.

كما نقرأ فى (كامل الزيارات) أيضاً: أنّ قتلة الإمام الحسين سلام الله عليه قد قُتلوا جميعاً، ولم يمت أىّ منهم ميتة طبيعية. فى هذا السياق يقول الإمام محمد الباقر سلام الله عليه: والله لقد قُتل قتلة الحسين عليه السلام ولم يُطلب بدمه بعد()، والله تعالى لم يرض بعد، لأنّ للإمام الحسين سلام الله عليه مكانة فى أعالى الذرى، والانتقام الذى حلّ بهم - وهو القتل - ليس كافياً البتّة، وهذا ما يقرّ به الشيعى والسنّى والمسيحى ... على السواء.

تفاخر الكعبة ومكانة كربلاء

نسب ربّ العزّة الكعبةَ إليه فسُمّيت بيتَ الله الحرام، وهو تقديس لمكانتها وتشريف لمنزلتها؛ وذلك لأن ليس لله سبحانه بيت بعينه فهو غنىّ عن المكان. لهذا، رفع هذه البقعة من أعماق الأرض إلى قمة السماء، وشرّفها بنسبها إليه عزّ وجلّ.

هذه الكعبة المشرّفة التى كرّمها الله، وأمر الحجيج أن ينزعوا عند مشارفها ألبستهم الدنيوية ويلبسوا لباس الإحرام، فيدخلوها مُحْرمين، تاركين بعض اللذائذ الدنيوية المباحة، تفاخرت() على البقاع الأخرى، كما جاء عن الإمام الصادق سلام الله عليه حيث قال:

إن أرض الكعبة قالت: من مثلى و قد بنى بيت الله على ظهرى، ويأتينى الناس من كلّ فج عميق وجُعلت حرم الله وأمنه!

فأوحى الله إليها أن كفّى وقرّى، فوعزّتى وجلالى ما فضل ما فضّلت به فيما أعطيتُ به أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست فى البحر فحملت من ماء البحر! ولولا تربة كربلاء ما فضّلتك، ولولا ما تضمنته أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذى افتخرت به؛ فقرّى واستقرى ».()...

لقد أعزّ الله تعالى الكعبة وشرّفها إذ نسبها إليه عزّ وجلّ وسمّاها البيت الحرام، فماذا عن كربلاء؟ وأىّ ميزة تمتاز بها؟

لمعرفة ذلك اقرأ ما جاء عن الإمام الصادق سلام الله عليه حيث قال:

وإن أرض كربلاء وماء الفرات أول أرض وأول ماء قدّس الله تبارك وتعالى، فبارك الله عليهما فقال لها: تكلّمى بما فضّلك الله تعالى؛ فقد تفاخرت الأرضون والمياه بعضها على بعض. قالت: أنا أرض الله المقدسة المباركة، الشفاء فى تربتى ومائى ولا فخر، بل خاضعة ذليلة لمن فعل بى ذلك، ولا فخر على من دونى بل شكراً لله. فأكرمها وزادها بتواضعها.()

فإذا وُفّقنا لإقامة مجالس العزاء الحسينية، وأسدينا خدمة لسيد الشهداء سلام الله عليه، وتحمّلنا العناء والمشقّة فى هذا السبيل، وكان لنا شرف المشاركة فى هذه المآتم نقول: الحمد لله الذى وفّقنا لهذا، الحمد لله الذى أكرمنا لنستظلّ بمظلّة الإمام الحسين سلام الله عليه، إن هو إلا توفيق من عند الله لنتشرّف بخدمة الإمام سلام الله عليه.

عطاءات عاشوراء

فى الواقع، إنّ جلّ ما نملك من مُثُل وقيم هو من بركات تضحيات سيد الشهداء سلام الله عليه. فعاشوراء هى التى غرست فى أعماقنا مبادئ الإنسانية والعبودية لله عزّ وجلّ والإيثار وخدمة الآخرين والعطف على المستضعفين والدفاع عن المظلومين، ولأجل هذا كلّه يجب أن نبقى جذوة ملحمة عاشوراء متّقدة على الدوام، وأن نبذل مهجنا دونها، لنضمن الرفعة والشموخ لنا وللأجيال من بعدنا.

إننا ننفق فى حياتنا اليومية الكثير من الأموال فى مختلف الشؤون، وكذلك نصرف الكثير من الجهد والوقت مع الأولاد والزوجة وفى البيت والعمل والتجارة وما إلى ذلك، ولكن لنعلم أن ما ينفق ويبذل فى سبيل الإمام الحسين سلام الله عليه هو الأفضل حيث يحظى بمكانة أرفع وقيمة أكثر، ولنعلم أيضاً بأنّ أى خطوة نخطوها فى خدمة أهل البيت سلام الله عليهم، سنثاب عليها من قبلهم بأفضل الثواب.

ثواب ذكر الإمام الحسين سلام الله عليه

كان هناك عالمان جليلان، رهن أحدهما عمره فى خدمة مجالس عزاء سيد الشهداء سلام الله عليه، ولم يتوان عن بذل أى خدمة بماله أو بلسانه فى هذا السبيل، أمّا الآخر فلم يكن يعر أهمية تذكر لهذه القضية. والآن، وبعد مضى سنوات على وفاتهما، كان الثواب الذى ناله الأول هو أنّ الله قد وفّق أبناءه وأحفاده فجعل منهم المؤلف والعالم والمدرس والمرجع الدينى، منتشرين فى أصقاع الأرض يحيون ذكرى أبيهم عندما يحيون الأمر الذى نذر أبوهم له نفسه، فى حين لم يبق من الثانى أى أثر يخلّده، وهذا بالتأكيد نتيجة تعظيم الأول لمسألة التفانى والإخلاص لسيد الشهداء سلام الله عليه، وعدم اكتراث الثانى لهذه المسألة، وهنا يتبيّن بأنّ أى خدمة تقدّم لمواكب العزاء الحسينية لن تذهب سدى أبداً.

يروى أيضاً أنّه كان هناك شخصان يعيشان فى أحد البلدان، أحدهما بائع بسيط ذو دخل متواضع، والآخر من أغنياء المدينة وأعيانها، وكلاهما رحل عن هذه الدنيا. كان البائع البسيط يكدّ ويشقى من الصباح حتى المساء لتأمين رزقه، وعندما كان يعود إلى بيته كان يأخذ ثلث دخله اليومى ويقول هذا سهم الإمام الحسين سلام الله عليه، وكان يدفع عن المبلغ المتبقّى (الثلثين الآخرين) فريضة الخمس إن فاض عنه شىء، فكان يجمع المال باسم الإمام الحسين سلام الله عليه ويبتاع به أراضى خارج المدينة، فكان الناس يقولون له: لماذا تشترى أرضاً فى البرارى، حيث لا ماء فيها ولا عمران؟، وكان يجيبهم: ليس لدىّ المال الكافى لشراء أراضٍ فى المدينة، وقد اشتريت هذه الأراضى على أمل أن يبنى فى موضعها حسينية. واليوم، أصبحت تلك القفار مدينة عامرة، تقع فى مركزها تلك الأرض التى تحوّلت إلى حسينية كبيرة تقام فيها أغلب أيام السنة مراسم العزاء على سيد الشهداء سلام الله عليه بالإضافة إلى المراسم الدينية الأخرى. وقد قال ابن ذلك الكاسب خلال رحلة له إلى إيران قبل فترة، بأنّ أهل البلد الذى تقع فيه تلك الحسينية عرضوا عليه شراء تلك الحسينية مقابل مبلغ ۵ مليارات تومان وذلك لتحويله إلى مبنى عام، لكنه رفض وقال: هذا المكان وقف، وهو بالتالى ليس لنا،

هو للإمام الحسين سلام الله عليه.

إن خدمات ذلك الكاسب فى الدنيا محفوظة له، والمراسم التى كانت تقام فى تلك الحسينية خلّدت ذكراه، هذا بالإضافة إلى الثواب الأخروى الذى ينتظره.

أمّا ذلك الرجل الثرى فلم أسمع أن أوقف ولو شبراً واحداً من أملاكه للإمام الحسين سلام الله عليه، وقد اقتسم ورثته أمواله من بعده، ولم يبق منها أى شىء يحيى اسمه من بعده.

ومن هذا المنطلق، تعتبر قضية الإمام الحسين سلام الله عليه قضية تكوينية، بمعنى أنّه من قدّم خدمة خالصة للإمام سلام الله عليه، سيثاب عليها فى الدنيا قبل الآخرة.

عاقبة محاربة المواكب الحسينية

كما أنّ لخدمة المواكب الحسينية ثواباً وأجراً جزيلًا، كذلك فإن التصدى لهذه المواكب ومحاربتها ستكون له عاقبة سيئة. ومن يضع العراقيل فى طريق المواكب الحسينية عامداً أو جاهلًا، سيلقى جزاءه فى دار الدنيا قبل الآخرة. إنّ الثواب الحقيقى للأعمال هو فى يوم الحساب، لكن المسىء للإمام الحسين سلام الله عليه سيدفع ثمن ذلك فى الدنيا أيضاً قبل وصوله الدار الآخرة.

مسألة أخرى يجب الالتفات إليها ألا وهى السعادة والنعمة التى يهبهما الله تبارك وتعالى لعباده مقابل تقديم الخدمة فى المواكب الحسينية، لذا علينا أن نغتنم هذه الفرص لننعم بظلالها قبل أن نندم على التفريط بها، ولات ساعة مندم، ولا مجال حينذاك للعودة إلى الدنيا للتعويض عمّا فات.

كما علينا أن نعلم بأنّنا إذا كنّا قد وُفّقنا لإحياء مجالس العزاء الحسينية، فالفضل فى ذلك كلّه يعود لآبائنا وأجدادنا وأسلافنا. لذلك، علينا أن نتذكّرهم دائماً، وأن نعلم بأنّنا نحن أيضاً سنترك تأثيراً على أجيالنا وذلك بحسب هممنا وعزائمنا فى خدمة سيد الشهداء سلام الله عليه.

ثواب الحزن على أهل البيت عليهم السلام

من المناسب أن نقيّم أعمالنا ونرى ما لمجالس العزاء والحزن على مصاب أهل البيت سلام الله عليهم من ثواب من خلال ما ورد فى ذلك عن الإمام المعصوم سلام الله عليه، ففى رواية عن الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه أنّه قال: نَفَسُ المَهموم لِظُلْمِنا تَسْبيحٌ، وَهَمّهُ لَنا عِبادَة().

إنّكم تحملون فى داخلكم همّاً عظيماً بسبب ما لحق الإمام الحسين سلام الله عليه من ظلم وإجحاف، إذن أنفاسكم كلها تسبيح تسجّلها الملائكة لكم فى صحيفة أعمالكم، ففى كل نفس يكتب لكم قول: سبحان الله. كما أنّ حزنكم عبادة، وبالإضافة لهذين الثوابين هناك ثواب عظيم آخر لكم هو خدمتكم فى هذا الطريق.

لذا، فمن يتحمّل مشاقَّ وأعباءً أكثر ويضع راحته وسهره فى خدمة الإمام الحسين سلام الله عليه، بطبيعة الحال له أجرٌ أعظم، وأحد أوضح الأمثلة على ذلك ما رُئى لاثنين من الفقهاء الأفاضل فى المنام ()، أحدهما

الشيخ الأنصارى رحمه الله الذى تنهل الحوزات العلمية الدينية منذ ۱۵۰ عاماً من علمه، والآخر الشيخ الدربندى رحمه الله. هذان العالمان كانا زميلى دراسة فى مرحلة الشباب، وكانا من تلامذة المرحوم شريف العلماء المازندرانى رحمه الله، وأصبح كلاهما فيما بعد مرجعين للتقليد، وفى ذلك الوقت كان الشيخ الأنصارى هو المرجع العام للشيعة، والدربندى له مرجعية محدودة. ذات يوم عزم أحد طلاب الشيخ الأنصارى - وكان طالباً مجدّاً يحمل صفات العلم والورع - على السفر إلى إيران، فقام الشيخ الأنصارى بوداعه حتى مشارف المدينة مشياً على الأقدام حيث كان يعتزم السفر إلى مدينة كربلاء ثم الكاظمية وسامراء ليذهب بعدها إلى إيران، لكنّه

فى اليوم التالى لم يذهب إلى كربلاء، ورجع من وسط الطريق. وعندما رأى الشيخ الأنصارى تلميذه فى النجف الأشرف سأله: «لماذا عدت؟». أجابه: «ليلة أمس غلبنى النوم وأنا فى الطريق فى جوف الصحراء، فرأيت ملكاً فى منامى يقول لى: إلى أين أنت ذاهب فى هذه الصحراء، إنّك راحل عن هذه الدنيا بعد ثلاثة أيّام. وهذا القصر لك (وأشار الملك إلى قصر) ولم أكن أعلم على وجه اليقين إن كانت هذه رؤيا صادقة أم لا، فقفلت راجعاً إلى النجف، لأكون عند أمير المؤمنين سلام الله عليه وليس فى الصحراء فيما لو تحقّقت الرؤيا، وإذا لم تتحقّق أواصل رحلتى من جديد.

وبالفعل، تحقّقت الرؤيا وتوفّى الرجل بعد ثلاثة أيّام كما وُعد بذلك.

يروى هذا الشخص نفسه – قبل وفاته – للشيخ الأنصارى بأنّه قد رأى فى ذلك المنام أيضاً قصراً شامخاً فسأل: لمن هذا القصر؟ قيل له: «إنّه للشيخ الأنصارى»، وفى ناحية مجاورة من ذلك القصر رأى قصراً آخر أفخم من القصر الأول فسأل: وهذا لمن؟ قيل له: «هذا قصر الشيخ الدربندى». فى ذلك الوقت كان الشيخان لا يزالان على قيد الحياة، كان الشيخ الأنصارى فى النجف الأشرف، والشيخ الدربندى فى كربلاء المقدسة. وبالإضافة إلى كون هذا الأخير مرجعاً دينياً، كان خطيباً يعتلى المنابر الحسينية وكان له منبر خاص فى كل عام، حيث نُقل لى بعض من قصصه تلك بواسطتين عمّن حضر مجلسه، وكانت مجالسه تقام فى الصحن الشريف فى ظهيرة يوم عاشوراء من كل عام بعد انتهاء المجالس الأخرى حيث كانت تعجّ بجماهير غفيرة، وأحياناً كان يتحدث قبل ساعة من موعده، ويقول أحياناً: «لا أريد أن أقيم مجلس ندب ونواح فقد سمعتم منها ما يكفى طيلة الليل وحتى الظهيرة، لكنّنى أريد أن أوجّه بضع كلمات باسمكم إلى الإمام الحسين سلام الله عليه » ... وكان مجلساً مميّزاً حقّاً. كما دوّن المرحوم الدربندى كتاباً مسهباً عن الإمام الحسين سلام الله عليه يحمل عنوان «إكسير العبادات».

كان المتحدّث تلميذ الشيخ الأنصارى يعرف الشيخين جيداً، ويعلم أنّ مرجعية الشيخ الدربندى لا تضاهى مرجعية الشيخ الأنصارى، لذلك أثارت فخامة قصر الشيخ الدربندى فى تلك الرؤيا السؤال فى نفس تلميذ الشيخ الأنصارى ليسأل الملك عن سبب ذلك، لأنّه من المتوقع أن يكون قصر الشيخ الأنصارى أكثر فخامة وعظمة، فأجابه المَلَك قائلاً: هذا ليس جزاء أعمال الدربندى، بل هو هدية له من قِبل الإمام الحسين سلام الله عليه.

سيد الشهداء عليه السلام يلى حساب الناس

روى عن الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه قوله: إن الذى يلى حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن على عليهما السلام، فأما يوم القيامة فإنّه هو بعث إلى الجنة وبعث إلى النار().

كلنا سنرحل عن هذه الدنيا وسنحاسَب على أعمالنا فى ثلاث محطات – أعاننا الله عليها – حيث نُقل فى بعض الروايات أنّه عند الموت، يؤتى بروح الإنسان عند الله الرحمن الرحيم لتُسأل، وحسب الرواية فإنّ الجسد لا يرفع من مكانه ما لم يتمّ الانتهاء من الحساب. وهناك حساب ثانٍ قبيل يوم القيامة، وثالث فى يوم القيامة. وتصرّح الرواية المذكورة بأنّ حساب البرزخ للمؤمن والكافر فرادى وجماعات هو من اختصاص سيد الشهداء سلام الله عليه فقط. إذن كلنا سنواجه الإمام الحسين سلام الله عليه وسنكون مسؤولين أمامه، وقد خصّه الله جلّ وعلا بخصوصية لم يخصّ جدّه أو أباه وأمّه أو أخاه بها– مع أنّهم جميعاً يفوقونه فى المنزلة– هذه الخصوصية هى فى حسابه للخلق قبل يوم القيامة.

لقد كان قبر الإمام الحسين سلام الله عليه فى عرض الصحراء حيث لا أثر أو علامة تميّزه، ولم يكن باستطاعة أحد الاهتداء إليه وزيارته من غير دليل مرشد، ومن ناحية ثانية، كان الجواسيس منتشرين فى تلك الناحية ومأمورين بالقبض على كل زائر يتّجه صوب القبر، لتسليمه إلى السلطات. وقد أدخل هذا الأمر الرعب فى قلوب الجميع، ولم يكن أحد ليجرؤ على الزيارة!

يقول عبد الله بن بُكير أحد أقرب أصحاب الإمام الصادق سلام الله عليه الذى نقل عنه روايات كثيرة: قلت له (أى للإمام عليه السلام):

إنى أنزل الأرجان وقلبى ينازعنى إلى قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبى وجل مشفق حتى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالح؟ فقال الإمام سلام الله عليه: يابن بكير أما تحبّ أن يراك الله فينا خائفا؟ أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظلّه الله فى ظلّ عرشه وكان محدّثه الحسين عليه السلام تحت العرش وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة يفزع الناس ولا يفزع فإن فزع وقرته الملائكة وسكنت قلبه بالبشارة» ()

إن الكثير منا قد قرأ قوله تعالى?: فى يوم كانَ مِقْدارُهُ خَمْسينَ أَلْفَ سَنَةٍ(). ?فى ذلك اليوم العصيب الذى ينشغل كلٌّ بنفسه ومصيره، هناك مكان آمن يرفل بالطمأنينة والسكينة ألا وهو ظلّ العرش حيث يقف الإمام الحسين سلام الله عليه، فأولئك الذين تحمّلوا المشاقّ والهوان فى سبيله سلام الله عليه سيحظون بشرف التحدّث والأمن، أمّا الذين لم يسيروا فى ذلك الطريق ولم يتحملوا الصعاب فيه فسيحرمون هذه النعمة العظيمة.

ذخر ليوم الحساب

علينا أن نتزوّد ليوم الحساب مادامت الفرصة سانحة، حيث يقول الإمام على سلام الله عليه: فإنكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم().

وفى رواية أخرى له سلام الله عليه: فإن اليوم عمل ولا حساب، وإنّ غداً حساب ولا عمل()، لا يستطيع الإنسان يومئذ إضافة حسنة لصحيفة أعماله ولا محو سيئة منها.

لهذا، وبسبب انقطاع الأموات عن العمل فى الدار الآخرة - من ذكرٍ ينفعهم أو حسنة تضاف لهم – تراهم يتحسّرون ويحسدوننا على كل لحظة من لحظات حياتنا، فى حين أننا على العكس منهم، نستطيع أن نصحّح أخطاءنا ونعوّض عما فاتنا.

بعبارة أخرى: إنّ صلاتنا وصومنا وحسن أخلاقنا ومعاشرتنا فى الأسرة والمجتمع وكلّ ما يصدر عنّا من عمل صالح، كلّ ذلك حسابه عند الله تعالى، أمّا الخدمة فى سبيل الإمام الحسين سلام الله عليه فلها وضع خاصّ عمّا سبق من الأعمال، والإمام سلام الله عليه وحده الذى أعطاه الله أن يثيب عليها، فهنيئاً لمن ضاعف من خدمته على هذا الطريق.

قد لا يخطر هذا الشيء على بال بعض، ويسأل: هل هذا معقول؟

جواباً على ذلك نقول: بأنّ الله سبحانه وتعالى قد خصّ الإمام الحسين سلام الله عليه بامتيازات دون غيره، فمثلاً: طبقاً للعديد من الروايات يكره المشى حافى القدمين حتى على الأرض الطاهرة، كما يكره لمن يرتدى زيّاً خاصّاً مثل العمامة والعباءة أن يخرج بدون عباءة، وهذه الكراهة تصدق فى جميع أيّام السنة، فى حين جاء فى رواية صحيحة عن عبد الله بن سنان – نقلها الشيخ عباس القمى فى كتابه مفاتيح الجنان، والعلامة المجلسى فى بحار الأنوار، والشيخ الحرّ فى الوسائل وكذلك نقلها شقيقنا المرحوم() فى كتاب الدعاء والزيارة فى أعمال يوم عاشوراء- ما يستفاد منها أنّ من كان يضع العباءة طوال العام يستحبّ له أن يخلعها فى يوم عاشوراء، ومن كان ينتعل يستحب له أن يخلع نعليه فى ذلك اليوم().

كما ورد فى روايات أنه يكره الصلاة بلباس أسود، لأنّ السواد يقلّل من ثوابها، كما يكره الطواف بلباس أسود، ويكره أيضاً الجزع على الميّت وهو غير الحزن والبكاء، فالجزع يعنى العويل على الميّت، أو الضرب على الرأس واللطم على الوجه، لكنّ الجزع ولبس السواد على الإمام الحسين سلام الله عليه ليس مكروهاً، بل هو مستحبّ.

فكلّ الامتيازات التى خصّ الله تعالى بها الإمام الحسين سلام الله عليه لم يخصّ بها أحداً من المعصومين سلام الله عليهم، وبعض الأمور التى تكره فى مواضع أخرى هى مستحبّة إذا كانت فى سبيل الإمام الحسين عليه السلام بل تُعدّ فضلاً وثواباً، هذا علاوة على الثواب الإلهى جزاءً على فعل الطاعة.

فالله تعالى قد أكرم الإمام الحسين سلام الله عليه بقائمة طويلة من الامتيازات، وعلى هذا الأساس، فإنّ أولئك الذين يتحمّلون قسطاً

أكبر من الشدائد والصعاب سيغبطهم عليها غيرهم وآخرون يتحسرون لها. وفي الحقيقة، إنّ مثل الآخرة كمثل أسواق الدنيا، من يعمل ويكدّ أكثر، يكون ربحه في نهاية الموسم أكبر، ومن كان عمله أقلّ كان ربحه بطبيعة الحال أقلّ من غيره، مع فارق واحد وهو أنّ كلّ ما يجمعه الإنسان في سوق الدنيا قلّ أو كثر فهو سراب، بينما خدمته لسيد الشهداء سلام الله عليه هي الثروة الحقيقية وهو ما يتجمّع له من الذخر الذي يستطيع أن يأخذه معه لآخرته، بينما لا يستطيع المرء أن يشترى بأموال الدنيا الزائلة حتى حسنة واحدة.

يقول سيّد الشهداء سلام الله عليه مخاطباً أصحابه: واعلموا أنّ الدُّنيا حُلْوُها وَمُرُّها حُلم(). أحياناً يرى الإنسان أحلاماً سعيدة، لكن ما إن يصحو من نومه حتى يتحسّر على كونها مجرّد أحلام، وكذلك الحال حينما يرى كابوساً، يسعد في صحوته لكونه كان كابوساً لا حقيقة، وبالنسبة لنا عندما ننتقل إلى الآخرة سنرى بأنّ الدنيا لم تكن إلا حلماً قد انتهى، إلا أن الخدمات التي قدّمناها على طريق محبة الإمام الحسين سلام الله عليه باقية، وكلما كانت هذه الخدمات أكبر كانت فرحتنا أعظم.

صيانة المكاسب

إن للمدرسة الحسينية عطاءً لا ينفد، ومكاسب لا تبلى، وهي تجسّد عظمة سيد الشهداء سلام الله عليه. فهو إمامنا ومثلنا الأعلى، فلنرَ ماذا قدّم لنا حتى نسلك طريقه ونتبع أثره، وهاهنا نستعرض بعض المكاسب التي جادت بها المدرسة الحسينية على الإنسانية، علّنا ننتفع بها في حياتنا:

أحد الأعمال التي قام بها الإمام الحسين سلام الله عليه هو تقديمه الماء لأصحاب الحرّ الرياحي، فمن هم يا ترى أصحاب الحرّ. إنّهم جماعة كلّفهم ابن زياد بمهمة اقتياد الإمام الحسين سلام الله عليه إليه، وكان الإمام سلام الله عليه قد قال: «حتى لو استسلمت لهم، فلن يتورّعوا عن قتلي»، نعم، إنّهم جاءوا لمحاربة الحسين سلام الله عليه وقتله في حال عدم استسلامه، لكنّ الحرّ رجع إلى نفسه وتاب في يوم عاشوراء بعد الذي بدر منه في البداية، فتاب الله عليه وكذلك عفا عنه الإمام سلام الله عليه. والآن لنرَ ماذا فعل أصحاب الحرّ؟ فريق منهم رمى الإمام بوابل من سهامه، وفريق آخر حاربه بالرمح والسيف، وأولئك الذين لم يكن معهم سلاح أمطروه بقطع الخشب والحجارة، كما ساهم بعضهم في قتل على الأكبر سلام الله عليه، ومنهم من رمى أبا الفضل العباس بالسهام. وكان الإمام سلام الله عليه يعرفهم ويعرف نواياهم، لكن مع ذلك سقاهم الماء، وهنا نسأل غير معترضين: «يا أبا عبد الله لماذا سقيتهم الماء؟». الجواب: هو أنّ الله تعالى يريد من الإنسان أن يخدم أخاه الإنسان صالحاً كان أم شريراً، كافراً أم مسلماً، عادلاً أم فاسقاً، ولكن بشرط أن لا تكون تلك المساعدة علامة على تأييد مسلكهم الخاطئ.

لنحاول تعلّم هذه الدروس من الإمام الحسين سلام الله عليه وهي أن نستعمل ألسنتنا ومواقفنا في فعل الخير دائماً ومع الجميع دون استثناء، فإذا كان باستطاعتنا التفريج عن كربة مكروب فلا نتردد في ذلك، وإذا كان بإمكان المرء أن يساعد بماله أو لسانه أو التوسّط للمساعدة لصالح من يعرفه أو حتى من لا يعرفه، فليفعل.

وهنا نسأل: أليس قتلة الإمام الحسين سلام الله عليه هم شرّ خلق الله؟ لكن مع ذلك نرى الإمام سلام الله عليه نفسه في ذلك اليوم يترجّل عن فرسه ليسقي من ماء قربته أحد أفراد العدو الذي خارت قواه من شدّة العطش ولم يقوَ على النهوض. يقول بعض الرواة بأنّ ذلك الشخص كان أحد الذين شاركوا في قتل الإمام الحسين سلام الله عليه يوم عاشوراء، والإمام نفسه كان يعلم بهذا، ومع ذلك سقاه الماء.

هناك نقطة أخرى وهي: أن بعض محبّي أهل البيت سلام الله عليهم هم من الذين يقطنون في مختلف بلدان العالم غير الإسلامية، وهم بأمسّ الحاجة إلى الحسينيات والمساجد والمدارس والكتب لأبنائهم، فإذا كنتم لا تستطيعون بناء الحسينيات والمساجد، فعلى الأقل شجّعوا الآخرين على هذا العمل النبيل، أو المساهمة في الأعمال الثقافية المتعلقة بمواكب الإمام الحسين سلام الله عليه. فقد يتّصل بكم أحد الأقارب أو الأصدقاء أو يبعث لكم برسالة، أو قد تتّصلون أنتم بهم، فهذه فرص مناسبة لتشجيع الآخرين على تقديم

الخدمات فی سبیل الإمام الحسین سلام الله علیه، حتی لو بدأ المرء من نقطة الصفر، والإمام الحسین سلام الله علیه هو الکفیل بأن یأخذ بیده لیصل بعمله إلی النتیجة المطلوبة.

ابدأوا العمل فی هذا الطریق بأقلامکم وألسنتکم وتشجیعکم، وإذا کانت لدیکم استطاعة مالیة، مهما کانت متواضعة، فبادروا ولا تترددوا، فإن أعمالاً کهذه هی التی جعلت المرحوم الدربندی یحظی بقصر من لدن الإمام الحسین سلام الله علیه أفخم وأعظم من قصر المرحوم الشیخ الأنصاری مع ما لهذا الأخیر من مکانة ومنزلة مرموقة.

ونقطة أخری هی أنّه یمکنکم أن تضیئوا مصباح الهدایة الحسینی فی بیوتکم، وذلک من خلال إقامة مجالس العزاء الحسینیة العامة، فمن تمکّن من فعل ذلک فهنیئاً له، ومن لم یتمکّن فلیقم مجالس عزاء خاصة فی بیته، وإذا تعذّر ذلک أیضاً فیمکنه إقامة مجلس عزاء لأسرته فقط مع مشارکة جار أو قریب له. ولهذا العمل برکات دنیویة جلیّة تسبق برکاته الأخرویة.

بالإضافة إلی أنّ الحضور فی الحسینیات والمجالس العامة له أهمّیته کذلک، لکن من الأفضل أن ینقل المرء هذه البرکات إلی داخل بیته، وإذا لم یستطع تحمّل أعباء هذه المجالس، فلیکتف بأقلّها، وسترون بأمّ أعینکم کیف أنّ الله سیبارک بها وستتمکّنون حتی من الإطعام.

حفظ الأمانة

إنّ شبابنا هم أمانة الله وأهل البیت سلام الله علیهم فی أعناقنا، وقد حافظ أسلافنا علی الأمانة علی أحسن وجه وسلّمونا الدین ومضوا، لذلک علینا أن نسعی بدورنا أن نصون الأمانة الواصلة إلینا علی أتمّ صورة، لنسلّمها إلی الأجیال من بعدنا، فلنحاول أن لا یُحرم أیّ شابّ فی محلّتنا أو عشیرتنا أو بین أصدقائنا من المشارکة فی الحسینیات ومجالس العزاء، وإذا کنّا نعرف شباباً کهؤلاء فلنشجّعهم علی المشارکة فی هذه المجالس، ولندفع الشباب نحو المواکب الحسینیة والتی هی حبل النجاة من الضلال والجهل بکلّ وسیلة متاحة، ولنکرّر محاولاتنا معهم مرة وثانیة وثالثة ... وهکذا، ولا نیأس من عدم استجابتهم، حتی ینضمّوا إلی الصفوف الحسینیة. فلو سألکم مولانا أبو عبد الله سلام الله علیه: «کان فلان شابّاً صالحاً، فلماذا لم تشرکوه فی هذه المجالس؟» وأجبتم: «یا مولانا حاولنا معه ولم یستجب»، فإنّه سلام الله علیه سیقول لکم: «هلّا حاولتم مرّة ثانیة»، فإن قلتم: «أرسلنا فی طلبه ولم یأتِ»، فسیقول لکم: «کان علیکم أن تشجّعوه..» فبم ستجیبونه حینئذ؟ لنحاول دفع الشباب باتجاه المواکب والشعائر الحسینیة، فهذه المسألة تحظی بأهمیة کبیرة، خاصة فی عالم الیوم حیث تحاول وسائل الأعلام المضلّلة وبشکل واسع إغراء الشباب وجذبهم نحوها. وعلینا أن نعلم بأنّ کلّ حسینیة هی بیت من بیوت الإمام سید الشهداء سلام الله علیه، فلنحاول تجنیب هذه الحسینیات من أن تتحوّل إلی مسرح لطرح الخلافات والنزاعات، بل علی العکس، لنجعل منها أماکن للاجتماعات والوحدة والوئام.

الاقتداء بسیّد الشهداء سلام الله علیه

إنّ المشارکة والخدمة فی المجالس الحسینیة فیها ثواب عظیم، ولکن الأمر لا ینتهی عند هذا الحدّ، فلم یکن یوم عاشوراء مناسبة للندب والتعزیة فحسب، بل کان وما یزال وقفة للتأسّی بدروسه والاقتداء بأبطاله، وعلیه یجب علینا أن نقتدی بسید الشهداء سلام الله علیه وأن نتأسّی به فی جمیع شؤوننا.

إن قضیة الإمام الحسین سلام الله علیه تتمیز بمیزتین هما العَبرة والعِبرة، وهاتان المیزتان متلازمتان. من هنا، فإنّ الذی یحظی بمنزلة أرفع وحرمة أکبر عند سیّد الشهداء سلام الله علیه هو الأقدر علی أخذ العِبرة منه سلام الله علیه وذرف الدمعة والعَبرة علیه، وعلی قدر السعی فی هاتین المسألتین یکون الثواب والجائزة، بعبارة أخری، إن توقّع الإمام الحسین سلام الله علیه من الأفراد یتناسب مع منزلتهم ومقامهم. ولم یهمل المعصومون سلام الله علیهم فی روایاتهم هذا الجانب أی منازل الأفراد، حیث یقول الإمام الصادق سلام الله علیه

لأحد أصحابه: إن الحسن من كل أحد حسن وإنه منك أحسن لمكانك منّا، وإن القبيح من كلّ أحد قبيح وإنّه منك أقبح ()....

وفيما يتعلّق بالنقطة الثانية وهى أخذ العبرة من سيد الشهداء سلام الله عليه، فقبل كل شيء يجب أن نعلم لماذا اختار الإمام سلام الله عليه وأبناؤه وأصحابه طريق الشهادة وبهذه الطريقة المفجعة، ولعلّ زيارة الأربعين تجيب عن تساؤلنا حيث جاء فيها: لِيَسْتَنْقِذَ عِبادَكَ مِنَ الجَهالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلالَةِ(). هنا استخدمت كلمة «عبادك»، وهى لا تخصّ الشيعة وحدهم، بل جميع العباد. فى الحقيقة، إن الإمام الحسين سلام الله عليه باستشهاده قد فتح مدرسة العبرة للجميع، ليقارعوا الظلم ويتحمّلوا الشدائد والمصاعب حتى يذوقوا طعم السعادة. فالإمام سلام الله عليه أراد أن ينجى العباد من الجهل والضلال والتيه، فإذا أردنا أن نتقرّب منه أكثر علينا أن نبذل ما نملك فى خدمة هذه القضية.

إنّ الإمام الحسين سلام الله عليه استشهد من أجل ثلاثة أهداف: أصول الدين، والأحكام الشرعية، والأخلاق الإسلامية، فمن أراد البرهنة على ولائه لسيد الشهداء سلام الله عليه وأهدافه السامية عليه أن يسعى لتحقيق هذه الأهداف الثلاثة التى استشهد من أجلها الإمام سلام الله عليه، وأن يضعها على رأس أولوياته، لتقرّ عين الإمام الحسين سلام الله عليه والإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف. ولنعلم بأنّه على قدر هممنا فى المضى فى هذا الدرب، تكون عنايتهما ولطفهما تجاهنا.

نور الله

ميزة أخرى للإمام الحسين سلام الله عليه نرويها هنا نقلاً عن كتاب (كامل الزيارات) وهى قول سيدتنا زينب الكبرى سلام الله عليها: وَلْيَجْتَهِدَنَّ أَئِمَّةُ الكُفْرِ وَأَشْياع الضَّلالة فى محوه وتَطميسِهِ فَلا يَزْدادُ أثره إلاّ ظُهوراً وَأَمْرُهُ إلاّ عُلوّاً().

إنّ التصدّى والقمع يؤدّيان إلى إضعاف واضمحلال السلطة وأهمّ من ذلك الفكر أحياناً، ولكن بالنسبة لمواكب سيد الشهداء سلام الله عليه كان الأمر على العكس، فكلما كان القمع والضغط يشتدّان، كان نورها يشتدّ ويقوى، وكلما كان عدد المعارضين والمتصدّين لهذه المواكب يزداد كانت المواكب تترسّخ وتصلب.

فى الماضى كانت طقوس محرّم والمجالس الحسينية مقتصرة على المناطق الشيعية وأحياناً بعض المناطق الإسلامية، أمّا الآن، وبسبب السياسات التى اتّبعت لمحو هذه الطقوس، نرى أنّ النطاق الجغرافى لإقامة هذه الطقوس والمراسم بدأ يتّسع ليشمل مختلف أرجاء العالم بما فيها البلاد غير الإسلامية، وهذا هو معنى الظهور الوارد فى الرواية. ونتيجة لهذا الانتشار، أصبح الذين لم يسمعوا باسم الإمام الحسين سلام الله عليه يتعاطفون معه ومع أهدافه فى الثورة ومحاربة الظلم، وبدأوا يدخلون فى الإسلام، وأصبحوا هم أنفسهم عاملاً مهمّاً فى إقامة هذه الشعائر.

نقطة أخرى تشير إليها السيدة زينب سلام الله عليها أيضاً وهى علوّ الأمر الوارد فى الرواية أعلاه (وهو كل ما يرتبط بالمواكب الحسينية). ففى الأيام السالفة كانت مجالس العزاء تقام فى المحلات السكنية والحسينيات والتكايا و ... إلخ، فكان الحاضرون لهذه المراسم هم الذين يشهدون وقائعها، أما اليوم، وفى ظل التقدّم الكبير فى وسائل الاتصال، يمكن لجميع الناس مشاهدتها عن طريق وسائل الإعلام كالتلفزيون وغيره، وأن يشهدوا وقائعها عن كثب، وهذا هو معنى علوّ الأمر.

سبايا أهل البيت سلام الله عليهم فى ساحة المعركة

حينما أراد جيش عمر بن سعد فى اليوم الحادى عشر من محرّم اقتياد السبايا إلى الكوفة، كان الإمام السجّاد سلام الله عليه من شدّة ما ألمّ به من مرض لا يقوى على ركوب الناقة، لذلك قاموا بربط رجليه من أسفل بطن الناقة. وعندما اقتيد السبايا من وسط ساحة المعركة، رمت النسوة والصبية بأنفسهم على جثث الشهداء، أمّا الإمام السجّاد سلام الله عليه فلم يستطع فعل ذلك، ويقول فى هذا الشأن: فكادت نفسى تخرج وَتَبَيَّنَت ذلك منى عَمَّتى زينب ()....

العقيلة زينب ليست ضمن المعصومين سلام الله عليهم، لكنّها صاحبة «العصمة الصغرى»، ومكانتها تأتى بعد مكانة المعصوم سلام الله عليه مباشرة، لذلك عندما رأت الإمام السجّاد سلام الله عليه يوشك أن يلفظ أنفاسه، تركت جثث الشهداء وتوجّهت إليه سلام الله عليه، وذكرت له بعض الأمور – والتى طبعاً هو أعلم بها– حتى هدأ قليلاً. وقد أخبرت العقيلة زينب ابن أخيها سلام الله عليهما بأنّ هذا الحال لن يدوم، فسوف يأتى زمان يقيم أناس مجالس عزاء للإمام الحسين سلام الله عليه ويحيون ذكراه. وهكذا أسكنت روعة قلبه الشريف قليلاً.

أسأل الله ببركة سيّد الشهداء سلام الله عليه – هذا الإمام الهمام الذى هو منشأ البركات فى الدنيا والآخرة – أن يوفّقنا أكثر فأكثر على طريق خدمته سلام الله عليه وأهدافه الرفيعة ومجالسه المباركة. وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة التاسعة●

سيرة الإمام زين العابدين سلام الله عليه

سيرة الإمام زين العابدين سلام الله عليه

اشارة

استعراض لخطط بنى أمية للقضاء على الإسلام

والأدوار العظيمة التى نهض بها الإمام زين العابدين سلام الله عليه

للحفاظ على الرسالة

●تقرير المحاضرة التى كان قد ألقاها سماحته فى الثامن والعشرين من محرم الحرام عام ۱۳۹۹ه. ذكرى استشهاد الإمام زين العابدين عليه آلاف التحية والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين. واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

قال الله الحكيم فى كتابه: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم}.()

مقدمة

اتفقت كلمة المسلمين بمذاهبهم المختلفة على أن هذه الآيات المباركة نزلت فى أئمة المسلمين، أى أئمة أهل البيت الاثنى عشر، وهم على وبنوه سلام الله عليهم.

ومعنى الآية واضح وهو وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة الاثنى عشر سلام الله عليهم بعد طاعة الله تعالى، لأن المقصود بأولى الأمر من جعل الله بيدهم أمر المسلمين.

فى الآية الكريمة نكتة نقف عندها ثم ننتقل للحديث عن دور الإمام زين العابدين سلام الله عليه.

لقد كررت الآية المباركة فعل الأمر? أطيعوا ?عندما ذكرت وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وآله ولكنها لم تكرره عند ذكر أولى الأمر سلام الله عليهم، فما هو الوجه؟

بتعبير آخر: لماذا لم تقل الآية: (أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم) بدون تكرار كلمة (أطيعوا)، ولا قالت: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولى الأمر) بذكر الفعل (أطيعوا) ثلاث مرات، لأن الذين تجب طاعتهم ثلاثة أيضاً؟

يقول المحققون من المفسرين إن الله تعالى نبّه بهذا التفريق (إذ قال: أطيعوا الله، ثم فصل بين الرسول وأولى الأمر بفعل جديد وقال:

وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) إلى أن طاعة الله تختلف عن طاعة من سواه وإن كان ممن تجب طاعته أيضاً كالرسول وأولى الأمر. فدارسو البلاغة والأدب العربى يدركون أن تكرار الكلمة فى العطف (كما لو قلت جاء فلان وجاء فلان وجاء فلان) لابد وأن يرمز أو يشير إلى تغيير ما فى المعنى، كما أن عدم التكرار (كما لو قلت جاء فلان وفلان وفلان) ينبئ إلى عدم الفرق.

وهنا عندما قال الله تعالى?: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ?فكرر كلمة الأمر بالطاعة للرسول وأولى الأمر بعد ذكر الأمر بالطاعة لله تعالى، فمعناه أن طاعة الله شىء وطاعة الرسول وأولى الأمر معاً شىء آخر، وعدم الفصل بين طاعة الرسول وأولى الأمر بفعل جديد إشارة إلى أنهما من جنس واحد، وتنبيهاً إلى أن الأصل والأساس فى الطاعة هى طاعة الله سبحانه، وأن طاعة الرسول وأولى الأمر فرع طاعته عز وجل؛ وذلك لأن الله تعالى هو الذى خلقنا فجعلنا شيئاً بعد أن لم نكن شيئاً، وجعلنا ذا أشياء بعد أن لم يكن عندنا شىء، فأعطانا الصحة والقدرة والمال والجاه وكل شىء، وسخّر لنا كل الطاقات التى خلقها فى الكون بعد أن أوجدنا من العدم؛ قال تعالى?: هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً()، ?وسخّر لنا الشمس والقمر والبر والبحر وكل شىء، كما صرّح سبحانه فى آيات أخرى()، ولهذا يجب علينا أن نطيع الله تعالى لأنه هو الذى خلقنا وأوجدنا ومنحنا كل شىء.

إذن الطاعة فى الأساس هى لله سبحانه، أما رسول الله صلى الله عليه وآله فلو لم يأمرنا الله تعالى بطاعته لما كانت واجبة علينا، لأنه صلى الله عليه وآله مخلوق لله كما نحن مخلوقون لله أيضاً، ولكن الفرق بيننا وبينه صلى الله عليه وآله هو أن الله تعالى أمرنا بطاعته، فطاعته أصبحت واجبة ولازمة علينا لأن الله أمرنا بها.

إن طاعة النبى وطاعة الإمام من طاعة الله تعالى. ولو أن الله تعالى أمرنا بطاعة عبد غيرهم لأطعناه.

وهذا هو الحق فنحن إنما نعتقد بإمامة على بن أبى طالب سلام الله عليهما ونقول بإمامة ولديه الحسن والحسين سلام الله عليهما، وهكذا إمامة سائر الأئمة من أبناء الحسين سلام الله عليهم لأن الله تعالى هو الذى أمرنا بذلك. ولو أمرنا الله سبحانه وتعالى بطاعة آخرين بدلاً من طاعة على بن أبى طالب وأبنائه سلام الله عليهم لامتثلنا.

إذاً طاعة الله تعالى أصلية أما طاعة الرسول والإمام فهى طاعة فرعية تتفرع على طاعة الله. فحيث إن الله تعالى تجب طاعته، وقد أمرنا بطاعتهم، وجبت طاعتهم أيضاً؛ امتثالاً وتنفيذاً لأمره تعالى.

وحيث كانت طاعة النبى والإمام فى سياق واحد، لذا لم يفصل الله تعالى بينهما بكلمة (أطيعوا) بل حذفها، خلافاً لطاعته تعالى، فقد فصل بينها وبين طاعة الرسول والأئمة، وكرر الفعل (أطيعوا) بياناً للفرق.

الأئمة نور واحد

لا شك أن الإمام زين العابدين سلام الله عليه هو من أولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، فلابد إذن أن نزيد من معرفتنا به. فنحن فى الغالب نعرف الكثير عن الإمام على بن أبى طالب سلام الله عليه؛ من خلال مواقفه وحروبه وشجاعته وخطبه ومختلف أدوار حياته، ونعرف الإمام الحسين سلام الله عليه بجهاده وتضحيته فى سبيل الله والحق، وثورته من أجل الإسلام والإبقاء على أحكامه، ولكن بعضاً منا قد لا يعرف عن الإمام زين العابدين سلام الله عليه وسائر الأئمة من ولده شيئاً سوى أنهم أئمة مفترضو الطاعة، مع أن اللازم علينا أن نعرف دور كل إمام منهم، وأن نعلم أن اختلاف معطياتهم وأدوارهم واختلاف أساليبهم فى الحياة وطريقة تعاملهم مع الناس والأحداث إنما ينبع من اختلاف الظروف، ومن ثم اختلاف الواجب الدينى الملقى على كلّ منهم حسب عصره الذى يعيش فيه.

وحيث كانت العصور متفاوتة، تفاوَت تصرف كلّ إمام حسب عصره، واختلف عن الإمام الذى يعيش فى عصر آخر وظروف أخرى. وهذا ما يفسر اختلاف سيرة الأئمة سلام الله عليهم دون أن يعنى أنهم مختلفون فيما بينهم، بل كلهم نور واحد، كما ورد فى الحديث الشريف().

إن مثل الأئمة سلام الله عليهم ليس كمثل اثنى عشر مصباحاً متماثلة بل مثلهم مثل مصباح واحد. وإذا كانوا كذلك فإن ما نلاحظه من

اختلاف فی سیرهم إنما یعود لاختلاف الأوامر التی تلقوها عن رسول الله صلی الله علیه وآله عن جبرئیل عن الله تعالی، بسبب اختلاف ظروفهم، کما نجد مثلاً أن حیاة رسول الله صلی الله علیه وآله فی مکة تختلف عن حیاته فی المدینة مع أنه صلی الله علیه وآله رسول لإله واحد ومأمور بتبلیغ مهمة واحدة وهی الإسلام، بل إن هذا الاختلاف ملاحظ حتی فی آیات القرآن الکریم. فالسور المکیة أی التی نزلت فی مکة المکرمة، تختلف فی طابعها العام عن السور المدنیة أی التی نزلت فی المدینة المنورة. إن السور المکیة تمتاز بغلبة الطابع العقائدی وتعنی بمسائل المعاد والنبوة والإمامة وأصول الدین والعقیدة، فیما تمتاز السور المدنیة ببیان أحکام الإسلام وفروع الدین کمسائل التیمم و الوضوء والصلاة والصوم والزکاة والحج والإرث والقضاء والحدود والدیات والنکاح والطلاق وسائر الأحوال الشخصیة کالعقود والبیع والشراء والمعاملات وما أشبه، دون أن یعنی ذلک أن القرآن مختلف بل هو قرآن واحد نزل من عند إله واحد علی صدر نبی واحد، ولکن الظروف فی مکة کانت تقتضی بأن تعنی الآیات بشؤون العقیدة والأصول فیما کانت ظروف المدینة تناسب بیان التشریعات والأحکام.

فکما أن اختلاف مواضیع سور القرآن لا یعنی اختلاف القرآن نفسه، فکذلک الحال بالنسبة للاختلاف الموجود فی سیرة النبی صلی الله علیه وآله والأئمة المعصومین سلام الله علیهم وإنما هو اختلاف نابع من اختلاف الظروف ومقتضیاتها، ولذلک نحن نعتقد أنه لو کان الإمام الحسین سلام الله علیه فی مکان الإمام الحسن سلام الله علیه لهادن معاویة بلا شک ولا ریب، ولو کان الإمام الحسن مکان الإمام الحسین لحارب یزید بن معاویة کما حاربه الحسین، وهکذا الحال بالنسبة لسائر أئمة آل البیت. وهذه حقیقة یدرکها کل من له أدنی إلمام بتاریخهم سلام الله علیهم.

دور الإمام السجاد سلام الله علیه

وههنا تساؤل قد یختلج فی القلوب، وهو: ماذا کان دور الإمام زین العابدین سلام الله علیه فی حیاته الشریفة؟

وقد یتبادر إلی الذهن سؤال آخر وهو: لماذا یجب أن نعرف أدوار الإمام سلام الله علیه وسیرته؟

والجواب: لأن الإمام یعنی من ینبغی لنا الائتمام والاقتداء به، یقول الإمام أمیر المؤمنین علی سلام الله علیه: ألا وإن لکل مأموم إماماً یقتدی به ویستضیء بنور علمه ()....

إذن یجب علینا معرفة سیرة الإمام لنهتدی بها ونقتدی به سلام الله علیه.

وفی الحدیث أیضاً – عن إمام الجماعة –: إنَّمَا جُعِلَ الإمامُ لِیُؤْتَمَّ بِهِ، فَلا تَخْتَلفُوا عَلَیْه. فَإذَا رَکَعَ فَارْکَعُوا ... وَ إذا سَجَد فاسْجُدوا ()...

فما الفائدة فی أن یکون السجاد سلام الله علیه إماماً لی ولک ولا نعرف عن سیرته شیئاً؟!

من الضروری إذن، أن نقرأ ولو مختصراً من سیرة أهل البیت سلام الله علیهم لتعلّق إسلامنا وإیماننا بمعرفة من أمرنا الله تعالی بطاعتهم.

ومن الکتب الجدیر قراءتها کتاب «الصحیفة السجادیة» للإمام السجاد زین العابدین علی بن الحسین سلام الله علیهما – هذا الکتاب الصغیر الحجم العظیم المحتوی الذی بذل العلماء أعمارهم من أجل سبر أغواره وکشف معانیه ومازالوا– حقیق بأن یقرأ بتدبر وإمعان لیُعرف من خلاله من هو الإمام زین العابدین سلام الله علیه، ومن هم أهل البیت سلام الله علیهم.

أما الجواب علی السؤال عن دور الإمام السجاد فهو أنه سلام الله علیه قام بالأدوار الثلاثة التالیة:

۱ شراء العبید وتربیتهم تربیة إسلامیة ثم عتقهم بعد ذلک.

۲ تعلیم الناس المسائل الشرعیة والأدعیة.

۳ تربیة الخواص من أهل بیته وأصحابه علی الخط الجهادی.

توطئة: خطط بنی أمیة للقضاء علی الإسلام

ولكن قبل بيان هـذه الأدوار والخطط الثلاث للإمام سـلام الله عليه لابـد أولاً من معرفـة الظروف التى كانت تحيط الإمام فى ظل حكم بنى أميـة.

•لقـد أنكر الأمويون كلّ ما جاء به الإسـلام منـذ البدايـة أى بـدءًا من شـيخهم أبى سـفيان الـذى قال فى جمعهم بعد أن اطمأن بعدم وجود أحـد من غيرهم: «والذى يحلف به أبو سـفيان ما من جنة ولا نار» ()، مروراً بابنه معاوية مؤسـس الدولة الأموية الذى كان يعمل جاهـداً لطمس اسم الرسول صـلى الله عليه وآله وصـرّح بـذلك لأحد ندمائه عندما سـمع المؤذن يقول: «أشـهد أن محمداً رسول الله» فقال معاوية: لا والله إلا دفناً دفناً () ... ثم بيزيد الذى أعلنها كفراً وفسقاً وضلالاً فكان فيما قال معلناً بذلك كفره:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحى نزل.()

ثم بسط مائدة القمار وشرب الخمر فى المحفل العام.

أجل، لقـد كان يزيـد بن معاويـة يشـرب الخمر ويعمل المنكرات كما كان يفعل ذلك من قبله أبوه معاوية، ولكنه كان -كأبيه أيضاً- يتستر على ذلـك، فكـان إذا أراد فعل المنكرات خرج من الشام إلى قريـة فى جنوب لبنان قريبـة من النبطيـة وصور تسـمى "حوارين" مازالت موجودة ومعروفـة إلى الآن وتبعد زهاء مئتى أو ثلاثمئة كيلو متر عن الشام، ولكنه بعد أن قتل الإمام الحسـين صـلوات الله عليه تصور أن الجو قد خلا له، وأنه قد حقق أمنيات جدّه وأبيه، ولذلك قام بما قام علناً أمام ملأ المسلمين مدعياً فى الوقت نفسه أنه خليفة رسول الله صـلى الله عليه وآله؛ يريد بذلك تشويه صورة الإسلام. وهذه كانت أولى خطط الأمويين فى مواجهة الإسلام بهدف القضاء عليه.

•أما الخطـة الثانيـة فتمثلت فى العمل ضد أهل البيت سـلام الله عليهم ومحاولة فصـلهم عن الأمة وتشويه صورتهم، و ذلك من خلال أساليب دنيئـة منها سب الإمام أمير المؤمنينسـلام الله عليه من على المنابر، روى العلامة المجلسـى عن الزمخشـرى فى ربيع الأبرار قوله: إنه كـان فى أيـام بنى أميـة أكثر من سـبعين ألف منبر يلعن عليهـا على بن أبى طالب بما سـنّه لهم معاويـة من ذلك. وفى ذلك يقول الشيخ أحمد الحفظى الشافعى فى أرجوزته:

وقد حكى الشيخ السيوطى أنه قد كان فيما جعلوه سنة

سبعون ألف منبر وعشرة من فوقهن يلعنون حيدرة()

•أما الخطة الثالثة لبنى أمية فتمثلت فى محاولة ترسيخ حكمهم بمختلف الطرق وأبشع الأساليب.

يقول أحد الغربيين: إن أقوى الحكومات التى حكمت البلاد الإسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله هى حكومة بنى أمية أى إنها كانت أقوى من حكومات العباسـيين والعثمانيين والأدارسـة والحمدانيين والفاطميين وغيرهم فقد أرسـى الأمويون دعائم حكمهم بنحو لا يكون القضاء عليهم أمراً هيناً، ولكنا والقول للباحث الغربى نرى أن هذا الحكم كان أقصـر عمراً من كل الحكومات التى تلته، وما ذلك إلا لظلم بنى أمية وغيهم وانكشاف حقيقتهم بسرعة.

وكان للإمام زين العابـدين سـلام الله عليه الـدور الكبير فى تحطيم حكومـة بنى أمية، فقد أطلق الإمام الحسـين سـلام الله عليه الشـرارة الأولى وتابع الإمام زين العابدين سلام الله عليه المسار حتى آل الأمر إلى انهيار هذه الحكومة الجائرة وزوالها إلى الأبد.

أدوار الإمام السجّاد سلام الله عليه

ولم يكن دور الإمام زين العابـدين مشابهاً لـدور أبيه الحسـين سـلام الله عليهما لأنه لو كان يطلق كلمـة واحـدة ضد النظام فإنها كانت كفيلة بالقضاء عليه وإنهاء حياته المباركة، ولذلك انتهج سلام الله عليه أساليب أخرى، منها:

۱. شراء العبيد و عتقهم فى سبيل الله

كان الإمام زين العابدين سلام الله عليه يشترى العبيد و الإماء بكثرة، وكانت عنده بساتين وبيوت كان معظمها ملكاً خاصاً له سلام الله عليه ومن الأراضى ما وصلته عن جده الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، والتى ساوم عليها معاوية بن أبى سفيان يوم كانت بيد الإمام الحسين سلام الله عليه فرفض أن يعطيها له، مع أن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه كان قد نحلها الإمام الحسن سلام الله عليه ومن بعده للإمام الحسين سلام الله عليه وأنه يحل لمن كانت بيده بيعها إذا احتاج إلى ثمنها، وكانت أراضى واسعة عملت فيها يد أمير المؤمنين سلام الله عليه فى الزرع والحرث وإخراج الماء والسقى. وعندما انتقلت ملكية هذه الأراضى إلى الإمام زين العابدين سلام الله عليه استفاد منها فى هذا المجال. فكان يملأها بالعبيد والإماء الذين لا عمل لهم، ما خلا القليل الذين يقومون بالخدمة، وكان يهدف الإمام من وراء ذلك أن يشاهدوا سيرته فيتأثروا بها حتى إذا ما حال الحول أعتق منهم من رآه قد اكتسب من أخلاقه وفكره عليه السلام و بلغ تأثره به حداً يؤهله لأن يؤدى دوراً إيجابياً فى المجتمع، فكان الإمام سلام الله عليه يخلى سبيل العديد منهم بعتقهم لوجه الله الكريم. فكان هؤلاء العبيد والإماء يتحدثون عن سيرة الإمام وعبادته وزهده وتقواه وينشرون الإسلام الصحيح الذى لمسوه فى سلوك الإمام بين الناس. ومن ذلك ما حدثت به إحدى جوارى الإمام سلام الله عليه حين قالت: ما فرشت له فى ليل فراشاً قط ولا قدمت له فى نهار طعاماً قط (). أى أن الإمام سلام الله عليه كان صائماً نهاره قائماً ليله.

من رأى ليس كمن سمع

ولا شك أن النظر غير السمع، وأن تأثير الأول يفوق تأثير الثانى كثيراً. والدليل على ذلك ما نلاحظه من أن بعض الذين يحضرون مجالس العزاء الحسينى لا يبكون فى كل مرة يستمعون المصيبة، وذلك بسبب تكرر سماعهم لتفاصيل المصيبة التى حلّت بالإمام الحسين سلام الله عليه وأهل بيته وأصحابه. فالدموع لا تجرى من أعينهم لأن الألم وإن كان يعصر قلوبهم ولكن العصرة لا تبلغ من القوة بحيث تجرى الدموع، ولكن لو مثلت لهم الواقعة أو جانباً منها، بل لو جىء بطفل رضيع فقط ورُفع تذكيراً للناس برضيع الحسين سلام الله عليه كما يُفعل فى التشابيه عادة، فإن الدموع حينذاك ستنهمر من الأعين بمجرد رؤيتها لهذا الطفل الرضيع! وما ذلك إلا لأن للمنظر تأثيراً يفوق تأثير السمع بمراتب.

هناك مثل يقول: صورة واحدة خير من ألف كتاب. أى لو أنك قرأت عن موضوع ما ألف كتاب، ثم نظرت إلى صورة واحدة عن الموضوع نفسه، فإن التأثير الذى تتركه الصورة يفوق التأثير الذى تركته قراءة ألف كتاب؛ لأن الأثر الذى تتركه الصورة فى نفسك قد لا ينمحى أبداً فى حين أن الأثر الحاصل من القراءة قد لا يستمر لأكثر من أشهر أو أعوام على أكثر تقدير!

إذا اتضح هذا، نقول: إن الإمام زين العابدين سلام الله عليه كان يأتى بهؤلاء العبيد لكى يتعلّموا عبادته وتقواه حين يبصروه بأعينهم فيتأثروا بهما، ويعكسوا ما شاهدوه بدورهم إلى المجتمع حين يعتقهم الإمام سلام الله عليه.

يقول أحد أصحاب الإمام زين العابدين سلام الله عليه: نظرت إلى الإمام وقد وقف إلى الصلاة فلما كبّر وقفت كل شعرة فى بدنى()، أى أن تكبيرة الإمام وحدها كافية لخلق التحول والتغيير لدى من يراه!

إننا لم نشاهد كيف كان يكبّر الإمام ولا أسلوبه فى القراءة، ولكن هذه الأمور الصادرة عن المعصوم سلام الله عليه جديرة بأن تغيّر الإنسان حقاً، وإلا لما كان هؤلاء العبيد والإماء وغيرهم يتأثرون ويتغيّرون، ثم يخرجون للناس يحملون معهم يواقيت الحكمة ولآلئ الأخلاق.

إننا نكبّر للصلاة أيضاً ولكن تكبيرة الإمام تختلف عن تكبيرتنا من حيث الإخلاص والخشوع، ولذلك تترك ذلك التأثير الذى عبّر عنه الراوى الرائى لتكبيرة الإمام سلام الله عليه.

آية الله البروجردى مثالاً

لقد أسس آية الله البروجردى رحمه الله مركزاً إسلامياً فى مدينة هامبورغ فى ألمانيا، وبعث مبلّغاً دينياً هناك.

قيل: فطُلب من هذا المبلّغ فى هامبورغ أن يعطيهم صورة للسيد البروجردى لعرضها فى (التلفزيون). ففكر المبلّغ أى صورة ستكون مؤثرة جداً لو عرضت، وانتهى تفكيره إلى أن يعطيهم صورة السيد وهو يتوضأ لأنها ستكون مؤثرة جداً فى نفوس مشاهديها؛ لما تعكس من خشوع السيد حال تهيئه للقاء الله تعالى فى الصلاة.

لا شك أن أفعال الوضوء التى يأتى بها السيد البروجردى لا تختلف عن الأفعال التى يؤديها سائر المتوضئين من المسلمين ممن هم على مذهب أهل البيت سلام الله عليهم على الأقل.

يقول هذا المبلّغ: ما إن عرض هذا الفيلم الذى يصوّر وضوء السيد البروجردى حتى أثار فى نفوس المشاهدين روح الحب والولاء، وأسلم فى اليوم نفسه عشرة من النصارى ممن شاهدوا الفيلم.

فإذا كان هذا تأثير مشاهدة صورة وضوء السيد البروجردى - وهو بمثابة تلميذ تلميذ تلميذ الإمام زين العابدين سلام الله عليه - فكيف بالتأثير الذى يتركه سلوك الإمام نفسه على من يشاهده؟!

مثال آخر

لقد رأيت بنفسى فى مدينة كربلاء المقدسة قديماً أحد المراجع

رحمه الله وكان شيخاً مسناً ذا لحية بيضاء، إذا حضر مجالس العزاء فى أيام محرم الحرام يبكى قبل أن يبدأ الناس بالبكاء، لأنه كان رجلاً بكّاءً شديد التألم لما حلّ بالإمام الحسين سلام الله عليه، ولكنه كان يحبس بكاءه فلا يبكى بصوت عال فكان يبدأ البكاء عادة والخطيب بعد فى أول ذكر المصيبة، فكان يبكى بصوت خافت ولكن وجهه كان يحمر وأكتافه تتحرك وجسمه كلّه يهتز، وعيناه تهملان بالدموع، فكان كل من يراه

وأنا من جملتهم يتأثر لبكائه فيبكى، فكان الناس يبكون لهذه الصورة أكثر مما يبكيهم ما يذكره الخطيب!

فإذا كان لهذا العالم المسنّ كل هذا التأثير فى من يراه، فكيف بالإمام زين العابدين سلام الله عليه وهو جبل العلم والتقوى؟ فلا عجب أن تكون نظرته مؤثرة، وتكبيره مؤثراً، بل لابد أن يكون مؤثراً فى كل حركة من حركاته بل حتى فى سكونه.

مع الإمام مرة أخرى

لقد كان الإمام زين العابدين سلام الله عليه يستطلع أحوال عبيده وإمائه فى كل عيد، وربما فى بعض أيام الجمع. فإن وجد فيهم من بلغ تأثره وتلقيه حداً مناسباً، بادر إلى عتقه وتحريره فى سبيل الله تعالى. ومن الطبيعى أن أكثر هؤلاء العبيد لم يكونوا من أهل المدينة بل كانوا كفاراً فى الأصل من بلاد أجنبية أسروا فى الحروب الإسلامية وجيء بهم إلى المدينة، فاشتراهم الإمام سلام الله عليه. فكان كل فرد منهم يعتقه الإمام سلام الله عليه يعود إلى بلده، وكان بعضهم يذهب إلى الشام وآخرون يذهبون إلى العراق وجماعة إلى اليمن أو البحرين والحبشة وغيرها، وكلّهم يحملون الولاء لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام. فكانوا مبلّغين أشدّاء للإسلام ولآل البيت سلام الله عليهم.

وهكذا عمل الإمام سلام الله عليه على هذه الطريقة طيلة عمره الشريف يخرّج الدعاة العاملين ويصنع الوعاة والمحبين وينشر المبلّغين الصادقين فى ربوع البلاد الإسلامية وغيرها.

وهكذا استطاع سلام الله عليه أن يقوّض حكم بنى أمية بأمور أحدها هذا، دون أن يخوض حرباً عسكرية ضدهم لأنه لم يكن بإمكانه أن يجرّد السيف فى ظل تلك الظروف البالغة الشدة والقساوة.

۲. تخريج الفقهاء والعلماء

الدور الثانى الذى نهض به الإمام زين العابدين سلام الله عليه هو أنه ربّى فقهاء حملوا على عاتقهم حفظ شريعة الإسلام. ولقد خطط الإمام سلام الله عليه لتربيتهم بنحو يكونون مرضيين عند الخاصّة والعامّة جميعاً. ولو راجعتم كتاب المراجعات للسيد شرف الدين رحمة الله عليه لرأيتم أنه يذكر قائمة بأسماء مئة شخصية من أصحاب الأئمة الأطهار سلام الله عليهم ممن وردت أسماؤهم فى الصحاح الستة للعامة، أى من المعتمدين لديهم. ولو دققتم النظر فيهم لاكتشفتم أن أكثرهم من تلاميذ الإمام زين العابدين سلام الله عليه ومن خرّيجى مدرسته المباركة، الأمر الذى يشير إلى أن الإمام زين العابدين سلام الله عليه عنى بهؤلاء الفقهاء ورباهم تربية خاصة لكى يعتقد بهم علماء العامة أيضاً.

ومن هؤلاء الفقهاء: أبو حمزة الثمالى الذى يُنسب إليه دعاء الإمام زين العابدينسلام الله عليه فى أسحار شهر رمضان المبارك المعروف بدعاء أبى حمزة الثمالى. فلقد كان أبو حمزة - وهذه كنيته أما اسمه كما فى كتب الرجال فهو ثابت بن دينار - بطلاً فى العلم والزهد، ومن الذين يعتمد عليه حتى علماء غير الشيعة من سائر المذاهب. ويقول عنه أصحاب الأسانيد فى كتبهم إذا ورد اسمه: عالم، ورع، تقى، زاهد، عدل ثقة، وأمثال هذه الكلمات.

نختصر فيما يلى تجنباً للإطالة، ونعيد التذكير بأن الإمام سلام الله عليه استطاع من خلال هذه الأدوار تقويض حكم بنى أمية الذى كان أقوى الحكومات ولكنه صار أقصرها عمراً، وما ذلك إلا بسبب شدة ظلمها وانحرافها، وكذلك للدور العظيم الذى نهض به الإمام سلام الله عليه فى القضاء عليهم وفى نشر الإسلام الأصيل بدل الإسلام الأموىّ.

يقول الإمام الصادق سلام الله عليه بعد أن يذكر عدداً من أمثال أبى حمزة: أنه لولا هؤلاء لاندرست آثار النبوة(). فهؤلاء هم الذين حفظوا آثار النبوة وأبقوا على أحكام الإسلام ونشروا مبادئه وتعاليمه وزرعوا حب آل البيت سلام الله عليهم فى النفوس.

۳. رعاية الخط الجهادى

إلى جانب تأهيل العبيد، وإعداد العلماء، عمل الإمام زين العابدين سلام الله عليه على تربية مجاهدين من أمثال ابنه زيد وحفيده يحيى وغيرهما من أولاد عمه الإمام الحسن سلام الله عليهم، فثار هؤلاء المجاهدون الأبطال فى وجه حكومات بنى أمية المتعاقبة حتى انتهى الأمر إلى تقويضها وانهيارها وزوالها بفضل نهج الإمام زين العابدين سلام الله عليه وإرشاداته.

فذلكم هو الإمام زين العابدين سلام الله عليه، فى جانب من سيرته العطرة ودوره وجهاده، فحرىّ بنا أن نتعرف على ذلك كله وأن نسير بسيرة الإمام سلام الله عليه، فإن نحن فعلنا ذلك فمعناه أننا استطعنا أن نساهم فى إبقاء الإسلام وإدخال الناس إلى حظيرة الدين والعقيدة الإسلامية الحقّة وخط أهل البيت سلام الله عليهم الذين قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله فى كتابه حيث قال?: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم. ?وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة العاشرة●

الحجّة المنتظرعجّل الله فرجه منّة الله على مستضعفى الأرض

الحجّة المنتظرعجّل الله فرجه منّة الله على مستضعفى الأرض

اشارة

فى ضوء الآية الكريمة

?ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا فى الأرض ونجعلَهم أئمّة? ...

•ألقيت هذه المحاضرة فى الأول من شعبان عام ۱۳۹۸ ه بمناسبة ذكرى

ميلاد منقذ البشرية الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه فى الخامس عشر من الشهر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى فى كتابه الكريم: {ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا فى الأرض ونجعلَهم أئمّة ونجعلهم الوارثين * ونمكّن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون}().

هاتان الآيتان المباركتان من الآيات الواردة فى صاحب الزمان المهدى المنتظر صلوات الله وسلامه عليه وعجّل الله تعالى فرجه الشريف. يشهد على ذلك - إضافة إلى الأحاديث الكثيرة المرويّة فى تفسير الآية() - ما تحمله الآية نفسها، ونعنونه فى النقطتين التاليتين:

أ. التأكيد على المستقبل

قد لا تجد فى القرآن الكريم كلّه آية مشابهة لهاتين الآيتين من هذه الجهة؛ حيث بلغ عدد أفعال المستقبل فيهما - على قصرهما - ستّة أفعال، وهى (ونريد.. أن نمنّ.. ونجعلهم أئمّة.. ونجعلهم الوارثين.. ونمكّن لهم.. ونرى..).

وما هذا التكرار فى استعمال صيغة المستقبل إلّا للتأكيد على أنّ هذا الفعل سيقع فى المستقبل وأنّ وقته لم يحن بعد، فهو لم يصدر فى الماضى ولا هو صادر فى الحاضر، بل إنه سيصدر فى ما يأتى من الزمان ويقع لاحقاً وفى المستقبل.

ب. شمول دائرة المنّة لكلّ أهل الأرض

لقد نهانا الله عن المنّة فقال يخاطب نبيّه الكريم?: ولا تمنن تستكثر(). ?أى أنّك لو تصدّقت بمليون دينار على الفقراء - مثلاً - فلا تستكثرها ولا تمنّ فى ذلك.

وقال - يخاطب المؤمنين - فى آية أخرى?: يا أيّها الذين آمنوا لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى(). ?وقال أيضاً?: الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يُتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذىً().?

وحيث إنّ الله تعالى نهانا عن المنّة، نراه سبحانه لم يستعمل تعبير المنّة - فى القرآن الكريم - فى ما تفضّل به على عباده، إلّا فى حالات محدودة؛ منها:

الحالة الأولى: على أنبيائه سلام الله عليهم حيث قال عزّ من قائل مخاطباً نبيّه الكريم محمداً صلى الله عليه وآله?: ولقد منَنّا عليك مرّة أخرى().?

وقال فى آية أخرى يمنّ على نبيّيه الكريمين موسى وهارون عليهما السلام?: ولقد منَنّا على موسى وهارون().?

الحالة الثانية: منّ الله فيها على المؤمنين فى مورد واحد فقط، وذلك فى قوله تعالى?: لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً?().

فقد توسّعت الدائرة هنا وجُعلت المنّة على المؤمنين ببعث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

الحالة الثالثة: على أهل الأرض كلّهم، أى أنّ الدائرة هنا أصبحت عامّة وشملت كلّ البشرية، حيث لم يحدّد سبحانه الذين يمنّ عليهم بالمستضعفين من الأنبياء ولا من المؤمنين بل قال?: ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا فى الأرض.?

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: لماذا غيّر الله تعالى الأسلوب فى الحالة الثالثة، فعندما تحدّث عن بعثة الرسول الكريم صلى الله عليه

وآله قال?: لقد منّ الله على المؤمنين ?ولكن عندما وصل الدور فى هذه الآية إلى صاحب العصر والزمان المهدى الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف وسّع من إطار منّته (تعالى) حتى شملت كلّ الكرة الأرضية؛ إذ قال?: ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا فى الأرض ?مع أنّ لكلّ كلمة واستعمال فى القرآن غاية وأبعاداً ينبغى التوقّف عندها؟!

والجواب واضح، وهو أنّه لم تعمّ منّة الله على أهل الأرض كلّهم حتى اليوم، فمازال حتى الآن وفى كلّ مكان وزمان أُمم وألوف بل ملايين من الناس لم تبلغهم حجّة الله وأحكام دينه ولا عرفوا الله عزّ وجلّ. فهناك اليوم أكثر من ثلاثة آلاف مليون غير مسلم على وجه الكرة الأرضية، فهل تمّت منّة الله عليهم؟ كلاّ بالطبع؛ إذ بأىّ شىء منّ الله عليهم؟ هل بالمال ولا قيمة له عند الله تعالى ولا ذُكِر بعنوان المنّة؟ أم بالوجود البحت ولا قيمة له عند الله أيضاً، وكذا الصحّة وكلّ الدنيا؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يخبرنا: إنّ الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة().

إنّ الشىء الذى له قيمة عند الله تعالى ومنّ به على البشر هو معرفته سبحانه وتعالى؛ وأن يعرف الإنسان لماذا خُلق ومن أين أتى، ولماذا جاء إلى هذا الوجود، وإلى أين سينتهى!

ولذلك نلاحظ أنّ الله تعالى لم يمنّ على الناس لأنّه أعطاهم الصحّة، ولا يمنّ على من يدخلهم الجنة، بل قال تعالى?: فمَن زُحزِح عن النار وأُدخِل الجنّة فقد فاز()، ?فى حين نراه منّ على المؤمنين ببعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

فحقّ لنا أن نسأل: ما هو هذا الأمر الذى يستوجب منّة الله على الناس كلّهم كما استوجب المنّة على المؤمنين خاصة ببعث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله؟ أليس فى هذا إشارة إلى الحجّة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأنّه كجدّه الرسول صلى الله عليه وآله تماماً إلاّ فى مقام النبوّة؟!

فإن قيل: لماذا يمنّ الله على مستضعفى الأرض كلّهم بظهوره؟

نقول: لأنّ المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف يحقّق النتيجة النهائية التى أرادها الله تعالى من وراء بعثة الرسل والأنبياء كلّهم من لدن آدم حتى الخاتم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ومن الطبيعى أن تقرن هذه النتيجة العظمى بالمنّ كما قرنت ببعثة الرسول صلى الله عليه وآله.

خلاصة الدليل

تبيّن إذن أنّ الله تعالى لم يذكر المنّة فى القرآن الكريم إلاّ فى عدّة مواضع؛ الأوّل على أنبيائه فى آيتين، والثانى على المؤمنين وكلها وردت بصيغة الماضى (لقد منَنّا.. ولقد منَنّا.. لقد منّ الله على المؤمنين..) لكن هنا (فى آية القصص) تبدّلت الصيغة إلى زمان المستقبل، وكانت المنّة شاملة لكلّ أهل الأرض.

وهكذا نرى أنّ هذه الآية المباركة هى من الآيات الواردة فى شأن الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف، كما تؤيّد ذلك الأحاديث الشريفة().

الإمام عجّل الله تعالى فرجه ناظر إلينا

إنّ الإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف يرانا ويرى أعمالنا كما ورد فى تفسير قول الله تعالى? وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون().?

وفى الروايات أنه عجل الله تعالى فرجه الشريف مؤيّد بروح القدس، بينه وبين الله عز وجل عمود من نور يرى فيه أعمال العباد، وكلّ ما يُحتاج إليه().

فهو يرى كلامنا وأجسامنا وكلّ ما يظهر منّا، ويرى كذلك ما وراء الكلام والأجسام والسطور كالفكر والنوايا، ويعرف فيما إذا كانت

نيّاتنا وأفكارنا لله أم لغيره.

ما يحول دون تشرّفنا بلقاء الإمام المهدى عجّل الله فرجه

إنّ موضوع الإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف من المواضيع العميقة والواسعة وهو متشعّب الجوانب كثير الفروع، الأمر الذى يتطلّب من كلّ منّا أن يزيد من مطالعاته فى هذا الموضوع الهام، لكنّى أحببت أن أثير سؤالاً فى هذا المجال، وهو: إذا كان الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف موجوداً بين ظهرانينا - كما هو الحق - فلماذا لا نراه مع أنّه يرانا صلوات الله وسلامه عليه؟.

فى جواب هذا السؤال أذكر لكم قصّة رواها المرحوم والدى تعود إلى الأيّام التى كان يعيش فيها فى سامرّاء العراق:

يقول السيد الوالد رحمه الله: كان أحد العلماء يكثر من ارتياد سرداب الغيبة فى أيام الجمع وغيرها، يخلو فيه.. يقرأ دعاء الندبة والعهد وزيارة صاحب الزمان ويدعو الله بفنون الدعوات على أمل اللقاء بالإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

يحكى والدى عن هذا العالِم أنّه قال:

مرّ زمان وأنا على هذه الحال أرتاد السرداب مشتاقاً لرؤية صاحب الزمان صلوات الله عليه. وفى أحد الأيام وبينما أنا جالس وحدى - ولم يكن فى السرداب أحد غيرى - منشغلاً بالدعاء والمناجاة، مفكّراً فى حالى وأنّ المدّة قد طالت وأنا مواظب على الحضور إلى هذا المكان دون أن أوفّق للقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، متسائلاً مع نفسى عن السبب الذى يحول دون تشرّفى برؤيته، قائلاً: ما هو ذنبى ولماذا لا يمنّ علىَّ الإمام بشرف رؤية طلعته ...؟ وبينما أنا ساهم فى هذه الحالة إذ أُلهمت بأنّ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف سيدخل السرداب حالاً، ولقد وقع هذا الموضوع فى قلبى على نحو اليقين لا وقوع تخيّل أو مجرّد تصوّر، بل عرفت ذلك من ضميرى وأيقنت- بوجدانى- أنّ الإمام سيدخل السرداب الآن، وشعرت أنّى سأوفّق للقائه.

ولكن ما إن عرضت لى فكرة قرب التشرّف والتوفيق للقاء الإمام حتى تملّكتنى هيبة عصرتنى عصرة لم أشعر معها إلّا وأنا خارج من السرداب متسلقاً درجات السلّم.. وبدأ قلبى يدقّ بشدّة. فأدركت أنّه لم يحن بعد الوقت الذى أكون لائقاً ومؤهّلاً للقاء الإمام الحجّة عجل الله فرجه.

قصة الرجل المحبّ للضيف

ولكى أوضّح لكم الموضوع أكثر أنقل لكم الرواية التالية:

يحكى أن رجلاً شكا إلى النبى صلى الله عليه وآله أنه يحبّ إقراء الضيف لكن زوجته تكره ذلك وتعكّر عليه، فقال صلى الله عليه وآله قل لها: إنَّ الضَّيْفَ إذَا جَاء جَاء بِرِزْقِهِ وإذَا ارتَحَلَ ارتَحلَ بِذُنُوبِ أَهْلِ البيتِ().

أى أن الله سيضيف فى رزق أهل ذلك البيت ما ينفقونه فى إقرائه، ثم إذا انصرف عنهم بعد ذلك وارتحل ارتحلت ذنوبهم معه.

يقال: إن الرجل عاد ثانية إلى النبى صلى الله عليه وآله وأخبره أن ذلك لم ينفع معها. وهنا أمره النبى صلى الله عليه وآله أن يمسح بيده على وجهها إذا حلّ الضيف.

وفعَل الرجل ذلك، فأصبحت المرأة تتمنى إقراء الضيف بعد ذلك؛ لأنها رأت الأمور التى أخبرها بها زوجها عن النبى صلى الله عليه وآله على حقيقتها، بعد أن مسح على وجهها بأمر النبى صلى الله عليه وآله، أى رأت الضيف عندما يدخل الدار ترافقه أنواع الأطعمة والفواكه، وعندما يخرج تخرج معه الأوساخ والعقارب والحيّات مثلاً.

نستفيد من هذا الحديث أموراً عديدة؛ منها أمران لهما صلة بموضوعنا وهما:

الأمر الأوّل: الولاية التكوينية لرسول الله صلى الله عليه وآله. فمع أنّه صلى الله عليه وآله لم يقم هنا بفعل، فلم يمسح بيده الشريفة على وجه المرأة مثلاً- بل أمر الزوج أن يمسح هو بيده على وجهها، مع ذلك أثّر فى تكوين المرأة، أى أنّ أمر النبى صلى الله عليه وآله

وكلامه يكفى لتغيير الكون، ولا حاجة حتى لفعله المباشر، بل تكفى إرادته وقوله. والإمام كالنبى فى هذا.

الأمر الثانى: هو أنّ الذنوب قاذورات وأوساخ وحيّات وعقارب تحيط بنا من الرأس إلى القدم وتكون مانعاً من تشرّفنا بلقاء صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، أى أننا لا نكون جديرين بسببها للقائه عليه السلام فنحرم هذا التوفيق.

ويمكن تقريب هذا الموضوع بمثال:

لو أنّ رجلاً دقّ عليك الباب وأنت فى غرفتك. وعند فتحك الباب رأيته كريه المنظر والرائحة لكثرة ما علق به من قاذورات ونجاسة وأوساخ وديدان وعقارب وحيات.. فهل ستسمح له بالدخول إلى المكان النظيف الذى تجلس فيه؟ كلاّ بالطبع.

هذا يعنى أنّك لو كنت فى مكان صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف لما أذنت بلقاء رجل يحمل كلّ هذه القاذورات العالقة بلسانه وعينه وأذنه وأنفه ويده ورجله وبطنه وفكره - وهى الذنوب -.

عرفنا إذن لماذا لا نرى الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، فكلّ المشكلة تكمن هنا.. فينا نحن.

إنّ ذلك العالِم الدينى تهيّب للقاء الإمام فلم يره. أما كثير منا فلم يصل حتى إلى هذه الدرجة، فذلك الرجل العالِم كان قد قطع شوطاً للقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وفينا من لم ينتهج الطريق بعد.

وكما أنّك تطلب من الشخص المنتن الذى أتى لزيارتك أن يذهب أوّلاً ويزيل عنه الأوساخ والقاذورات ويرمى العقارب والديدان عنه ثم تقول له: تفضّل أهلاً وسهلاً فبابنا مفتوح لك، فكذلك الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف فاتح بابه لكلّ إنسان ولكنه يطلب منّا أن نتطهّر أوّلاً ثمّ نأتى للقائه.

إن الأرواح النجسة غير لائقة للقاء الإمام، والأعين الخطّاءة لا تستحقّ أن تطلّ على حضرته، والآذان المليئة بالمعاصى غير جديرة بسماع صوته، وأنّى لهذه الشفاه التى صدرت من بينها آلاف المعاصى أن تتشرّف بتقبيل يديه!

وإلاّ فلِمَ لا يسمح لنا الإمام بلقائه وهو أهل الكرم والجود؟ ألم يلتقِ السيد الفلانى والشيخ الفلانى والبقّال الفلانى والعطّار الفلانى بل وأشخاصاً أمّيين لا يعرفون القراءة والكتابة، فلماذا لا يسمح لى ولك نحن المتعلّمين؟ إن الذنوب هى التى تحول دون لقائنا بالإمام، فإنّ الإمام لا ينظر إلى أبداننا بل ينظر إلى قلوبنا وأرواحنا وعقولنا.

فلنعاهد الله فى هذه المناسبة أن نبدأ بسلوك الطريق؛ فلعلّنا نبلغ المقصود بعد زمان طال أو قصر، فإنّ من سلك الطريق لابدّ وأن يصل، وصاحب الزمان عليه الصلاة والسلام يعرف عن قلبك وقلبى إن كنّا سالكى الطريق حقّاً أم لا؛ فإن علم صدقنا فسيأخذ بأيدينا. ولو أنّ أحدنا تقدّم إليه بمقدار خمسة فى المئة من الطريق فإنّه عجل الله تعالى فرجه الشريف سيتقدّم إليه فى الباقى ويفتح له ذراعيه، ولكن علينا أن نجعل أنفسنا أهلاً لذلك.

ذكرى المولد فرصة لمراجعة أنفسنا

لنعاهد الله سبحانه وتعالى على أن نكون عند مرور ذكرى مولد الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فى كلّ سنة أحسن من السنة السابقة. ولنبدأ الطريق بأن يسعى كلّ منا لتقليل نقاط ضعفه وإصلاح نفسه، فلو أصلحنا أنفسنا فإنّ صاحب الزمان هو الذى سيأتى إلينا قبل أن نذهب إليه.

لنخطّط لأرواحنا قبل أن نخطّط لبطوننا وأيدينا وبيوتنا وأهلينا ولنسِرْ قليلاً بهذا الاتّجاه لنحظى بلقيا المولى صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ختاماً: بودّى أن أذكر شيئاً عسى أن نكون بذلك قد قدّمنا خدمة ولو صغيرة لمولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ فلعلّ كثيراً من الشيعة لا يعلم شيئاً عنه صلوات الله وسلامه عليه، والذنب فى ذلك يعود علينا نحن المتعلّمين.

إننا بحاجة إلى مليارات النسخ من المطبوعات عن الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ فإنّ نفوس العالَم لم تعُد

بالملايين بل بلغت المليارات، فليخصّص كلّ واحد منكم منذ الآن مقداراً من المال يطبع فيه كتاباً عن صاحب الزمان، ولا مانع من طلب العون من أهله وأقربائه ومن زوجته وابنه وأخيه وأخته فى هذا المجال بأن يضع سهماً من عنده وأسهماً من أقربائه وأصدقائه ثمّ يقوم بطبع الكتاب ولا يُشترط أن يكون الكتاب ضخماً فكلٌّ حسب سعته. وإذا لم تستطع أن تعطى مبلغاً خلال يوم فقد تستطيع أن تعطيه خلال شهر وقد تستطيع من خلال الاستعانة بأهلك وأقربائك وأصدقائك.

فهذا شيء بسيط وأقلّ ما يمكن أن نقوم به لخدمة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

المحاضرة الحادية عشرة●

فى ذكرى ميلاد منقذ البشرية المهدىّ المنتظر عجّل الله فرجه الشريف لنعرف إمامنا وواجبنا بصورة أفضل

فى ذكرى ميلاد منقذ البشرية المهدىّ المنتظر عجّل الله فرجه الشريف لنعرف إمامنا وواجبنا بصورة أفضل

اشارة

من خلال الحديث الشريف

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»

●ألقيت المحاضرة فى ليلة النصف من شعبان عام ۱۴۲۳ ه، ذكرى

ميلاد منقذ البشرية الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

فى هذه الأيام من شهر شعبان المبارك، التى تنتسب للمولى صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، أودّ الإشارة لموضوعين؛ الأوّل: يتعلّق بمعرفة الإمام سلام الله عليه وعلى آبائه، والآخر: يتعلّق بنا وبمسؤوليتنا وواجبنا فى عصر الغيبة.

۱ لنعرف إمامنا أكثر

أمّا الموضوع الأوّل فقد روى عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية().

فكما تكون الميتة الجاهلية، على كفر وشرك وإلحاد؛ لأنّها ليست فى ظلّ الإسلام، فكذلك تكون حال مَن يموت ولا يعرف إمام زمانه، أى يموت وحكمه حكم المشرك والملحد والكافر.

قضية الإمام المهدىّ عجّل الله تعالى فرجه من الأمور المسلّمة

إنّ البحث العلمى حول هذا الموضوع واسع ومتشعّب، ولكنّى لا أريد التعرّض إلى تفاصيله. فأصل وجود المولى صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومعرفته بصفته إماماً مفترض الطاعة، يُعدّ من أصول الإسلام، وهو من الأمور المسلّمة والمتواترة. وإذا ما بلغ أمرٌ حدّ التواتر، فإنّ الجدال فيه يكون من باب السفسطة وإنكار الوجدانيات().

إنّ المولى سيشرّفنا بحضوره إن شاء الله تعالى، ويظهر للناس كافة، ويعلن للعالم أنّه المهدىّ من آل محمّد صلّى الله عليه وعلى آبائه الطيّبين أجمعين. فكيف سيكون حاله سلام الله عليه فى ذلك اليوم المبارك؟ وكيف سيكون حال الناس؟!

إنّه يصدع بالحكمة والموعظة الحسنة

قال الله تعالى يخاطب نبيّه الكريم?: ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ(). ?فمن صفات الرسول صلى الله عليه وآله أنه يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة.

هذا التعبير نفسه، وهاتان المفردتان عينهما (الحكمة والموعظة الحسنة) وردتا فى زيارة الإمام المهدى المرويّة عن المعصوم سلام الله عليه حين يصفه بأنّه الصادع بالحكمة والموعظة الحسنة().

فهو كجده صلى الله عليه وآله، يصدع بالحكمة والموعظة الحسنة.

ويسير بسيرة جدّه أمير المؤمنين سلام الله عليهما

روى عن الإمام الصادق سلام الله عليه أنّه قال: إنّ قائمنا أهل البيت عليهم السلام إذا قام لبس ثياب علىّ عليه السلام وسار بسيرة أمير المؤمنين علىّ عليه السلام().

وتقول الروايات أيضاً: إنّ علياً سار بالمنّ والكفّ()، أى أنّه سلام الله عليه كان لا يعاقب بل يمنّ.

فإذا أردتم أن تعرفوا سيرة الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف فى التعامل مع الأصدقاء والأعداء فانظروا إلى سيرة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه. فهذا تاريخه صلوات الله عليه بين أيديكم دوّنه الشيعة والسنّة والنصارى واليهود وغيرهم فى صفحات مشرقة.

لقد كان أمير المؤمنينسلام الله عليه يدفع مَن ناهضه وبارزه بالنصح والموعظة ما أمكن، وكان يسعى للحؤول دون وقوع الحرب وإراقة الدماء، سواء عن طريق المواعظ الفردية والجماعية أو غيرها.. ولكن إذا وصل الأمر بالطرف الآخر أن يهجم ويريد القتال قام الإمام بدور الدفاع لا- أكثر، ولكن ما إن يتراجع الخصم أو ينهزم حتّى يتوقّف الإمام عن ملاحقته ولا يسعى للانتقام منه، ولم يروَ أن الإمام بدأ أحداً بقتال أبداً. وهذا الأمر مشهود فى تاريخ أمير المؤمنين سلام الله عليه.

ومع أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله يصرّح له بالقول: يا علىّ حربك حربى وسلمك سلمى() نلاحظ أنّ الإمام سلام الله عليه لم يأسر حتّى فرداً واحداً من أعدائه، ولا صادر أو سمح لأصحابه بمصادرة أىّ شىء من أموال الخصم وإن كان ذلك الشىء رخيصاً أو عديم الثمن.

تروى فى هذا المجال أمور لا نظير لها، فى التاريخ، ولا فى الحاضر ولا فى الآتى من الزمان، إلّا ما كان عن الإمام أمير المؤمنين وما سيكون من الحجّة المنتظر سلام الله عليهما.

فقد روى أنّ الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه لم يسمح بمصادرة حتّى «ميلغة» واحدة من العدوّ!()

ويلبس ثياب علىّ سلام الله عليه

أما عن السيرة الشخصية للإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فقد روى البرقى عن حماد بن عثمان قال: حضرت أبا عبد الله عليه السلام، وقال له رجل: أصلحك الله ذكرت أنّ علىّ بن أبى طالب عليه السلام كان يلبس الخشن، يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك، ونرى عليك اللباس الجديد؟ فقال له: إنّ علىّ بن أبى طالب كان يلبس ذلك فى زمن لا يُنكر ولو لبس مثل ذلك اليوم شُهّر به، فخير لباس كلّ زمان لباس أهله، غير أنّ قائمنا أهل البيت عليهم السلام إذا قام لبس ثياب علىّ عليه السلام وسار بسيرة أمير المؤمنين علىّ عليه السلام().

فهو عجل الله تعالى فرجه الشريف لا يرتدى طيلة عهده الشريف والمبارك حتّى حلّة ثمينة واحدة مع أنّ الله تعالى يملّكه الدنيا وما فيها. فكلّ شىء فى الوجود هو من أجل المعصومين سلام الله عليهم - كما فى حديث الكساء الشريف - ولكنّهم يزهدون عنها،

ويعيشون فى بساطة كسائر الناس العاديين بل أبسط؛ ففى كتاب الكافى كثير من المطالب حول أحوال الأئمّة وقد جمعها المجلسى رحمه الله فى كتابه «بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار»؛ منها:

عن المعلى بن خنيس قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام يوماً: جُعلت فداك ذكرت آل فلان وما هم فيه من النعيم فقلت: لو كان هذا إليكم لعشنا معكم، فقال: هيهات يا معلّى أما والله أن لو كان ذاك ما كان إلا سياسة الليل وسياحة النهار ولبس الخشن وأكل الجشب، فزوى ذلك عنا، فهل رأيت ظلامة قطّ صيّرها الله تعالى نعمة إلا هذه.()

أجل هكذا كانت حياة الأئمة سلام الله عليهم؛ وذلك كيلا يتبيّغ بالفقير فقره() كما يقول الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه. أى لا يتأذّى الفقير بفقره إذا رأى كيف يعيش زعيم القوم وإمام المسلمين وقائدهم ورئيسهم.

عن أبى إسحاق السبيعى، قال:

كنت على عنق أبى يوم الجمعة وأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام يخطب وهو يتروّح بكمّه، فقلت: يا أبه! أمير المؤمنين يجد الحر؟ فقال لى: لا يجد حرّاً ولابرداً، ولكنه غسل قميصه وهو رطب ولا له غيره فهو يتروّح به.()

كما يشير لمثل هذا الموضوع الإمام سلام الله عليه بنفسه فى نهج البلاغة فى رسالته إلى عثمان بن حنيف واليه على البصرة عندما يقول: ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه() أى بقميص واحد وإزار واحد يرتديهما لا غير، فقد كان لباس الناس فى ذلك الوقت يتألّف من قطعتين؛ قميص وإزار. ولم يكن الإمام يملك أكثر منهما، وهذا هو المقصود بقوله سلام الله عليه: بطمريه. أى ما يكفى لملبس واحد فقط.

هذه هى حياة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، وهكذا ستكون حياة الإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف.

أهل البيت سلام الله عليهم كلّهم رحمة

هل تريدون أن تعرفوا عن حكومة المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف أكثر؟ إذن انظروا إلى تاريخ الرسول وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما، وكيف كان حكمهما، فهكذا سيحكم المهدىّ أيضاً.

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبدأ المناوئين له بقتال، بل إنّ العدوّ هو الذى كان يتعرّض للرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وهكذا كان حال الإمام علىّ سلام الله عليه، وكذلك الإمام الحسين سلام الله عليه؛ فمع أنّ العدوّ كان قد حاصره إلا أنا نراه سلام الله عليه يقول: إنّى أكره أن أبدأهم().

هذا هو واقع أهل البيت سلام الله عليهم. فإن أردتم أن تعرفوا الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، فانظروا إلى هذه الوقائع عن حياة الرسول والأئمّة المعصومين من أهل بيته سلام الله عليهم أجمعين، وكيف كانوا يعيشون، وكيف كانت معاشرتهم للناس، وكيف كانوا فى الحرب والسلم.

الإمام المهدى مرآة المصطفى والمرتضى صلوات الله عليهما وآلهما

والإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف هو مرآة رسول الله صلى الله عليه وآله فى كلّ شىء، ما عدا مقام نبوّته. وهو عجل الله تعالى فرجه الشريف مرآة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه فى كلّ شىء ما عدا مقام أفضليته سلام الله عليه. فما أحلى العيش وأطيبه آنذاك: فى ظلّ الإمام صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف!

حقّاً إنّ التعلّق بالإمام المهدىّ وحبّه هو تعلّق وحبّ لشخصه وللحياة الطيّبة أيضاً التى تكون فى ظلّ حكومته، صلوات الله وسلامه عليه.

أحوال الناس فى زمن الظهور

كان ذلكم جانباً من سيرة الإمام سلام الله عليه فى عصر ظهوره، أمّا عن حال سائر الناس فى زمن الظهور فيروى عن الإمام الباقر سلام الله عليه أنّه قال: إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم().

واليد هنا تعنى القدرة كما فى قوله تعالى?: يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم() ?أى إنّ قدرة الله فوق قدرة كلّ أحد. وهكذا الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه يضع يد – قدرته – على رؤوس العباد فتكمل عقولهم.

ولهذا الأمر معنى طبيعى وآخر غيبىّ، ولا مانع أن يكونا معاً، أى بعض يُشمل بالأوّل وبعض بالثانى، كما فى الحيوانات حيث تتآلف ويسود التعايش حتّى بين المتعادية منها. فقد يكون هذا من ضمن يضع يده أيضاً وإن كان النصّ يقول: على رؤوس العباد لأنّه كما قلنا لا مانع أن يكون لهذا الأمر معنى غيبى أيضاً، يكون هذا من مصاديقه؛ إلى جانب المعنى الطبيعى للجملة – أى البشر.

وإذا كمل عقل الإنسان فإنّه لا يلهث بعد ذلك وراء حطام الدنيا، لأنّ ضعف العقل هو الذى يسوقه صوب التهافت على الدنيا.

وإذا كمل عقل الإنسان لم يركض خلف أهوائه، فهل سيكون ثمّة ظلم أو فقر أو بؤس حينئذ؟ كلّا بالطبع.

وإذا كمل عقل الإنسان كملت عقيدته وكمل إيمانه بل كملت حياته أيضاً، فتكون حياة الناس هانئة طيّبة ومريحة بل أحسن حياة يحياها جيل من الأجيال. وهكذا سيكون حال معظم الناس يومذاك وليس حالة استثنائية لبعض الناس، فمعظم الناس سيحيون فى راحة وهناء ورغد وعيش كريم.

۲. لنعرف وظيفتنا بنحو أفضل

أمّا الموضوع الثانى الذى أودّ الإشارة إليه فى هذه المناسبة المباركة، فهى معرفة وظيفتنا فى عصر الغيبة.

إنّ الوظيفة شىء والرغبة شىء آخر، ويحسن الفصل جيّداً بينهما. تأمّلوا فى هذا المثال: إذا مرض شخص ما، حينها تصبح بعض الأغذية مضرّة بالنسبة إليه، وهذا لا يعنى أنّ هذه الأغذية مضرّة بذاتها، بل هى حسنة فى الأصل، ولكنّها لا تصلح لهذا الشخص بسبب مزاحمة الأهمّ فى حقّه. فتناول هذه الأغذية تشكّل رغبة لهذا الشخص، ولكنّ وظيفته شىء آخر.

فكذلك الحال بالنسبة لنا تجاه المولى صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. إنّ لنا فى لقائه سلام الله عليه رغبة، ولنا إزاءه وظيفة، فإذا كان هذان الأمران قابلين للجمع فما أحسن ذلك! أمّا إذا لم يمكن الجمع بينهما فهل على الفرد أن يسعى لتحقيق الرغبة أم العمل بالوظيفة؟ لا شكّ أنّ الواجب هو السعى للعمل بالوظيفة.

إنّ علقتنا الشديدة – جميعاً – بوليّ العصر صلوات الله وسلامه عليه هو الذى يدفعنا لأن نهتمّ ونعمل ونجدّ ونجتهد لسلوك الطريق الذى ينتهى بنا إلى التوفيق للانضواء تحت لوائه الشريف، أمّا الأمل بزيارة حضرته فى عصر الغيبة، فهو مطلب مهمّ أيضاً ولكنه رغبة عظيمة؛ فمن وُفّق لها فقد نال مقاماً شامخاً وشرفاً رفيعاً، ولكنّها ليست الوظيفة.

إنّه لشرف كبير وكرامة عظيمة أن يلتقى الإنسان بإمامه عن قرب ويقبّل يده، وهذا لا شكّ فيه ولا شبهة، ولكن هل هذا هو ما يريده الإمام منّا؟ وهل هذا هو واجبنا؟

الواجب مقدّم على الرغبة وهو تعلّم الإسلام والعمل به وتعليمه

صحيح أنّ الذين وفّقوا أو سيوفّقون أو هم موفّقون لنيل هذا الشرف العظيم بلقاء الإمام الحجّة وزيارته فى الغيبة الكبرى، هم – فى الغالب وحسب القاعدة – ممّن يعرفون الواجب ويعملون به، وإلّا لما حصلوا على هذا الشرف، ولكن هذا – أى الطموح للقائه عجل الله تعالى فرجه الشريف – ليس هو الواجب، بل من الأفضل أن نجمع بينهما، وإلّا فإنّ الواجب مقدّم على الرغبة، والواجب هو معرفة الواجبات الشرعية والعمل بها وتشخيص المحرّمات والاجتناب عنها، تجاه النفس والآخرين، وتعليم الجاهلين كلّ حسب قدرته ومعرفته، والسعى لكسب المزيد من المعرفة على هذا الطريق.

إنّ المسؤولية هى تعلّم الإسلام والعمل به وتعليمه، وتقع على عاتق كلّ فرد سواء كان رجلاً أو امرأة، زوجاً أو زوجة، أولاداً أو آباءً وأمّهات، أساتذة أو تلاميذ، وباعة أو مشترين، ومؤجّرين أو مستأجرين، وجيراناً أو أرحاماً، وفى كلّ الظروف والأحوال.

على كلّ فرد منّا أن ينظر ما هى وظيفته تجاه نفسه وتجاه الآخرين؛ وما هى الواجبات المترتّبة عليه، وما هى المحرّمات التى يجب عليه الانتهاء عنها.

وعلى كلّ فرد منّا أن يعرف ما هى الواجبات بحقّه وما هى المحرّمات عليه. فعلى الزوج أن يعرف واجباته تجاه نفسه وتجاه عائلته، وتجاه الآخرين، وكذا المرأة عليها أن تسعى لمعرفة ما يجب عليها تجاه زوجها وأولادها والمجتمع. وهكذا الأولاد تجاه والديهم والوالدين تجاه الأبناء، وكذا الإخوة فيما بينهم، وهكذا الجيران والأرحام والمتعاملون بعضهم مع بعض.

إنّ الواجب هو أن يعرف الإنسان أحكامه - ولا أقلّ من الواجبات والمحرّمات - ثم يلتزم بها. وعلى رأس الواجبات معرفة المولى صاحب العصر والزمان أرواحنا فداه وعجّل الله تعالى فرجه الشريف. وهذا واجب الجميع فإنّه مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية(). ولكى لا يموت أحدنا بحكم الكافر، عليه أن يعرف ما هى واجباته وما هى المحرّمات عليه، فيما يخصّ العقائد والعمل، لنفسه وللآخرين.

يقول الفقهاء إنّ على كلّ شخص أن يسعى للحصول على ملَكة العدالة فى نفسه، وهذا من المسلّمات، وهو - على حدّ التعبير العلمى - مقدّمة وجود الواجب المطلق.

إذن على كلّ فرد منّا سواء كان رجلاً أو امرأة، شاباً أو شيخاً، أن يحصل على ملَكة تحصّنه من ارتكاب المحرّمات أو التخلّف عن الواجبات، ثمّ عليه بتعليم الآخرين حسب مقدرته ومعرفته.

أمّا ما لا يعرفه فيلتعلّمه إن كان يستطيع ذلك، ثمّ يعلّمه للآخرين فإنّ نسبة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى العلم هى نسبة الواجب المطلق، وليس المشروط، ولكنّه واجب كفائى، فإذا لم يكن مَن فيه الكفاية صار واجباً عينياً أيضاً. أى أنّ على كلّ شخص مكلّف أن يتعلّم الواجبات والمحرّمات التى عليه وعلى الآخرين للعمل بها وتعليمها والأمر بها للوصول إلى حدّ تتحقّق فيه الكفاية. فهذا هو الواجب، وهذا ما يسرّ الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، ويجعله يرضى عنّا. فإنّ مَن أدّى واجبه بصورة صحيحة كان مرضيّاً عند الإمام سلام الله عليه، أمّا مَن لم يؤدِّ واجبه فليس بمرضىّ عنده.

الشيخ المفيد نال أوسمة من الحجّة لم ينل مثلها أحد

لو راجعتم كلّ ما وصلنا من عبارات المدح والتقريظ من الإمام الحجّة صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين بشأن جملة من الأفراد، وخاصّة نوّابه الأربعة الخاصّين، والسفراء الآخرين ووكلائه() قد لا تجدون فى كلّ كلمات المديح والتقريظ التى تفضّل بها الإمام بحقّ هؤلاء الأشخاص ما يرتقى لمستوى ما قاله سلام الله عليه بحق الشيخ المفيد؟

ينقل العلاّمة المجلسى فى كتابه «بحار الأنوار» رسالتين عن الإمام الحجّة سلام الله عليه إلى الشيخ المفيد() يذكر فيهما بعض المطالب التى فى بعضها إشارة بالمدح للشيخ المفيد، وهذا المدح قد لا تجدون له نظيراً حتّى فى حقّ نوّابه الخاصّين وهم الحسين بن روح والسمرى والعمريّان.

إننا نلمس تقريظاً من خلال هاتين الرسالتين والعبائر الأخرى التى نُقلت عنه سلام الله عليه بحقّ المفيد ما لا نلمسه - من حيث المجموع - بحقّ أىّ شخصية أخرى على الإطلاق، ممّن تشرّفوا بلقاء الحجّة سلام الله عليه.

فمما ورد فى إحدى هاتين الرسالتين الموجّهتين للشيخ المفيد رحمه الله قوله عجل الله تعالى فرجه الشريف:

للأخ السديد، والولى الرشيد، الشيخ المفيد، أبى عبدالله محمد بن محمد بن النعمان أدام الله إعزازه. من مستودع العهد المأخوذ على العباد.

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: سلام عليك أيها المولى المخلص فى الدين، المخصوص فينا باليقين، فإنا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا ونبينا محمد وآله الطاهرين، ونعلمك - أدام الله توفيقك لنصرة الحق، وأجزل مثوبتك على نطقك عنا بالصدق -: أنه قد أُذن لنا فى تشريفك بالمكاتبة، وتكليفك ما تؤديه عنا إلى موالينا قبلك - أعزهم الله بطاعته، وكفاهم المهمّ برعايته لهم وحراسته - فقف - أيّدك الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه - على ما نذكره، واعمل فى تأديته إلى من تسكن إليه بما نرسمه إن شاء الله.

نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائى عن مساكن الظالمين حسب الذى أراناه الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين فى ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنّا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شىء من أخباركم، ومعرفتنا بالذلّ الذى أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء، فاتقوا الله جل جلاله وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم يهلك فيها من حمّ أجله ويحمى عنها من أدرك أمله، وهى أمارة لأزوف حركتنا ومبائتكم بأمرنا ونهينا، والله متمّ نوره ولو كره المشركون ... والله يلهمكم الرشد، ويلطف لكم فى التوفيق برحمته.

نسخة التوقيع باليد العليا على صاحبها السلام:

هذا كتابنا عليك أيها الأخ الولى، والمخلص فى ودّنا الصفى، والناصر لنا الوفى، حرسك الله بعينه التى لا تنام، فاحتفظ به! ولا تظهر على خطنا الذى سطرناه بما له ضمناه أحداً! وأدّ ما فيه إلى من تسكن إليه، وأوص جماعتهم بالعمل عليه إن شاء الله، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين().

أقول: إنّه لشرف كبير ومصدر فخر واعتزاز أن يمثل الشخص بين يدى الإمام ويكون فى حضرته؛ يزوره عياناً ويتشرّف برؤيته وتقبيل يده. فهنيئاً - وألف هنيئاً - لأمثال الحاجّ علىّ البغدادى والسيّد بحر العلوم وغيرهما ممّن نالوا هذا الشرف الكبير وهذا المجد الرفيع وهذه الكرامة. ولكن - اعلموا أيّها الإخوان - إنّ هذا ليس هو الواجب فإنّه لم يبلغنا عن الشيخ المفيد أنّه التقى بالحجّة - لا يُعرف ما هو السبب، وربما التقاه ولم يصلنا خبره - ولكنّه مع ذلك نال هذه الأوسمة منه سلام الله عليه.

بمقدار ما نعمل بواجبنا يرضى عنّا الحجّة

على كلّ حال إنّ مسؤوليتنا هى التى يرضى بها الإمام عنّا إن نحن عملنا بها، وإذا أردنا أن نعرف نسبة رضاه عنّا فلنفكّر مع أنفسنا فى مدى معرفتنا للواجب والمسؤولية والعمل بهما - تجاه أنفسنا والآخرين، أقرباء وأرحاماً وسواهم - هذه أهم مسألة وواجب يتحتّم علينا عمله فى عصر الغيبة، وإنّ الدرجات التى تُمنح فى الآخرة ستكون على هذا الأساس أيضاً.

نسأل الله أن نبقى أحياء حتّى ندرك ظهور الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، ونكون فى خدمته وفى ركابه، ولكن اعلموا أنّه حتّى درجات ذلك اليوم تعطى على أساس دورنا وعملنا وإنجاز وظيفتنا اليوم.

أويس القرنى أفضل من كثير من الصحابة!

ولتكن لنا فى أويس القرنى قدوة وعبرة، فإنّ هذا العبد الصالح لم يوفّق لأن يدرك الرسول صلى الله عليه وآله، مع أنّه كان فى عصره، فقد كان يعيش فى اليمن، وعندما توجّه منها إلى المدينة لرؤية الرسول صلى الله عليه وآله وزيارته لم يدركه الوقت، فحينها كان صلى الله عليه وآله قد استشهد. وتأثّر أويس لذلك كثيراً. ولكن هل تعلمون أنّ أويساً هذا مقدّم على كثير ممّن صحبوا الرسول صلى الله عليه وآله؟

فإذا أردتم التحقّق من ذلك فانظروا إلى سيرته:

يُنقل أنّه كان أحد الأشخاص يسبّ أويساً كلّما مرّ به أو التقاه. وفى إحدى المرّات رآه أويس يقبل من بعيد فغيّر طريقه.

ربّما كثير من الناس يتجنّب المواجهة مع مَن يريد سبّه، لأنّه قد تتوتّر أعصابه أو يراق ماء وجهه بين الناس. ولكن أويساً لم يغيّر طريقه لهذه الأسباب وعندما سألوه عن السبب أجاب قائلاً: لئلّا يقع ذلك الشخص – السابّ – فى المعصية().

إذن فلنقتد بمثل هذه النماذج الخيّرة لننال إن شاء الله تعالى رضا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وأئمّتنا الطاهرين عليهم السلام لاسيما مولانا الإمام الحجّة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ختاماً: ونحن فى عصر الغيبة إن أردنا أن نكسب رضا مولانا صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، فعلينا أن ندرك أنّ هذا الأمر يرتبط ارتباطاً وثيقاً وأكيداً بمدى معرفتنا للمسؤولية والواجب الملقى علينا ليتسنّى لنا العمل بهما.

أرجو من الله تعالى ببركة هذه الأيام، وببركة ميلاد الإمام ووجوده المقدّس وآبائه الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين، أن يزيد فى توفيق مَن كانت عنده هذه الخصلة – أى معرفة الواجب فى عصر الغيبة – وأن يمنحها لمَن يفتقدها.

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

المحاضرة الثانية عشرة●

القيام لله أبلغ الموعظة

القيام لله أبلغ الموعظة

اعتبار نكران الذات مصدر الفضائل

فى ضوء الآية الكريمة

?قل إنّما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكّروا?

●ألقيت المحاضرة عام ۱۴۲۱ ه، فى قم المقدسة، ضمن المحاضرات

الأخلاقية التى كان يلقيها سماحته على طلّاب العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى ?: قُل إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى وَفُرادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا().?

مقدمة

هذه الآية الكريمة من عجائب آيات الذكر الحكيم، فإنّ الله سبحانه وتعالى يأمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقول للمشركين ولعبدة الأصنام والنصارى واليهود وغيرهم?: إنّما أعظكم بواحدة ?أى لا أطلب منكم سوى الإصغاء إلى موعظة ونصيحة واحدة فقط.

لاشكّ أنّ مواعظ القرآن الكريم كثيرة، بل إنّ القرآن معظمه مواعظ، كما لا شكّ أنّ كلّ ما أتى به الأنبياء والرسل عليهم السلام وما نزل عليهم يتلخّص بالقرآن الكريم، فهو عصارة الرسالات السماوية كلّها، كما أنّ مواعظ النبى صلى الله عليه وآله تختزل مواعظ الأنبياء والرسل الذين سبقوه كافة، إلا أنّ الله سبحانه يطلب من نبيّه أن يلخّص المواعظ كلّها بكلمة واحدة؛ يقول تعالى لنبيه الكريم: ?قل إنّما أعظكم بواحدة ?و(إنّما) كما هو معلوم تفيد الحصر، أى بموعظة واحدة وحسب.

فما هى تلك الموعظة التى يأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول للمشركين والنصارى واليهود إنّه يعظهم بها وحدها؟ تقول الآية

المباركة?: أن تقوموا لله ?أى أن يكون قيامكم ونيّتكم وتوجهكم وتفكيركم خالصاً لله. ولا يراد من القيام هنا القيام للصلاة، بل المقصود التفكّر وإخلاص النية، وبتعبيرنا المعاصر نكران الذات والتجرّد عنها فى الفكر والعمل، وأن يكون الله تعالى هو الهدف والنية والوجهة، وليس الذات ومصالحها.

الإنسان بطبعه ميّال لذاته

كلّ إنسان فى الأعمّ الأغلب يوقّر ذاته ويحترمها ويراها أولى من كلّ شىء، مع أنّ كلّ البلايا والمصائب وكلّ ظلم وتجاوز يأتى من حبّ الذات.

والطامّة الكبرى عندما يؤثر الإنسان ذاته فى مقابل الحقّ سبحانه وفى مقابل الأخلاق والمجتمع والفضائل، فأكثر الناس مع الأسف يرى الله ويرى ذاته معه؛ ينظر إلى المجتمع والأخلاق ويرى ذاته معهما؛ ولذلك تراهم فى الغالب يسحقون كلّ شىء من أجل ذواتهم.

فالذى يفعل الحرام بأكله الربا أو بظلم الناس مثلاً إنّما يفعل ذلك من أجل ذاته.. فهو يريد لها المال.. يريد لها التقدير والظهور والوجاهة والزعامة وتحقيق كلّ رغباتها ولو عبر الطرق غير الشرعية. فإذا لم يكن الإنسان يرى الله وينكر ذاته تراه يسحق أحكام الله ولا يبالى، ويولّى ظهره لله ولأنبيائه ويتّخذ نفسه إلهاً من دون الله.

ومن هنا كان نكران الذات وحبّ الله أساس كلّ فضيلة، وهذه الآية تلخص هذا المعنى. فكما أنّ الإنسان الذى يحبّ ذاته يرتكب كلّ رذيلة من أجلها، كما فى الحديث النبوى الشريف: حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة()، فكذلك يكون معرفة الله والقيام له ونكران الذات أساس كلّ فضيلة. فمن ينكر ذاته يترفّع عن الرذائل. وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

مع الشيخ محمد تقى الشيرازى

كان المرحوم آية الله العظمى الشيخ محمد تقى الشيرازى رضوان الله عليه مفجّر ثورة العشرين فى العراق وقائد حركة تحرّره من الاستعمار الإنجليزى وهو فى الثمانين من العمر مرجعاً دينياً كبيراً عُرف بالورع والتقوى، حتى أنّ تلاميذه عندما كانوا يُسألون عن عدالته كانوا يجيبون: سلوا عن عصمته وهل هو معصوم أم لا؟ لاشك أنه غير معصوم ولكن التعبير من باب المبالغة . هذا الرجل العالِم الورع كان يفتى بأنّه لا يجوز استئجار غير العادل لقضاء ما فات الميت من صلاة وصيام وإن كان ثقة، بل يشترط فيه العدالة. ولا يخفى أنّ الفقهاء يختلفون فى هذه المسألة، فبعض لا يشترط العدالة ويرى أنّ مجرّد الثقة بأنّ الشخص سيؤدّى هذه الصلوات والعبادات يكفى ولا يلزم أن يكون عادلاً، بينما يشترط آخرون – كالشيخ محمد تقى الشيرازى رحمه الله مثلاً – العدالة فى الشخص الذى يستأجر لقضاء ما فات الميت من عبادات.

ينقل المرحوم الوالد رضوان الله عليه أنّ أحد المؤمنين جاء يوماً إلى الشيخ محمد تقى الشيرازى وشكا عنده الفقر والعسر وطلب منه أن يحوّل إليه قضاء صلاة أو صوم عن بعض الأموات – فإنّ الورثة والأوصياء يعطونها فى العادة للمرجع لكى يحوّلها إلى مَن يراه صالحاً – ولكن الشيخ رحمه الله اتفق أنه لم يكن عنده آنذاك من العبادات الاستيجارية شىء، فاعتذر وقال: لا يوجد عندى الآن.

ولما كان الرجل – السائل – قد أضرّ به الفقر وضغط عليه لم يتمالك نفسه فأخذ يسبّ الشيخَ؛ هذا العالِم الورع الذى كان تلامذته يرونه فى التقوى تالى تلو المعصوم!

وبعد بضعة أيام جاء للشيخ محمد تقى بعض المؤمنين وأعطاه مالاً لاستئجار مَن يصلّى عن ميّت له. وهنا بادر الشيخ ووجّه أحد الأفراد المقرّبين منه ليذهب بهذا المال إلى ذلك الرجل الذى سبّه لاستئجاره فى قضاء هذه الصلوات!

وهنا تعجّب هذا الشخص الذى هو من أصحاب الشيخ ومقرّبيه وقال: شيخنا، ألستم تشترطون العدالة فيمَن يُستأجر للقضاء عن الميّت؟ قال: بلى، فقال: ولكن هذا الرجل على فرض أنّه كان عادلاً ولكنّه فقد العدالة عندما سبّكم وكلّنا نعلم أنّ سبّ المؤمن حرام،

وارتكاب الحرام مسقط للعدالة ولا شكّ أنّه يصدق على الشيخ أنّه مؤمن، فضلاً عن أنّه مرجع تقليد ومضرب المثل فى الورع والتقوى.

فتبسّم الشيخ ثم قال: سبّ الفقراء للعلماء غير مسقط للعدالة. اذهب وأعطه المال؛ فإنّه لم يكن ملتفتاً حينما سبّنى.

أجل إنّ مَن هيمنت عليه حالة الغضب لا يشعر بما يقول، وخاصة الفقير الذى لا يدرى كيف يرجع بلا قوت إلى عائلته، ولا يتوقع بعد لقائه الشيخ العودة لأسرته بلا قوت.

أجل، كلّ هذا صحيح، ولكن لو لم يكن نكران الذات عند الشيخ رضوان الله عليه لما قال إنّ الرجل لم يكن يشعر حين شتمنى! خاصة وأنّه غير مستعد لتحمل مسؤولية قضاء صلاة الأموات وصيامهم من أجل فذلكة خلقية، لكنه شخّص أنّ هذا الرجل غير فاسق، وإلّا لما أعطاه المال لقضاء الصلوات وهو المشترط للعدالة فى هذا الأمر.

أمثلة على حب الذات

هكذا فعل نكران الذات. تعالوا الآن وانظروا فى الطرف المقابل إلى الرؤساء والحكّام فى الدنيا. إنّ شتيمة واحدة توجّهها للحاكم كفيلة بأن تطيح برأسك، أو تعرّضك للتعذيب، وربّما تعرّض أبناءك وإخوتك وعشيرتك وأصدقاءك إلى التحقيق والتعذيب والاستجواب بسببها.

فما أكثر الدول التى يصدر حكّامها قانوناً بالسجن لمدة عشر سنوات أو أقلّ أو أكثر لمَن يسبّ الحاكم، وما أكثر الذين يُسجنون بالظنّة والتهمة فيها.

لقد طالعتنا مجلة معروفة أنّ أحد المجرمين الجلاوزة أذاق اثنين من المؤمنين أنواع التعذيب ولمدة شهرين حتى فارقا الحياة، ثم تبيّن له بعد ذلك أنّه كان مشتبهاً بهما!

تصوّر كيف تنقلب المعادلة عندما تصبح الذات هى الحاكمة. إنّ الاحتمال وحده يكفى لقتل الناس وظلمهم! لماذا؟ لأنّ نكران الذات غائب. والذات تقول أنا كلّ شىء. أمّا الذى ينكر ذاته فيقول: الله أكبر وهو فوق كلّ شىء.

نكران الذات مصدر كلّ الفضائل

إنّ نكران الذات مصدر كلّ الفضائل، ومن ثم لخّص القرآن الحكيم هذا الأمر فقال?: قل إنما أعظكم بواحدة ?أى لا حاجة إلى كلام كثير ومواعظ جمّة بل موعظة واحدة تكفى إن التزمتم بها؛ لأنّها خلاصة المواعظ كلّها.

إنّ مَن أنكر ذاته لا يرجّح الدنيا وملذّاتها على حكم الله تعالى، ولا يعنى هذا أن يترك الإنسان الدنيا ويتخلّى عنها؛ فإنّ الله خلق الدنيا للمؤمنين وهم أَولى بها من الظالمين وأعداء الله، ولكن المقصود أن لا تملكهم الدنيا بل يملكوها ويأخذوا منها – من طريق الحلال – ما استطاعوا على أن يكونوا فى الوقت نفسه مستعدّين للتخلّى عنها غير آسفين لو دار الأمر بينها وبين الله وأحكامه. روى عن الإمام الصادق سلام الله عليه: الزهد مفتاح الآخرة، والبراءة من النار، وهو تركك كلّ شىء يشغلك عن الله من غير تأسّف على فوتها().

والمؤمن الحقّ يلزم جانب الله دوماً كلّما حدثت معارضة بين ذاته وبين الله. قد يجمع المؤمن الملايين من الأموال، ولكنّه بمجرّد أن يشعر أنّ هذا المال قد يؤدى به إلى جهنّم وسخط الله فإنه يترفع عنه ويتخلى عنه بكلّ سهولة ودون أسى ويصرف النظر عنه كلّه. وهكذا الحال مع الأولاد والنساء وأكل الطيّبات و...

يقول الله تعالى مخاطباً نبيه الكريم فى آية أخرى?: قل الله ثم ذرهم()، ?أى قل للمشركين إنّ الله وحده بينى وبينكم، فنظرى وفكرى كلّه منصرف إليه.

وأكرّر القول إنّ هذا لا يعنى أن لا تأكل أو لا تشرب أو لا تملك أو لا تلبّى رغبات بدنك.. إنما المقصود أن لا تكون هذه الأمور

معلّقة بقلبك يتوقف لها إن حُرمت منها، تضحّى بكلّ شيء من أجلها وتسحق كلّ خلق وفضيلة فى سبيلها، بل أن تكون مستعدّاً للتضحية بكلّ ما تملك من أجل الله تعالى والقيم والفضائل.

مثنى وفرادى

يوصينا الله تعالى: وليكن قيامكم لله مثنى وفرادى. أى ليكن توجّهكم إلى الله ونكرانكم لذواتكم سواءً حال كون بعضكم مع بعض، أو بصورة انفراديّة، كأن يجلس أحدكم وحده، فى جوف الليل مثلاً، ويفكّر ولو قليلاً، ويتساءل مع نفسه: مَن أنا؟ أنا لا شيء وليس عندى شيء، وكلّ ما عندى فهو من الله، لم أكن أملكه يوماً، ثم ملّكنى الله كلّ ما أملك. وسأعود مع كلّ ما أملك إلى الله مرّة أخرى ?إنا لله وإنا إليه راجعون().?

واقعة فيها عبرة

لقد شهدتُ هذه القصة بنفسى وتركتْ أثرها فىّ حتى لكأنّى أرى الحالة أمامى الآن!

كنّا جالسين على مائدة للغداء أيام كنا فى كربلاء المقدّسة، وكان يجلس شخص إلى يسارى وآخر إلى يمينى.

وضع الشخص الجالس عن يسارى لقمة من الطعام فى فمه - وكان خبزاً مع الكباب المشوى - وشرع يلوكها ثم يحضّر لقمته الثانية، حيث لفّ مقداراً من الكباب مع الخبز، ولمّا همّ برفعها إلى فمه، عندها لاحظنا يده قد سقطت تلقائياً فى حجره ثم مال إلى الأرض صريعاً. عندما هرع الجالسون ليعرفوا ما الذى حدث له، رأوه قد فارق الحياة إثر سكتة قلبية، وكانت اللقمة الأولى مازال قسم منها فى فمه، فأخرجها بعض الجالسين بصعوبة من بين أسنانه. وفارقَنا الرجل وفارق الدنيا منذ ذلك اليوم وإلى يوم القيامة.

أنا لا أنسى هذا المشهد ما حييت، وكلّ مَن كان بمكانى قد لا ينساه أيضاً، ولكن عندما يأتى وقت المعصية ينسى الإنسان كلّ شيء!

العمل بالآية

الآية الكريمة تدعونا إلى التذكّر والتفكّر دائماً مثنى أى مع بعض، وفرادى أى إذا خلونا بأنفسنا خاصة إذا هدأت العيون. فليفكّر كلّ منا مع نفسه ويقول: مَن أكون لكى أظلِم أو أوذى الناس أو أفعل المحرّمات؟ ثم إلى ماذا سيكون مصيرى؟ أين أبى وجدّى وأقربائى وأصدقائى الذين عاشرتهم ثم مضوا؟ فهل سأبقى أم سأرحل مثلما رحلوا؟ فهل كُتبَ الموت والحساب لهم دونى أم كلّنا ملاقٍ هذا المصير؟

هذا التفكير هو خلاصة مواعظ القرآن الكريم.

وحقاً إنّ مَن يصبح عنده وجدان كهذا - أى يجد هذا الشيء من نفسه - ويفكّر بهذه الصورة قد يستحيل أن يقدم على المعصية. وهل مصدر المعصية والظلم إلاّ حب الذات؟! فالذى يتّخذ هواه إلهاً من دون الله تعالى فإنّ ذاته تهمّه قبل كلّ شيء ولا يكترث إن عصى الله فى هذا السبيل أو غيره، فالمهمّ عنده توقير ذاته و تلبية رغباتها وتحقيق احترامها! أمّا الإنسان المنكر لذاته فهو يرى الله تعالى أمامه.

يقول الإمام الحسين سلام الله عليه مخاطباً ربه تعالى: عميت عين لا تراك()، العين التى ترى الله المقصود عين البصيرة لا تعصيه أبداً.

ويقول الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله فى نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته(). فمع أنّ هذا الأمر – أى سلب النملة- ليس معصية، ولا يقول فيه فقيه إنّه عمل محرّم بحيث إنّ الشخص العادل يفقد عدالته لو ارتكبه، ومع ذلك يقول الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه إنّه غير مستعدّ لارتكابه حتى لو أُعطى الدنيا كلّها!

لقد عرض القوم على الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أن يوافق على السير بسيرة الشيخين، لكى يعطى الخلافة، وكان يمكنه أن يقبل بذلك ابتداءً ثم يضرب به عرض الجدار بعد استلامه الخلافة، ولكنه سلام الله عليه رفض عرضهم وفضّل أن تخرج الخلافة من

قبضته – لا بل فلتذهب الدنيا كلّها ويصبح العالَم كلّه ضده– ولا يتخلّى عن مبادئه، وهل هذا إلاّ بسبب نكرانه لذاته؟!

الخلاصة

إنّ التوجّه لله أهمّ من كلّ شيء.

النقطة التى تجبرك على أن تتوجّه فى صلاتك، وتمنعك عن أكل الحرام، والنظر الحرام والاستماع الحرام والنطق الحرام وظلم الناس وإيذائهم، والتى ركّز عليها القرآن هى? أن تقوموا ...?فهذه نقطة أساسية يجب علينا الانتباه إليها أكثر من أىّ عمل مستحبّ أو خلق مستحبّ آخر، لأنّها جامعة لكلّ الفضائل.

أسأل الله التوفيق لى ولكم.

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

المحاضرة الثالثة عشرة●

كيف نكون فى نور الله تعالى؟

كيف نكون فى نور الله تعالى؟

فى ضوء الحديث المروىّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله

«أربع من كنّ فيه كان فى نور الله الأعظم »...

●يعود تاريخ المحاضرة لعام ۱۳۹۸ ه. وهى من المحاضرات الأخلاقية التى

كان يلقيها سماحته على طلّاب العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: أربع من كنّ فيه كان فى نور الله الأعظم ... ومَن إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ()....

معنى كون الإنسان فى نور الله تعالى

إذا كان الإنسان فى نور الله عزّ وجلّ فلا يزلّ ولا ينحرف ولا يطغى ولا تسيطر عليه نفسه الأمّارة بالسوء، ولا يسمح للشيطان أن يغويه، وتكون الدنيا بنظره كأهون ما يكون، لأنه يرى بهذا النور حقائق الأشياء، كما يرى بالنور المادّى الأجسامَ ويميّز بعضها عن بعض، فيُقبل على ما يرغب منها ويُدبر عمّا يكره.

إنّ مَن يجلس على مائدة فى ظلام لا يعلم بما وُضع أمامه هل هو من الأطعمة أم لا؟ فقد يمدّ يده وإذا بعقرب أو حشرة ضارّة أو سمٍّ وجدَ طريقه عمداً أو خطأً إلى مائدته فيتناوله وهو لا يعلم. أما الجالس فى النور فهو يرى الطعام الذى أمامه فيميّزه عن غيره ولا يمدّ يده إلى ما يشكّ أو يحتمل الضرر فيه.

وهكذا الحال فى المعنويّات؛ إن لم يكن الإنسان فى نور الله تعالى، فسيكون فى تيه وظلام وحيرة وضلال وإن كان لا يدرك ذلك ويتصوّر نفسه عارفاً بما حوله.

إنّ الحديث النبوى الشريف الذى افتتحنا به الموضوع يخبرنا أنّ قول?: إنا لله وإنا إليه راجعون ?يجعل الإنسان فى نور الله تعالى أى

أنّ الله يمنحه النور ليرى ما ينفعه وما يضرّه، وفيم يصرف عمره، وكيف يعاشر الناس، وكيف يسيطر على نفسه وشهواته، وكيف يتخلّص من حب الدنيا وزخارفها، بل كيف يستطيع أن يعرف ما هو اللائق فيُقبل عليه وما هو المذموم فيصدّ عنه، لأنّ هذا هو حال الإنسان الذى فى نور الله عزّ وجلّ.

المقصود من الحديث الشريف

هناك أحاديث عديدة وردت فى تفسير هذه الجملة من الآية الكريمة حاصلها أنّ هذه الجملة تشتمل على كلمتين؛ الأولى: «إنا لله» والثانية: «إنا إليه راجعون». أما الكلمة الأولى فهى إقرار واعتراف بالملك لله، فكأنّ الذى ينطق بهذه الكلمة يقول: أنا لست لنفسى بل إننى وكلّ ما أملك إنما ملك لله، فى حين أنّ الكلمة الثانية: اعتراف بالفناء والرجوع إلى الله تعالى.

لاشكّ أنه ليس المقصود من هذا الحديث الشريف أنّ مجرّد تلفّظ (إنا لله وإنا إليه راجعون) يجعل الإنسان فى نور الله، بل الشعور بها وإنشاؤها من أعماق القلب، وذلك باستحضار الإنسان القائل لها أنّه ليس مالكاً لنفسه ولا لسانه وبصره وسمعه ولا لما بحوزته من أموال وعلاقات وشخصية وعلم وغيرها، بل يقول لنفسه: هذه كلّها لله، والله سبحانه جعلها تحت تصرّفى لينظر كيف أعمل. فالملك لله وحده وليس لى، بل لستُ أكثر من عبد أُتى به لتنفيذ ما أمره به مولاه.

فالعبد الذى يُشترى لأجل إعداد الطعام لسيّده مثلاً، عندما يؤتى به إلى المطبخ ويوضع تحت تصرّفه الماء والنار والمواد الغذائية، فهل سينفّذ ما يريده ويشتهيه مولاه، أم يتصرّف بما يحلو له؟ لا شكّ أنّه ليس للعبد أن يقدّم هواه على هوى سيده، وإلّا كان مصيره العقوبة والطرد. فكذلك القائل: «إنا لله»؛ إذا كان صادقاً فعليه أن يستحضر أنّه عبد مملوك ومطيع لمولاه يقرّ ويعترف على نفسه بالعبودية، ولسيّده بالملك.

فإذا كان كذلك وقال هذه الكلمة يكون فى نور الله تعالى، فيبصر عيوبه لأنّ النور هو الذى يكون وسيطاً وسبباً لأن يبصر الإنسان نفسه ويرى ما حوله وما فيه من عيوب ونقائص فيعرف حقائق الأشياء ويتجنّب ما يضرّه وما لا يعنيه وما لا يعود عليه بالنفع، ويتوجّه إلى ما يعود عليه بالنفع فى دنياه وآخرته.

نماذج من الواعين لمعنى الحديث

•كان أحد المؤمنين فى كربلاء المقدّسة إذا بلغ كلمة فى زيارة الإمام الحسين سلام الله عليه لا يقرأها ويقول: إنى لأستحيى من الإمام أن أكذب وأنا أتكلّم معه، وتلك الكلمة فى الزيارة هى عبارة «عبدُك وابنُ عبدك» فكان هذا المؤمن يقول: لا أرانى بمستوى العبودية للإمام عليه السلام ولذلك لا أتمكن من إنشاء هذه الكلمة إن وصلتُ إليها.

ونحن لا يهمّنا فى المقام توجيه هذا العمل بقدر ما يهمّنا انتباه الرجل إلى أنّه يكلّم الإمام ويعرف أنّ الإمام يسمع الكلام ويردّ جواب السلام()، وكان يعى أيضاً معنى كلمة «عبدُك وابنُ عبدِك» ويعرف أنها درجة لم يبلغها بعد، ولذلك كان يقول: يصعب علىَّ إنشاء هذه الكلمة لأنّى أعرف أنّ علاقتى بالإمام الحسين سلام الله عليه ليست علاقة عبد بسيده كما ينبغى وإلّا لما خالفت أوامره، وإنّى على علم بأنّ الإمام الحسين سلام الله عليه يعلم ذلك منّى أيضاً.

فنور الله تعالى جعل هذا الرجل يبصر هذه الحقائق، وإلّا فهناك الألوف بل الملايين الذين يزورون الإمام الحسين سلام الله عليه، وكلّهم يتلفّظ هذه الكلمات مع أنّ حال كثير منهم بعيد كلّ البعد عن فحواها.

•نُقل عن بعض العبّاد أنه كان يقول: كلما أشرع بأداء الصلاة وأبلغ قوله تعالى?: إياك نعبد وإياك نستعين() ?يقشعرّ جلدى ولا أستطيع لولا الوجوب إنشاءها؛ لذلك أقوم بقراءتها وكلّى شعور بالتقصير؛ فإن? إياك نعبد وإياك نستعين ?تعنى أن العبادة منى لك وحدك؛ إذ لا معبود غيرك.

قد لا يعرف قارئ? إياك نعبد ?عمق معناها، وقد يعرف ولكنه لا يعرف من يكلّم بها، فكلاهما قراءة سطحية! ولكن قد يعرف الشخص معنى العبارة ومع من يتكلّم ومع ذلك يعبد مع الله سواه كالدرهم والدينار والزوجة والأطفال والجاه والشهوات أو يرتكب ما حرّم الله، فهذا معناه أنه أشرك بالله سبحانه ولم يصدق فى دعواه، وإن لم يكن شركاً اعتقاديّاً مستوجباً للنجاسة والكفر ولكنه على كلّ حال مرتبة من مراتب الشرك كما ورد فى أحاديث الرياء.

•كان الشيخ أحمد بن فهد الحلى رضوان الله عليه من علمائنا الكبار، ألّف كتباً فى الفقه وفى الدعاء والعلوم الإسلامية المختلفة وكان صاحب كرامات أيضاً. توفى قبل عدة قرون ومرقده فى مدينة كربلاء المقدسة يقع فى طريق الوافدين من النجف الأشرف.

وكان الشيخ ابن فهد رحمه الله مرشداً وهادياً للناس، واستبصر على يديه جمع غفير ممن كان على غير مذهب أهل البيت عليهم السلام فى الوقت الذى لم يكن معظم أهل العراق شيعة لأهل البيت سلام الله عليهم، وتقرَّب من الحاكم يومذاك وظلّ يراجعه حتى حوّله إلى التشيّع وضُربت السكة فى عصره بأسماء الأئمة الاثنى عشر عليهم الصلاة والسلام.

نقل لى أحد العلماء الذين كانوا يسكنون النجف الأشرف أنّه قال: لقد تأثرت كثيراً بالمرحوم ابن فهد الحلى من خلال كتبه وقضاياه فكنت كلّما آتى إلى كربلاء المقدّسة لزيارة الإمام الحسين سلام الله عليه أبدأ به فأزوره؛ لأن المحطّة الأخيرة للسيارات التى تنقل المسافرين من النجف الأشرف إلى كربلاء كانت عند مرقده رحمه الله.

وبعد عدّة سنين من استمرارى على هذه الحال رأيت فى إحدى الليالى فى عالَم الرؤيا بستاناً كبيراً يكتظّ بالعلماء من السابقين واللاحقين كالشيخ الصدوق والشيخ المفيد والسيد المرتضى والعلاّمة الحلّى والمحقّق صاحب الجواهر والشيخ الأنصارى وغيرهم، ولكنى لم أجد الشيخ ابن فهد الحلى بينهم فاستفسرت من أحد العلماء عنه، فقال: إنّه فى بستان آخر، فذهبتُ إليه هناك وإذا بهذا البستان يكتظّ بالأنبياء ابتداءً بإبراهيم الخليل فموسى وعيسى وبقية الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين. سألت أحدهم: هل ابن فهد بينكم؟ قال نعم، ودلّنى عليه. فذهبتُ إليه وسلّمت عليه وقلت له: إنى أعهد قبرك وأقرأ الفاتحة لك وأزورك كلّما جئت لزيارة الإمام الحسين سلام الله عليه. قال: كلّ ذلك يصلنى. فسألته: لماذا فصل الله بينك وبين سائر العلماء وجعلك مع الأنبياء عليهم السلام؟ قال: كان يقتضى بحكم دورى فى الدنيا أن أُحشر مع العلماء وأكون فى بستانهم، ولكنّ عملاً واحداً عملته لله تعالى رفع درجتى مع الأنبياء عليهم السلام، وهو أنّى كنت فى كلّ تصرّفاتى وأعمالى أتصرّف تصرف المملوك والعبد مع سيّده، فكلّ عمل كنت أقوم به كان بهذا الدافع، ولهذا رفع الله تعالى درجتى وجعلنى مع الأنبياء سلام الله عليهم.

وهذا الأمر لا شكّ يحتاج إلى استحضار دائم بأن يذكّر الإنسان نفسه فى كلّ آن أنّه عبد لله، بحيث يسرى إقراره لله بالملك فى جميع أحواله، فإنّ الإنسان ليس معصوماً من الخطأ والزلل، ولكن كلّما ذكّر نفسه قلّت أخطاؤه حتى يلقى الله وهو مغفور له، وانطبق عليه الحديث المتقدم الذكر.

وهذا الإقرار من قبل العبد لله بالملك، وللنفس بالعبودية والرجوع إليه تعالى، يعدّ أصلاً من أصول الأخلاق؛ لأنّه يميّز المتصّف به عن غيره من حيث تصرّفاته وسلوكه، ولا تعود شهوات الدنيا وزخارفها ومشاكلها تؤثّر فيه، فلا ينفلت بعد لأنّه أضحى دائم الشعور بكونه عبداً ومملوكاً لله تعالى، وإذا كان كذلك فإنّ الله لا يختم على قلبه بل ينوّر قلبه فينتبه إلى المخاطر والمنعطفات والمزالق التى فى طريقه فيتجنّبها.

الخلاصة

•كوننا عبيداً لله تعالى هو الواقع شئنا أم أبينا، ولكن الدوافع الأخرى الموجودة تدفعنا إلى عدم الالتفات إلى هذا الواقع أى العبودية، ولذلك تبدو شيئاً نحاول إقحامه على أنفسنا.

•الأمر الآخر الجدير ذكره فى المقام أنّ مَن يقرّ بالعبودية لله ويُشعر نفسه بها لا يطرده المولى من رحمته وإن صدرت منه بعض

المخالفات لأنّه سرعان ما ينتبه فيعتذر ويعزم على أن لا يعود لمثلها.

•وكما أنّ النور المادى ينفع الإنسان فى الدنيا لتمييز العدوّ من الصديق والضارّ من النافع، والهوّة عن الطريق الصحيح فكذلك الحال فى المعنويات. وكما أنّ زلّة بسيطة أو انحرافاً ضئيلاً بسبب غفلة ما قد تؤدّى إلى معاناة عشرات السنين – ومثاله مَن يخيط بإبرة فتنحرف قليلاً فتدخل عينه – فكذلك الحال مع الأخطاء المعنوية، فربّ خطأ بسيط أو زلّة صغيرة تجعل الإنسان يعيش الحسرة والندامة فى الآخرة أحقاباً.

ومثاله: شخص قد يكون ملتزماً بالواجبات والمستحبات، فتراه يصلّى ويصوم ويزكّى ويتهجّد، ويقوم لصلاة الليل، ولكنه مبتلى بمرض كالغرور أو التكبر وهو غير قادر على التخلّص منه بسبب عدم تركيزه على العبودية، أو مبتلىً بذنوب أخرى تجعله لا يرى هذا المرض أو لا يحسّ به، فيكون حاله فى الآخرة حال ذلك الذى أُصيبت عينه لغفلة منه فظلّ محروماً منها ما تبقّى من عمره.

قال بعض الحكماء: إنّ الله تعالى قال عن الدنيا: إنّ متاعها قليل، أو عبّر عنها بالمتاع القليل، تنزّلاً عند مستوى فهم الإنسان، وتماشياً مع ضعفه، وإلاّ ـ فإنّ الدنيا ليست بمتاع أصلاً؛ ولذلك عبّر عنها الله تعالى فى آيات أخرى بأنها لعب ولهو، كما أنّنا نتكلّم مع الأطفال الذين يلهون باللعب على قدر عقولهم ونسمّى ألعابهم أمتعة لهم، وما هى بمتاع.

فإذا كانت إبرة صغيرة تدخل عين الإنسان تجعله مستعدّاً لبذل الملايين من أجل استرجاعها، فكيف بالغفلة عن الانحراف فى الأمور المعنوية والخسارة التى تلحق الإنسان بسببها فى الآخرة؟ وهى الحياة الحقيقية التى عبّر الله سبحانه فى القرآن الكريم عنها بقوله تعالى: ?وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوانُ().?

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا وإياكم لنكون من المشمولين بالحديث النبوى: أربع من كنّ فيه كان فى نور الله الأعظم ...: ومَن إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون...

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة الرابعة عشرة•

كيفية العمل لله تعالى

كيفية العمل لله تعالى

فى ضوء الآية الكريمة

?ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِى الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ?

•يعود تاريخ المحاضرة لعام ۱۳۹۸ ه. وهى من المحاضرات الأخلاقية

التى كان يلقيها سماحته على طلاّب العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

قال الله تعالى فى محكم كتابه?: ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِى الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ().?

مقدمة

يحاول الإنسان غالباً أن يُحسن ظاهره، بل هو مجبول على ذلك وعلى إخفاء عيوبه ونواقصه، ولذلك فهو يسعى أن يخفى حقيقته وباطنه لئلا يكتشف الآخرون اختلافه عن ظاهره وما يتظاهر به؛ لأنّ المفترض – عادة – مطابقة الظاهر مع الباطن، وهو الانطباع المأخوذ

عن كل إنسان فى الوهلة الأولى إلاّ أن يثبت خلافه.

فإذا رأيت شخصاً يواظب على الحضور فى صلاة الجماعة، تحكم بأنّه إنسان خيّر وأنّه ملتزم بالحضور إلى صلاة الجماعة بدافع قلبى. وهكذا الحال إذا رأيت شخصاً عالِماً أو شخصاً يرتاد الأماكن المقدّسة أو المساجد، أو يحضر مجالس العلماء أو يختم القرآن عدة مرات فى شهر رمضان، فإنّك ستحمل عن واقعه فكرة إيجابية تحاكى الظاهر نفسه. أى أنّك تعتبر ظاهره هذا دليلاً على أنّه إنسان خيّر فى مجمل جوانب حياته.

فى بعض خطب الإمام أمير المؤمنين علىّ سلام الله عليه يصف المنافق بقوله ...: وقارب من خطوه وشمّر من ثوبه ()، ... أى جعل ظاهره بنحو يأخذ الناس عنه انطباعاً أنّه رجل خيّر، فيقال: إن الدليل على ذلك التزامه بترك المكروهات فضلاً عن المحرمات، ومواظبته على المستحبات حتى الصغيرة؛ ولذلك تراه إذا مشى لا يمشى بسرعة بل يمشى بوقار وسكينة، موحياً للآخرين أنّ ما يصدر عنه نابع من سكينة القلب فى حين إنّه ليس كذلك!

وإذا كان الإنسان قادراً على خداع أخيه الإنسان بظاهره، فإنّه لا يقدر على ذلك مع الله لأنّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما فى الضمائر وما تخفى الصدور، وكما فى الحديث الشريف: إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم وإنّما ينظر إلى قلوبكم().

فكأنّ الله تعالى يقول للإنسان: جمّل باطنك فأنا عالِم بالباطن وعلى أساسه سأحاسبك، وكلّ ثوابى وعقابى منصبّ على الباطن وليس الظاهر وحده.

وهذا لا يعنى البتة أنّ الظاهر لا ينبغى أن يكون جميلاً، بل المقصود أن جمال الباطن مطلوب مع جمال الظاهر. فلا عقد سلب هنا للقضية - على حدّ تعبير المنطقيين - بل لها عقد إيجاب كما فى قوله تعالى?: يَاأيّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقولونَ مَا لا تَفعَلونَ * كَبُرَ مَقتاً عِنْدَ اللهِ أنْ تَقولوا مَا لا تَفعَلونَ(). ?فهل معنى الآية سقوط الواجبات كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عن الشخص الذى يعمل بعض المنكرات؟ أو هل معناه أنّه لا يجوز لشارب الخمر مثلاً أن ينهى غيره عن شرب الخمر؟

كذلك فإن فى صيغة التعبير فى الآية نوع من التحريض، كما لو قيل للشخص: مادمتَ تأمر بالحسن، فمن الأَولى بك أن تأتمر به أوّلاً، أو مادمتَ تنهى عن القبيح فالأحرى أن تنتهى عنه أيضاً! فلا يقال للمصلّى إذا كان شارباً للخمر: مادمتَ تصلّى من جهة وتشرب الخمر من جهة أخرى، فلا تصلِّ إذاً، بل يقال له: مادمتَ تصلّى فانتهِ عن شرب الخمر. وهذا النوع من التحريض والترغيب موجود فى العرف أيضاً، ومثاله أن يقال لشخص: لماذا تفعل كذا وأنت ابن فلان؟

أشدّ آية فى القرآن

فى مجلس ضمّ بعض العلماء والفضلاء دار الحديث عن أشدّ وأشقّ آية فى القرآن على الإنسان، فأدلى كلّ بدلوه؛ قال بعضهم: إنّ أصعب آية وأشدّها قوله تعالى?: فاستقم كما أُمرتَ()، ?فإنّ الاستقامة شاقّة على الإنسان، والدليل على ذلك أنّ فئة قليلة من البشر يستقيمون، فقد روى عن ابن عباس قال: قال رجل: يا رسول الله أسرع إليك الشيب؟ قال: شيّبتنى هود (أى سورة هود). ...) قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله آية كانت أشدّ عليه ولا أشقّ من هذه الآية يعنى? فاستقم كما أُمرتَ().?

أقول: صحيح إنّ الاستقامة صعبة وشاقّة جداً، ولكنّها قد لا تكون كذلك بالنسبة لبعض الأشخاص. ففى بعض الظروف لا يغدو العمل بهذه الآية شاقاً كما لو كان الشخص مجبولاً على التقشّف والزهد بأن يحبّ من أعماقه الأكل الجشب واللباس الخشن ولا يفكّر بالفراش الوثير والدعة والعيش فى رفاه، بل هو مصدود عنها على أثر معاشرته الأتقياء والزهاد. فمثل هذا الشخص إذا ابتلى مدّة فى مكان لا يوجد فيه أكل لذيذ ولا فراش وثير ولا راحة، تراه يستلذّ بدلاً من التذمّر. ومن هنا لا أرى أنّ هذه الآية أشق آية فى القرآن على النفس.

وقال آخرون: إنّ أصعب آية فى القرآن قوله تعالى:

?قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ().?

حقاً فمن ذا الذى يترك كلّ العلائق الدنيوية ويضحّى بها من أجل الله ورسوله وجهاد فى سبيله كلما حصل تعارض بينهما، خصوصاً وأنّ أغلب الناس يضحّون حتى بنفوسهم من أجل هذه الأشياء!! لا شكّ أنّ هذا الموقف يتطلّب بطولة نادرة تجعل من هذه الآية أصعب آية فى القرآن.

ولكن بدر إلى ذهنى أنه لا تلك أصعب آية ولا هذه بل إنّ الآية التى تأخذ - حسبما أرى - بمجامع القلوب ولابدّ أن تستوقف الإنسان كلّ يوم عشرات المرّات قوله تعالى?: ثمَّ جَعَلنَاكمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعدِهِم لِنَنظرَ كيفَ تعمَلونَ. ?ومركز الصعوبة فى الآية كلمة «كيف» فإنّ الملايين من المسلمين يتّجهون إلى القبلة يومياً سواء فى صلوات الجماعة أو فرادى.. وكلّهم يصلّون الصلاة نفسها، ولكن ما يختلف فيها هو كيفيّتها. ولعلّ الآلاف يقومون لأداء صلاة الليل فى مدينة واحدة كما هو الحاصل فى بعض المدن المقدسة، ولكنّها تختلف فيما بينها من ناحية الكيف.

أهمية الكيف

تخبرنا الآية المباركة أنّ الله تعالى لم يقبض أسلافنا لأنّه سبحانه كان ينظر إليهم نظرة سلبية، وأنّه تعالى لم يجعلنا خلائف فى الأرض من بعدهم، لأنّ نظرته إزاءنا إيجابية، فلا أولئك أساءوا كافّة فاستحقّوا الإماتة ولا أننا أحسنّا جميعاً فأُعطينا الحياة من بعدهم، بل إنّ الله تعالى أعطى كلاًّ فرصة فى هذه الحياة لينظر كيف نعمل.

والكيف هو المهمّ فى العمل، وإلاّ فقد يتشابه عملان من حيث الظاهر، وهما مختلفان فى الكيف اختلافاً فاحشاً، وخير مثال على ذلك البون الشاسع بين صلاة أصحاب الإمام الحسين عليه سلام الله فى يوم عاشوراء وبين صلاة عمر بن سعد وجماعته عليهم لعائن الله، فإنّ بينهما ما لا يُحصى من الدرجات.

إذن: الكيف أصعب ما نواجهه يومياً عشرات المرات. فالإنسان يواجه عائلته وأقرباءه وأصدقاءه وأعداءه وأساتذته وطلاّبه، وهو يواجه المال أيضاً ولكلّ منها كيفية فى التعامل، كما يختلف بعض الناس عن بعض فى كيفية إنفاق المال، وكذلك صرف الوقت. قد يكون هناك شخصان يقرآن القرآن الكريم فى آن واحد لكن يوجد بينهما بون شاسع من حيث الكيف، فالأوّل يقرأ ليختمه، بينما الثانى يقرأه لينتبه من غفلته، ولا شكّ أنّ بينهما فرقاً كبيراً مع أنّ كليهما يقرآن القرآن. ومن الأمثلة على ذلك:

- رجلان أنفقا مالهما فى سبيل الله، أحدهما أنفق ماله رياءً، والآخر أنفقه تشجيعاً للغير.
- رجلان أدّيا صلاة الليل وكان كلاهما فرحاً بها، الأوّل فرحته فرحة موفقية، أما الثانى ففرحه فرح عُجب! والعياذ بالله.
- ذكرتُ مرّة أنّ اثنين من أئمة الجماعة - فى قصّتين مختلفتين ومن بلدين متباعدين - وقعت لهما حادثة متشابهة وهى أنهما تذكّرا فى أثناء الصلاة عدم كونهما على الوضوء، مما حدا بكل منهما أن يبطل صلاته

- لأنّها لا تعدو صلاة صورية؛ لعدم توفّرها على شرط الصحّة وهو الطهارة - ثم استقبل كلّ منهما المأمومين وهم يواصلون صلاتهم، وقال: أيّتها الجماعة لقد تذكّرتُ أنّى لستُ على وضوء، فأكملوا صلاتكم فرادى.

بيد أنّ الفرق بينهما -كما استمعتُ لقصّة كلّ منهما على انفراد- أنّ الأوّل عمل ذلك فوراً لئلاّ يوسوس له الشيطان، فكان إبطاله لصورة الصلاة، عملاً خالصاً لله كما يظهر من نقله. أما الثانى فقال: عندما انتبهت أنّى لست على وضوء خجلت أن أعلن ذلك للناس وقلت فى نفسى: قد يقول الناس إنه كان متوضّئاً قبل الصلاة ولكن صدر منه أثناء الصلاة ما ينقض الوضوء؛ فتدارك الأمر بهذه الصورة!

يقول: عند هذه النقطة بالذات خطرت ?فى ذهنى فكرة، وقلت فى نفسى: لا بأس بما يظنّه المصلّون؛ إنّ هذه فرصة جيّدة قد تحقّقت

لی، وذلک لأنّ المأمومین سیزداد حسن ظنّهم بی ویقولون: إنّ هذا الرجل إمام جماعة متدیّن جیداً بحیث إنّه لم یخفِ علینا الواقع خجلاً بل بادر بإعلانه وتوقّف عن إمامتنا فی الصلاة!

فکلا الرجلین قطع صلاته لکونها غیر مستوفیة لشرط الطهارة، ولکنّ الأوّل قطعها بنیّة رحمانیة، بینما الثانی قطعها بنیّة شیطانیة، رجاء أن یکثر المأمومون خلفه. وقد بلغنی بعد ذلک أنّ المأمومین قد کثروا بالفعل ووصل الرجل إلی مطلوبه. ولکن شتّان ما بینهما، وسیجازی کلّ حسب نیّته ولا یجازی الاثنین جزاءً واحداً مع أنّ العمل واحد!

مثال من واقع الحیاة

لو اتّفق أن التقیت صدیقاً فدعاک إلی ولیمة مفاجئة، وکانت الدعوة مثار دهشتک لأنّه لم یدعُک طیلة عمره. ثم اکتشفتَ عند دخولک داره أنّ الولیمة کانت معدّة بالأساس من أجل صدیق حمیم له وأنّ دعوته لک کانت محض مصادفة، ربما لأنّه فکّر أن ینتهز فرصة متاحة لدعوتک علی هامش دعوة ذاک الصدیق.. فهل سیکون امتنانک لمضیفک وشعورک بفضله کما لو کانت الدعوة موجّهة لک فی الأساس واستقلالاً؟!

لاشکّ أنّ الأثر الذی ترتّبه علی کلّ حالة یختلف عن الأخری مع أنّ الصورتین واحدة فی الظاهر. فکلاهما دعاک إلی موضوع واحد، وربما کان الطعام عند الأوّل أدسم، ولکنّک لا تنظر إلی الطعام أو الصورة بل إنّ نظرک یتّجه إلی القلب فی حال أردتَ أن ترتّب الأثر.

من علامات الکیف المقبول

ذکر بعض علماء الأخلاق علامات للکیف المطلوب والمقبول فی عمل ما، فی قوله تعالی?: لننظر کیف تعملون ?منها: أن لا تتزعزع ثقة العبد بالله علی أثر تبدّل حال قدوته وشیوخه فی الدین أو انحرافهم().

أعرف شخصاً کان من المؤمنین الأخیار، أو هکذا کان یبدو من أفعاله، کإنفاقه وبذله فی سبیل الله وتعامله الحسن مع الناس، وتصرّفاته العامة حیث کان یظهر منها أنّها منبعثة عن نفس مؤمنة، وهذا الأمر صار سبباً لأن یتأثّر به کثیر من الشباب، وکان من جملتهم شابّ تأثّر به إلی حدّ کبیر حتی صار من المؤمنین الملتزمین.

ولکن اتّفق بعد مدّة أن صدرت من ذلک الشخص بعض زلّات، فکان لها أثر سیئ فی ذلک الشابّ حیث ترک الإیمان بعد أن عاش فی ظلّه عدة سنوات، مما یدلّ علی أنّ کیفیة ارتباطه بالله کانت مختلّة، فلم تکن خیوطه معقودة بالله بل بذلک الرجل. ولو کان ارتباطه بالله حقاً لما تغیّر، وما کان ینبغی له أن یحدث ذلک ضعفاً ووهناً فی ثقته وإیمانه بالله.

هناک ظاهرة خاطئة فی المجتمع، وهی أنّ کثیرین من الناس یقولون إذا کان فلان مع ما له من المقام الاجتماعی أو العلمی أو الدینی یعمل المنکرات أو فی حیاته زلات، فماذا تتوقّعون منّا نحن الناس العادیین؟

لا شک أن هذا الکلام لیس صحیحاً، بل هو یمثل ظاهرة خاطئة، ویدلّ علی أنّ قلب المتفوّه به غیر مرتبط بالله، بل بغیره، وکأنه قد نسی أن الله سبحانه وتعالی ینظر إلی قلوبنا ولا ینظر إلی صورنا! کما تقدّم آنفاً.

إننا نتبع علماءنا وقادتنا ونتعلّم منهم، ولکن لو انحرف أیّ منهم بمقدار أنملة فلا ینبغی لنا أن ننحرف معه وإن کان هو السبب فی هدایتنا؛ وذلک لأنّ القلب یجب أن یرتبط بالله تعالی والله ینظر إلی قلوبنا إن کانت مرتبطة به أم لا؟ فإن کانت مرتبطة به وحده فهو الکیف المطلوب الذی خُلقنا من أجله حیث قالت الآیة?: لننظر کیف تعملون، ?وإلّا فلا فائدة ترتجی فی العمل.

مثال مادّی: والغریب أنّ هذا الأمر ندرکه جیداً ونمارسه فی المادّیات، ولکن إدراکنا له فی الأمور المعنویة صار صعباً؛ لضعف تأمّلنا. ومثاله المادّی لو أنّ صدیقاً أرشدک إلی محلّ لبیع بضاعة بسعر أرخص ونوعیة أجود مما کنت تشتریها من محلّ آخر لا علم لک به،

فلا شكّ أنّك ستتحوّل إلى ما أرشدك صديقك إليه وتكون شاكراً له أن هداك إليه.

ولو افترضنا أنّ صديقك امتنع بعد مدة عن التسوّق من صاحب هذا المحلّ وبدأ يطعن فى بضاعته لسبب من الأسباب، فهل ستستجيب وتترك التسوّق من هذا المحلّ مع أنّ بضاعته أجود وأرخص، أم لا تكترث بتغيّر حال مَن أرشدك إليه لأنّه كان مصيباً فى ما هداك إليه، ولا تعلم سبب طعنه به مادامت بضاعته على ما هى عليه من الرخص والجودة؟

لا شكّ أنّ تصرّفك سيكون هو الثانى؛ والسبب فى ذلك أنّ ارتباطك وعلاقتك التسوّقية ليست بهذا الصديق الذى كان واسطة أوّل الأمر، بل بصاحب المحلّ نفسه، ولا داعى لتخريبها مادمت لمستَ بنفسك صدقه ورخْصَ بضاعته وجَودتها.

المؤمن يرتبط قلباً بالله لا بغيره

إذا كان الأمر هكذا فى المادّيات، فلماذا إذاً تنحرف الأمم غالباً بانحراف قادتها؟ الجواب: لأنّ الناس فى العادة متماثلون فى المادّيات ولكنّهم قليلو المعرفة فى المعنويات.

إذن، من علامات الكيف المقبول للعمل وارتباطه بالقلب هو أن لا ينحرف الإنسان حتى إذا انحرف الأشخاص الذين يعتبرهم قدوته فى الإيمان والتقوى والعلم، ولا ـ يُحدث انحرافهم أدنى ثغرة فى إيمانه وإن كان ارتباطه بالله قد تمّ بواسطتهم. إلا أن يكون إيمانه مستودعاً ويتقلب مع الزمن، كما روى عن الامام جعفر الصادق سلام الله عليه فى تفسيره لقوله تعالى?: فمستقرّ ومستودع ?أنه قال: فالمستقر ما ثبت من الإيمان، والمستودع المعار () ... وهذا يعنى أنّ ارتباطه ليس بالقلب، وإنّ الله لا يقبل هذا الإيمان من صاحبه، لأنّه ليس الكيف المطلوب.

فلنختبر قلوبنا، ونتصوّر لو أنّ فلاناً الذى نعتقد بإيمانه المتفوّق علينا منذ أكثر من خمسين سنة مثلاً، ظهر لنا فى يوم ما أنّه كان مرائياً، فهل سنزلّ ويتزعزع إيماننا، أم سنواصل المسير لأنّنا نعتقد أنّه هدانا إلى الطريق الصحيح وإن انحرف بعد ذلك، فنأسى لحاله دون أن يفتّ فى عزيمتنا وثقتنا بالله تعالى؟!

إنّ الإنسان إذا وجد الحقيقة فهل سيكترث بالأمور الاعتبارية بعد ذلك؟ وإذا كانت الأمور الاعتبارية تتغيّر وتختلف فى أسعارها وقيمها حسب العرض والطلب فى السوق - كالثلج الذى يرتفع سعره فى الصيف خاصة إذا اقترن بانقطاع التيار الكهربائى وينخفض فى الشتاء لقلّة الطلب عليه - فإنّ الحقيقة لا تغيّر فيها، والله تعالى هو الحقيقة المطلقة، لأنه تعالى هو غاية الغايات، ومنبع كلّ خير.

لو أنّ قلوبنا ارتبطت حقاً بالله فهى لا تتغيّر بتغيّر القلوب الأخرى وإن كانت - كما كنا نراها قبل انحرافها - أحسن حالاً منا. ولئن قيل: إذا زلّ العالِم يزلّ بزلّته العالَم()، فنرجو أن لا نكون ممّن يتأثّرون بزلّة العالِم، لأنّ ذلك دليل على خلل فى كيفية ارتباطنا بالله تعالى.

إنّ مَن وجد الله تعالى لا يكترث بعد ذلك بما حصل لزيد أو عمرو. تعلّم من زيد وعمرو إن كانا أهلاً لذلك وأرشداك إلى الإيمان وبصّراكَ منبع الخير، ولكن بعد أن وجدتَ منبع الخير وهو الله تعالى وثّق اتصالك به واستعِن به دائماً واستعذ به من الشرور ومن الشيطان ومن النفس الأمارة حتى لا تتأثر حالك ونيّتك وإخلاصك بتغيرات أحوال الآخرين.

فلو كان شخص ما بنظرنا أكبر قدّيس أو عابداً ثم زلّ أكبر زلّة فيجب أن لا يتغيّر إيماننا، إلّا أن يكون إيماناً صوريّاً، ولنعرف أنّ الله ينظر إلى قلوبنا، وأنّه بمقدار لياقتنا يعطينا توفيقاً وقابلية وسعادة، إذ ليس من الحكمة - والله أحكم الحاكمين - أن يعطى إنساناً فوق لياقته واستحقاقه.

فإذا كنّا نحن البشر على صغر عقولنا نحاول أن لا نعمل ما ليس بحكمة فكيف نتوقع ذلك من الله سبحانه؟!

أمثلة:

?إذا لم يكن إمام الجماعة عادلاً فنحن لا نأتمّ به، وهذه من الحكمة قبل أن تكون تشريعاً فقهياً.

?إنّنا لا نسلّم ثروة بالملايين لسفيه لأنّه ليس من الحكمة فعل ذلك، فكذلك لا يسلّمنا الله الجواهر الثمينة ما لم نكن لائقين بها.

لابد أن يكتشف الإنسان فى الآخرة سبب عدم استجابة دعائه فى الدنيا ويعلم لماذا لم يكن لائقاً للاستجابة.

الرب أعرف بمصلحة المربوب وحاله

من مشاهدات الحياة الاجتماعية أنّ بعض الأطفال يتوسّل إلى أبيه أن لا يسجّله فى المدرسة ويقول: إنّى لا أحب الدراسة ولا أريد أن أصبح طبيباً مثلاً، فيقول له الأب: قد تصبح ذا مهنة وضيعة إذاً، فيقول الطفل: لا بأس. وهنا قد يجبر الأب ابنه وربما يضربه لحمله على الدراسة، ولا يفهم الطفل أنّ أباه إنما يفعل ذلك من أجل مصلحته إلّا بعد أن يكبر، وحينذاك يدرك الطفل أنّه لم يكن من الصحيح أن يستمع أبوه إلى كلامه ويعمل ما يتمنّاه بأن لا يسجّله فى المدرسة ويدعه يلعب ويرتاح. ولو فعل الأب غير ما فعل واستجاب لرغبات ابنه، فلربما لعن الابن أباه حين يكبر ويرشد.

قيل إنّ حمّالاً سُئل: مَن أنت؟ فقال: ابن فلان - وكان أبوه معروفاً - فقال له السائل: نِعمَ الأب وبئس الولد.

فقال بل قولوا: نِعمَ الجدّ وبِئس الأب، وذلك لأنّ جدّى عنى بشأن أبى فبلغ ما ترون، أما أبى فأهمل أمرى فصرت حمّالاً.

والحقّ برأيى مع الحمّال، وكلامه أجمل من الكلام الذى قيل له.

لنهتمّ إذاً بكيفية أعمالنا وبنيّات قلوبنا لنزداد ثقة وإيماناً بالله ولا نضعف لو انكشف لنا ضعف إيمان قادتنا أو معلّمينا أو مَن عرّفونا بالله.

فإنّ مَن يبلغ الهدف حقّ أن يتمسّك به ولا يكترث بمَن تخلّى عنه بعد أن أوصله إليه.

أسأل الله التوفيق لى ولكم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

المحاضرة الخامسة عشرة●

تكييف الإنسان نفسه مع ما كتب الله له

تكييف الإنسان نفسه مع ما كتب الله له

اشارة

بحث الزهد

فى ضوء الآية الكريمة

{لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}

●يعود تاريخ المحاضرة لعام ۱۳۹۸ ه. وهى من المحاضرات الأخلاقية الأسبوعية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

قال الله الحكيم فى محكم كتابه الكريم: {لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}.()

الزهد بين كلمتين من القرآن

روى عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه فى تفسير هذه الآية المباركة أنّه قال: الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن. قال الله سبحانه: ?لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى مَافَاتَكُمْ وَلا تَفرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ?ومَن لم يأسَ على الماضى، ولم يفرح بالآتى، فقد أخذ الزهد بطرفيه().

فليس الزهد أن تمتنع عن الطعام والشراب أو التملك أو النكاح، بل حقيقة الزهد أن لا تأسى ولا تحزن على ما فاتك من ثروات

وقدرات مهما كان نوعها، ولا تفرح بما أوتيت مثل ذلك.

وهـذه منزلة لا يبلغها المرء بسـهولة بل لابدّ له أوّلاً من تمرين متواصل وترويض مسـتمرّ باسـتحضار المعنى الذى تحمله الآية المباركة دائماً فى مختلف القضايا والأحـداث، حتى تصـبح الحالـة ملكـة عنـده. ولا شكّ أنّ الآيـة لا تعنى عدم التأثّر مطلقا، فإنّ الإنسان بطبعه يحزن إذا فقـد شـيئاً عزيزاً، كمـا يفرح إذا أوتى خيراً سواء كـان ماديـاً أم معنويـاً. إنمـا تنهى الآيـة عن الحالـة التى تكشف عن عبودية النفس لتلك الأشياء، وتدعو الإنسان لتحرير نفسه من هذا الرق.

التغيير ممكن

إذا كان الإنسان قد جبل على الحزن لفقد شـىء ما – ولو قصيدة حفظها عن ظهر قلب ثم نساها – أو الفرح بما كسب، فهل يستطيع أن يغيّر نفسه بأن يجعلها لا تحزن على ما فاتها ولا تفرح بما أوتيت؟

صحيـح أنّ التغيير صـعب ولكنّه ممكن. ولئن قيـل فى المثـل الشـعبى: «إنّ الطبع الـذى فى البـدن لا يغيّره إلّا الكفن» أى لا يتغيّر حتى الممات، فإنّ هذا إنما يصدق على الإنسان المسلوب الإرادة، وليس على العالِم صاحب الإرادة والوعى. هذا أوّلاً.

وثانياً ليس المقصود تغيير جـذور الطبيعة والعنصـر الثابت فيها، بل المقصود التحكّم فى درجات الشدّة والضـعف والآثار واللوازم التى تترتّب عليهـا. فنفوس النـاس ميالـة فى الغالب للدعـة والراحـة، ولا رغبـة لها فى الأعمال التى تتطلّب جهـداً مضاعفاً كطلب العلم مثلاً، ولكنّا نرى بعضـهم يتغيّر بفعل الضغوط المختلفة سواء من ذاته أو من الآخرين، فيشمّر عن ساعد الجدّ ويصبح عنده شوق إلى الدراسة بحيث يتحمّل سهر الليالى وشظف العيش من أجل الوصول إلى هدفه.

أجـل، يختلف النـاس فى سـرعة التغيّر وشـدّته. فبعض الطبـاع تتغيّر بسـرعة وبعضـها يتغيّر ببـطء. وكلمـا استحضـر الإنسان المنافع التى سيجنيها أو المضارّ التى سيدفعها من خلال التغيير، زاد من سرعة تغيّره.

وكمـا تختلف النفوس فى هـذا، فكـذلك تختلف الغرائز والطباع فى قوّتها وضـعفها، فلقـد أُثر أنّ آخر ما يخرج من قلب المؤمن حب الجاه، وهذا يعنى أنّ حب الجاه من الطبائع الأصيلة والقويّة عند الإنسان.

وكذلك قد تختلف ظروف البيئة والتربية وعوامل الوراثة وغيرها، إلّا أنّ الأمر المسلّم أنّ أصل التغيير ممكن.

التأسّى بأهل البيت سلام الله عليهم

لقـد روى أن أحـد أبناء الإمام الباقر سـلام الله عليه مرض فاهتمّ به الإمام وحزن عليه، فلما مات خرج على أصـحابه منبسط الحال وقال لهم: إنّا لنحبّ أن نعافى فيمَن نحبّ، فإذا جاء أمر الله سلّمنا فيما أَحَبَّ. وقريب من ذلك قضية للإمام الصادق سلام الله عليه().

الاعتبار بقصص الآخرين

أ. لا تفرحوا بما آتاكم

•روى أنّ شـخصاً فقيراً وصـله مـال كثير، فخشـى ذووه أن يصـعق من الفرح إن أخبروه بالأمر دفعـة، فانتـدبوا طبيباً نفسـياً للقيام بهـذه المهمة، ففكّر الطبيب أن يقسّط عليه الخبر، وقال له: يا فلان هب أنّك حصـلت على عشرة دراهم مثلاً، فماذا أنت فاعل بها؟ قال: كذا. قال: هب عشرين درهماً؟ قال: كذا. قال: فثلاثين. قال: كذا ...فمازال يصعد به حتى وصل إلى مئة ألف مثلاً. فقال: هذا لا يحصل. قال الطبيب: وما عليك أن تتصوّر ذلك؟ قال: هـذا مبلغ كبير! قال: فكيف بك إن كان أكبر؟ قال: كم مثلاً؟ قال مئتى ألف. قال: لا تمزح ودعنى وشأنى. فقال له الطبيب المخبِر: لستُ مازحاً. فقال الفقير: ومن أين يأتينى هذا المبلغ؟ وهنا استعدّ الطبيب لإخباره بحقيقة الأمر،

فقال: ماذا تعطيني لو بشّرتك بحصولك على مليون دينار مثلاً؟ قال الفقير الذى لم يصدّق بعدُ: أعطيك نصفه. قال له الطبيب: اختم لى هذه الورقة إذاً. وما إن ختم الفقير الورقة حتى سقط الطبيب ومات، لأنّه لم يتحمل صدمة الفرحة المفاجئة بحصوله على نصف مليون دينار غُنماً!

ويبدو أنّ هذا الطبيب كان قد تعلّم الطب النفسى لغيره فقط ولم يتعلّمه لنفسه، وبين الحالتين فرق كبير. فربّ واعظ يجيد وعظ غيره، فهو يحفظ آيات وأحاديث وقصصاً وأمثالاً وعِبَراً وينقلها بصورة مرتّبة مؤثّرة، ولكنه غير متّعظ بها لأنّه اتّخذ الوعظ مهنة أو وسيلة لتحقيق مآرب له، فهذا علمه لغيره وليس لنفسه.

ب. لا تأسوا على ما فاتكم

•أذكر أنّ شخصين كانا يتنازعان على أراضٍ واسعة كلّ يدّعى ملكيتها. وانتهى نزاعهما إلى المحاكم، واستمرّا على هذه الحال زهاء خمس عشرة سنة. وأخيراً أصدرت المحكمة النهائية حكماً لصالح أحدهما، وخسر الآخر القضية.

وكان وقْع الحكم على خاسر القضية شديداً لدرجة أنّه شُلّ ولم يستطع حراكاً، فحُمل إلى بيته، وهناك لفظ أنفاسه الأخيرة!

•كما أذكر أنّى رأيتُ طفلاً يكره الذهاب إلى المدرسة - كما هو حال كثير من التلاميذ فى أوّل سنة دراسية لهم، حتى أنّ بعض الأطفال كان يتمنّى موت المعلّم لكى يستريح ولو يوماً من الذهاب إلى المدرسة. وأذكر أنّ أحد أصدقاء الطفولة كان ينذر بأن يتصدّق بمصروفه اليومى إذا ما مرض المعلّم. وكان معلّم الصف واحداً فى العادة، فإذا ما غاب أو انشغل عاد التلاميذ إلى بيوتهم وتعطّلت حصصهم كلّها -.

قيل للطفل: لا تذهب اليوم إلى المدرسة؛ لعذر ما. ففرح الطفل وجلس إلى المائدة لتناول الطعام، وبينما هو يأكل إذ أُخبر أنّ عليه أن يذهب إلى المدرسة؛ فربما زال العذر. فلم يستطع الطفل أن يبتلع اللقمة التى كانت فى فمه وغصّ بها لأنّه شعر أنّ الراحة قد فاتته. وعندما رأى الأهل ما حلّ به قالوا له: لا بأس، لا تذهب. فجلس يأكل ثانية فرحاً مسروراً!

قد يستغرب بعض الناس من حالة هذا الطفل أو يضحك، ولكنّه إذا عاد إلى نفسه وجدها لا تختلف عنه إلّا فى الموضوع الذى يحزن بسببه أو يفرح بحصوله. فالمستوى يختلف أما أصل الطبع فواحد.

فصاحب المليون دينار قد لا يحزن إذا ضاع منه دينار واحد ولكنّه يحزن لضياع الألف. أما صاحب المئة فيحزن حتى لضياع الدينار الواحد.

السبيل إلى التغيير

إذا كان الأمر كذلك، فكيف يستطيع الإنسان أن يكيّف نفسه لكيلا تأسى على ما فاتها ولا تفرح بما أوتيت؟

للإجابة نقول: هناك طريق واحد، حيث كلّ الطرق ترجع إليه، وهو ما افتتحنا به الحديث، بأن يتذكّر الإنسان دائماً أنّ كلّ شىء أمانة فى رقبته وعارية لديه، وأنّ الأمانة لابدّ من إرجاعها يوماً إلى صاحبها ومالكها الحقيقى. فالمال أمانة والعلم أمانة والجاه أمانة وكذا الصحّة والأولاد والأهل والزوجة والعقار وجسمه وروحه وكلّ شىء عنده هو أمانة، فلا ينبغى له أن يحزن لفقدها لأنها أمانات، حتى السفر مثلاً لو كانت وسائله مهيّأة له ولكنه لأسباب لم يتحقق لا ينبغى له أن يحزن لأنّه كان أمانة!

وإذا استطاع الإنسان أن يركّز على هذا الأمر فستخفّ الوطأة عنده شيئاً فشيئاً حتى يبلغ مرتبة يصدق عليه أنّه لا ييأس على ما فاته ولا يفرح بما أتاه.

فإذا تألّم الإنسان لفقدان بعض الأشياء - كالصحّة مثلاً – فهذا يعدّ أمراً فطريّاً، ولكن الرياضة النفسية تخفّف الوطأة على الإنسان وتزيل الألم المضاعف. فتارة يتألم الإنسان بدنياً بسبب مرض ألمّ به، وتارة يتألم نفسياً نتيجة الشعور بفقدان الصحة، وهذا أيضاً شىء

طبيعي، ولكن التركيز على الألم النفسي والتحسّر وما أشبه هي الأمور التي تنهض التربية بإزالتها كلّما تذكّر الإنسان أنّ كلّ ما يملكه حتى صحّته وبدنه وروحه أمانة عنده وليس هو مالكها الحقيقي.

ينبغي أن نعرف أنّه حتى صحّتنا أمانة ينبغي المحافظة عليها من جهة، ولا ينبغي أن نقتل أنفسنا حسرة إذا ما استُرجعت منّا. ولذلك ورد في الحديث القدسي: يامحمد، احبب مَن شئت فإنّك مفارقه، واعمل ما شئت فانك ملاقيه().

وهذا لا يعني أنّ الإنسان لا ينبغي له أن يحزن لمفارقته الأحبّة، ولكن فرق بين ذلك وبين أن يحزن ويسخط أو يعترض على حصول الحالة.

ولتوضيح المسألة أذكر لكم الصوم مثلاً، فإنّ الإنسان الصائم يتألم ألم الجوع ولكن لا ينبغي أن يتألم على الجوع نفسه فيقول: لماذا أنا جائع أو لماذا ينبغي أن أكون جائعاً ويتحسر على الطعام! فألم الجوع ذاتيّ لا يمكن تغييره، ولكن الألم على حصوله أمر غير مقبول ويمكن تغييره، بل يجب القضاء على هذا الإحساس أو تقليله إلى أدنى درجة ممكنة.

وهكذا الحال بالنسبة لمن يفقد عزيزاً أو مالاً أو جاهاً أو حتى علماً، فقد يحفظ أحدكم قصيدة أو كتاباً ثم تعرض له أمور فينساها ويتألّم. وألمه هذا ليس ذاتياً بل هو عرضيّ بسبب فقدانه ما كان يحفظه، وهذا يمكن أن يزول بتذكّر أنّ كلّ شيء لدى الإنسان هو أمانة لابدّ أن يفارقها يوماً ما.

في تربية النفس صلاح الدنيا والآخرة

•فمَن ربّى نفسه على هذه الشاكلة صلحت آخرته ودنياه، لأنّ مشاكل الدنيا ليست بيد الإنسان، كما في قوله تعالى?: ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة() ?إلا أن آلية التعامل معها تعتبر من صميم إرادة الإنسان، وعليه فليتذكّر الإنسان أنّ كلّ بلاء ينزل عليه في الخير أو الشرّ إنما هو بقضاء من الله وقدر، وإذا ما عرف الإنسان هذا عندها يهون البلاء ويخفّ، فيشعر بالسعادة وينجح في الاختبار، فتصلح آخرته ودنياه معاً.

والشيء نفسه يصدق على الأفراح، فإنّها قد تأتي الإنسان من دون اختياره، فليوطن نفسه على أنّها زائلة يوماً ما وأنّها لا تعني كلّ شيء وأنّه لا ينبغي أن تستعبده وتستملكه.

فإذا كان الإنسان كذلك يكون قد جمع الزهد من طرفيه كما قال سيد العارفين الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن. فهاتان الجملتان سُلّم إلى الرضا بقضاء الله تعالى، وهو أرفع درجات الإيمان أو كما قيل هو الدرجة العاشرة من درجات اليقين.

•فما أحوجنا لهذا التغيير وهذا الإعداد، لئلّا يكون مثَلنا مثَل ذلك الطبيب الذي تقدّمت قصته.

فنحن من جهة لنا مشاكلنا الشخصية ونحتاج لأن نربّي أنفسنا لبلوغ درجة الرضا بقضاء الله عزّ وجلّ، فلا نقول أو نفعل ما يسخط الله نتيجة التأثّر والانفعال لما قد يصيبنا، بل علينا أن نذكّر أنفسنا دائماً بأنّ ما من خير نناله فهو من الله تعالى، بمعنى أنه أمانة عندنا، لابدّ أن نفارقها يوماً ما، فلا نأسى على ما فاتنا، ولا نفرح بما آتانا.

هذا بالإضافة إلى المشاكل الاجتماعية. فالأجواء هذه الأيام ملوّثة والنواحي الاجتماعية موبوءة، قد ضعف فيها الوازع الديني، وقوى حبّ الدنيا في النفوس، فمسّت الحاجة إلى واعظين متّعظين وعلماء دين عاملين، وأطباء روحيين أكثر فأكثر.

وهذا يعني أنّ مسؤوليتنا قد تضاعفت في المجتمع لنحول دون اغترار أفراده – وأنفسنا أيضاً – بالمال أو الجاه أو السمعة. فربما لا يُصعق بعضنا ويموت لو فاتته الملايين من الأموال أو جاءته بغتة، ولكن قد لا نكون كذلك لو امتُحنّا في الجاه والمكانة الاجتماعية.

المطلوب من كلّ إنسان أن لا يفرح أو يأسى على شيء ما يحبه ويهواه، وعليه أن يتذكّر دائماً أنّ كلّ النعم التي عنده هي من الله عزّ وجلّ، فإن تجدّدت فهي نعمة أخرى ينبغي الشكر عليها، وإن زالت فهذا شأن الدنيا ونعيمها، فكلّها أمانة عند الإنسان لابدّ أن يفارقها

يوماً ما سواء تأخّر أو تقدّم.

•هـذه الأمور قولها سـهل، والاسـتماع إليها أسـهل، ولكن المهم هو العمل، وهذا يحتاج إلى تمرين وتذكّر دائم، والإنسان إذا سار فى طريق الله تعـالى فـإنّه يعينه بلا شكّ، وقـد وعـد الله المؤمنين ذلك، إذ وعـدهم بالنصـر إن جاهـدوا فى سبيله، سواء كان جهاد العـدو الخارجى أو فى الجهاد للتغلّب على العدو الداخلى وهو النفس، وهذا ما سمّاه النبى صلى الله عليه وآله بالجهاد الأكبر؛ فإنّ المؤمن إذا استعان بالله وسار فى طريق جهاد نفسه، أتاه المدد والنصر من عند الله عزّ وجلّ.

•ولنا فى أولياء الله الـذين وصـلوا هذه المراحل العالية – ناهيك عن المعصومين – خير دليل على إمكان التحقق. فما الفرق بيننا وبين السـيد بحر العلوم – مثلاً – أو الشـيخ الصـدوق أو السـيد الرضـى رضوان الله تعـالى عليهم جميعـاً؟ فقـد كـانوا أناسـاً عـاديين أى غير معصومين ولكنهم بـتربيتهم أنفسـهم أصـبحوا أوليـاء غير عـاديين تُنقـل عنهم الأعـاجيب! وهم الـذين عن طريقهم وصـل إلينـا الـتراث الإسلامى الموجود بين يدينا.

فكيف صـاروا هكـذا ولم يكونوا معصومين؟ نقول فى الجواب: إنّهم سـاروا فى الطريق متوكّلين على الله تعـالى ومسـتعينين به فأعانهم ونصرهم على أنفسهم حتى بلغوا ما بلغوا من العلم والدين.

لقـد كـان الشـيخ آغـا رضـا الهمـدانى رضوان الله عليه عالِمـاً جامعاً وأسـتاذاً مبرّزاً، بلغ مشارف المرجعيـة، فأُصـيب بمرض السل، ولم يتمكن بعد ذلك من التصدى للمرجعية ولا مواصلة التدريس فجلس فى بيته وتفرّغ للتأليف فكتب «مصباح الفقيه» فى ثلاثة مجلدات. وكان أحد تلاميذه يقول: هذا لطف من الله تعالى للشيخ لأنّه أغنى بقلمه أكثر مما أفاد بلسانه.

فلنفرض الآن أنّ أحدنا درس كلّ هذه المدّة – خمسين سنة مثلاً – وأتعب نفسه وسـهر الليالى يطلب العلم ويطوى المراحل، حتى إذا صـار على أبواب قطف الثمـار وإغنـاء المجتمع أُصـيب بالمرض وقعـد فى البيت عاجزاً عن مواصـلة أىّ نشاط، فهل سـيأكله الحزن أم يتذكّر أنّ كلّ ما وُهب فمن الله تعالى وأنّه كان أمانة عنده وبالتالى لا ينبغى له أن يأسى على ما فاته؟!

لاـ شـكّ أنّ المطلوب هو الثـانى مـادام الإنسـان خُلق للامتحـان. فلا طريق أمام الإنسان المؤمن سوى هـذا، وبه يحفظ دينه ودنياه. فما أدرى المرء بما خبّأه الدهر له؟ ومَن يعلم بالآتى فى حياته؟

فلنمرِّنْ أنفسـنا من الآن إذاً ولنكن مسـتعدّين للامتحان أبـداً، وقـد ورد فى الحـديث عن أمير المؤمنين سـلام الله عليه: إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور().

ولا حاجة لأن تشرّق أو تغرّب بعد ذلك وقد أخبرك الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه حيث قال: الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن. قـال الله سـبحانه?: لِكَيْلاـ تَـأْسَوْا عَلَى مَـا فَـاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ?ومَن لم يأسَ على الماضـى ولم يفرح بالآتى فقـد أخـذ الزهد بطرفيه.

بل اسعَ لبلوغهما من خلال التـذكّر بانّ كلّ ما عنـدك فهو أمانـة وأنت مفارقها يوماً ما، فإن فكّرت هكـذا فسـتُحلّ كثير من مشاكلك وتحتفظ بدينك ودنياك وتُسعد بهما.

أسأل الله تعالى التوفيق لى ولكم. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

المحاضرة السادسة عشرة•

الورع عن محارم الله تعالى

الورع عن محارم الله تعالى

فى ضوء خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله فى استقبال شهر رمضان المبارك

•من محاضرات سماحته فی استقبال شهر رمضان، ألقیت عام ۱۳۹۸ ه.

علی طلّاب العلوم الدینیة.

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله رب العالمین، والصلاة والسلام علی محمد وآله الطیبین الطاهرین، ولعنة الله علی أعدائهم أجمعین إلی یوم الدین.

تضمنت الخطبة الشهیرة التی ألقاها رسول الله صلی الله علیه وآله فی آخر جمعة من شهر شعبان فی استقبال شهر رمضان المبارک فضائل کثیرة() ولکننا سنتناول فی بحثنا هذا نقطتین هما:

الأولی: قوله صلی الله علیه وآله: فإنّ الشقی مَن حُرم غفران الله فی هذا الشهر العظیم.

الثانیة: الورع عن محارم الله، حیث سأله الإمام علی سلام الله علیه عن أفضل الأعمال فی هذا الشهر، فأجاب صلی الله علیه وآله: الورع عن محارم الله.

۱- من هو الشقی

أما عن قول رسول الله صلی الله علیه وآله: الشقی من حُرم غفران الله فی هذا الشهر العظیم. فقد قال علماء البلاغة: إن الجملة هنا تدلّ علی الحصر، أی إن الشقیّ هو مَن حُرم غفران الله فی شهر رمضان المبارک فقط، ولیس فی أی شهر آخر. فالشقاء منحصر فی مَن شُقی فی شهر رمضان وحُرم غفران الله فیه، لا غیر. هذا هو الظاهر البلاغی للجملة، ومعناه أن الشقیّ کلّ الشقاء هو الذی یحرم غفران الله فی هذا الشهر خاصة.

ولا عجب فإن شهر رمضان هو شهر الله سبحانه وتعالی، قد خصّ به نفسه دون باقی الشهور، فهو شهر لتنظیم حیاة الإنسان والتغییر نحو الأفضل والتطهّر من کل دنس، والطاعة لله سبحانه، وفیه یغفر الله للإنسان کل یوم ولیلة أضعاف ما یغفر فی سواه من الشهور، کما خصّه بلیلة القدر التی هی خیر من ألف شهر، والتی یغفر الله فیها ما لا یغفر فی غیرها من اللیالی والأیام، وکذلک یغفر الله فی أوله ووسطه وآخره. فشهر رمضان هو شهر «العفو العام». فمن لم یُشمل بالعفو فیه فهو الشقی حقاً.

أقسام الصوم ومراتبه

ونظراً لأهمیة الصوم فی شهر رمضان المبارک، ودوره فی بناء الإنسان المسلم، فقد قسّم علماء الأخلاق الصوم إلی ثلاثة أقسام هی:

۱. الصوم العام.

۲. الصوم الخاص.

۳. الصوم خاص الخاص.

الصوم العام: هو الکفّ عن المفطرات المذکورة فی الکتب الفقهیة والرسائل العملیة من الأکل والشرب والکذب علی الله تعالی ورسوله والأئمّة المعصومین، والارتماس فی الماء، والبقاء علی الجنابة حتی الفجر، والتقیؤ عمداً وغیرها من الأمور التی إن لم یلتزم بها المرء لا یصدق علیه أنه صائم.

أما الصوم الخاص: - وهو أرقی من الأوّل وأرفع درجة – فهو الکفّ عن المحرّمات کلّها إضافة إلی ما ذکر، مثل: کفّ اللسان والسمع عن الغیبة، وکفّ البصر عن النظر إلی المرأة الأجنبیة بریبة، وکفّ اللسان عما لا یحل له کالکذب واغتیاب الآخرین، وهکذا.

وأما الصوم خاص الخاص: فلا یتوقّف حتی عند هذا الحد بل یترقی لیشمل النوایا والفکر أیضاً. فالصائم فی هذه المرتبة لا یقتصر علی الکفّ عن المفطرات وعموم المحرّمات فحسب بل لا یفکر فیها ولا تحدّثه نفسه بها.

أی أن هناک فریقاً من الناس لا یتورعون عن المعصیة ویکفّون عنها وعن المحرّمات فحسب بل یتورعون عن التفکیر فیها أیضاً، فهم

يصومون عن المفطرات العامة، وتصوم جوارحهم عن ارتكاب الذنوب، كما تصوم جانحتهم عن التفكير فيها. وهذا صوم خاص الخاص. وهو أعلى مراتب الصوم وأقسامه.

لنصمم على بلوغ أعلى المراتب

لو أن أحداً صمم وعزم على الالتزام بالقسم الثالث والمرتبة الأعلى من الصوم، أى نوى الكف عن المفطرات وسائر المحرّمات وكذلك التفكير فيها أيضاً، فإنه قد يوفّق لبلوغ المرتبة الثانية أى ترك المحرّمات وصوم الجوارح إلى جانب ترك المفطرات العامة للصوم، فلو راجع نفسه بعد شهر رمضان لرأى أن فكره لم يكن صائماً وأنه ربما تخلّف عدة مرات وفكّر فى الحرام، لكن جوارحه قد صامت والحمد لله.

أما إذا عزم المرء على المرتبة الثانية فيُخشى أن لا يوفَّق حتى لهذا، ولا يبلغ أكثر من المرتبة الأولى وهى الصوم العام، وذلك لأن الإنسان لا يوفَّق – عادة – إلا لما دون ما عزم عليه. يقول الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: مَن طلب شيئاً ناله أو بعضه().

ولا نعنى بذلك أن الإنسان مجبر على ذلك، بل هو لا يملك نفسه فى الغالب، وهذا أمر قد ثبت بالتجربة. فإن الشخص الذى ينوى مطالعة عشرين صفحة – مثلاً– قد لا يشعر بالتعب إذا بلغ بضع صفحات (ثلاث أو أربع)، لكنه قد يشعر بالتعب وقد يتوقف إذا بلغ عشر صفحات أو أكثر. أما الذى يعزم على مطالعة ثلاث صفحات فقط فإنه سيتعب بمجرد قراءة صفحتين فقط، وهذا يعنى أن الإنسان يشعر بالتعب دون مقصده. وهذا حال أغلب الناس دون النادر من ذوى التوفيق الخاص.

ومن هنا ينبغى للإنسان أن يكون ذا تصميم قوى وإرادة صادقة لكى يوفّق إلى طاعة الله عزّ وجلّ فى أعلى مراتبها ونيل أعلى الدرجات، لا أن يقول حسبى ترك مفطرات الصيام؛ فإنه قد يُحرم غفران الله.

فليجلس كلّ منا – ولو ساعة – قبل شهر رمضان يقلّب فكره فى هذه الأقسام من الصوم ويتساءل مع نفسه: ماذا يحدث لو عزمت على المرتبة الثانية على أقل تقدير، ولا أترك نفسى دون تحضير واستعداد وعزْم على ترك المحرّمات قبل أن أواجهها؟ فإن هذه الساعة من التفكير ستلعب دوراً فى تغيّر الإنسان تجعله يختلف عن غيره من أوّل شهر رمضان إلى آخره. حتى إذا راجع صحيفة أعماله بعد الشهر الكريم رأى أن سيئاته قد قلّت بدرجة كبيرة واقترب من غفران الله أكثر وابتعد عن الشقاء أكثر.

وهذا ليس بالأمر الصعب فهو لا يتطلب أكثر من أن تجلس قبل شهر رمضان ساعة من الزمن تخلو فيها بنفسك وتفكّر فى مراتب الصوم وتعزم على بلوغ المرتبة الأعلى، فإنّ تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة كما فى الحديث().

ولنحدّد المحرّمات التى تواجهنا

كما علينا أن ننظر ما هى محرّمات البصر وما هى محرّمات السمع وما هى محرّمات اللسان ثم نصمّم على الكفّ عنها، ونحاول ذلك.

ففى بعض الأدعية: إلهى خلقتنى سميعاً، فطالما كرهت سماعى، وأنطقتنى فكثُر فى معاصيك منطقى، وبصّرتنى فعمى عن الرشد بصرى، وجعلتنى سميعاً بصيراً، فكثر فيما يردينى سمعى وبصرى().

فلننظر ما هى المحرّمات التى قد نتعرض لها ونصمم على تركها؛ لأن كلّ إنسان معرَّض لقسم من المحرّمات، فهناك محرّمات قد لا يكون قادراً على فعلها أو أنها ليست من شأنه. فطالب العلم الدينى مثلاً لا يصدر منه شرب الخمر عادة، لأن ذلك ليس من شأنه بل لا يفكّر فيه ولا يتصوّر وقوعه فى هذا الفعل الحرام، وهكذا اللواط والزنا والسرقة وتطفيف الميزان وما أشبه، ولكنه قد يقع فى الغيبة أو الإيذاء أو إهانة الناس، فليحدد المحرّمات التى من هذا القبيل وليصمم على تركها.

وليكن لنا فى المتحولين عبرة

ولا بأس أيضاً أن يتذكر الإنسان أن هناك أناساً كانوا عصاة وفساقاً، ولكنهم انقلبوا - بسبب استعداد قلوبهم الرقيقة- بموعظة أو أكثر، إلى أناس ورعين عدول؛ فإن لم نتدارك نفوسنا فسوف نتحسّر كثيراً يوم القيامة؛ إذ لا مجال لإصلاح أنفسنا عندما نعرف أن إنساناً بعيداً عن المطالب الدينية انقلب طيّباً وخيّراً وأصبح أحسن منّا عند الله سبحانه وتعالى ولم نغيّر نحن أنفسنا مع أننا كنا نعرف المسائل الدينية أكثر منه.

فإن كان التأمّل فى هذا الأمر يؤلمنا فلنحاول أن نصلح أنفسنا خصوصاً فى هذا الشهر الكريم.

۲- الورع عن محارم الله

ذكرنا فى مطلع الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن أفضل الأعمال فى هذا الشهر الورع عن محارم الله.

إذن علينا أن نعرف أولاً ما هى الأمور التى حرّمها الله تعالى؛ لأن الورع شيء والمحرّمات شيء آخر.

فهناك مسألة فى الفقه يدور النقاش حولها وهى ما هو حكم مَن تتوفر فيه ملكة العدالة ولكنه لا يعلم كلّ المحرّمات، كالبدوى الطيب الذى لو عرف أن شيئاً بعينه حرام لتركه، ولكنه يجهله، ولنفرض أن جهله كان عن قصور لا تقصير، فهل تترتب عليه آثار العدالة أم لا؟

فلنحتمل الشيء نفسه فى أنفسنا. فما أدرانا أنّا عرفنا كلّ المحرّمات؟ ولو عرفناها فما هى حدودها؟ فلعلّ بعضها غير واضح لبعضنا. إذن علينا - لاسيما نحن أهل العلم - أن نستفيد من فرصة هذا الشهر الكريم لمعرفة المحرّمات. فاحتمال عدم معرفتنا لكل المحرّمات يسوقنا إلى أن نوفر بعض الوقت لمعرفتها فى هذا الشهر فهو خير فرصة لنا.

وإذا كان الورع عن محارم الله أفضل الأعمال فى هذا الشهر، فمعرفة هذه المحارم مقدمة له.

والورع عن محارم الله أفضل حتى من قراءة القرآن فى هذا الشهر، خلافاً لتصور بعض الناس.

إنّ ختم القرآن الكريم فضيلة عظيمة خاصة فى هذا الشهر الكريم، وينبغى للإنسان أن يختمه فيه ولو ختمة واحدة، وإن كان هناك مَن يختمه حتى ثلاثين مرة! ولكن هناك فضائل أخرى كالإطعام وهداية الناس قد تكون أفضل حتى من قراءة القرآن، هذا إذا كانت تلك الفضائل مستحبة، أما إذا كانت واجبة فالقضية أعظم لأن المكلّف يأثم بتركها.

أما أفضل الأعمال - كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله - فهو الورع عن محارم الله.

ويتطلّب أوّلاً: معرفة المحرّمات - كما ذكرنا -.

ويتطلب ثانياً: مطالعة الروايات التى عدّدت المحرّمات، لأن كثيراً من هذه الروايات تؤثر فى دفع الإنسان لترك المحرّمات، بسبب توفّرها على علل التحريم وكذلك العقوبات التى تنتظر مرتكبيها. ففرق بين أن يسمع المرء أن الغيبة حرام وحسب، وبين أن يسمع أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى المغتاب فى ليلة المعراج ولسانه يُقرض أو يُفعل به كذا وكذا، فهذا يؤثّر فى ترك الغيبة أكثر.

وهذه الروايات مذكورة فى كتب الأخلاق مثل جامع السعادات والكتب التى تذكر آداب المحرّمات كحلية المتقين، والآداب والسنن فى بحار الأنوار...

ويتطلّب ثالثاً: الابتعاد عن كلّ المناهى؛ لأن منها ما هو حرام ومنها ما هو مكروه، لاسيّما إذا لم يتضّح لنا بعد أن الأمر الفلانى مكروه أو حرام؛ فإنّ ذلك من مقتضيات الورع. أرأيت الذى يسير فى أرض شائكة كيف يحتاط فى رفع قدمه ووضعها لئلا تصيبه شوكة بل حتى ما يشكّ أنها شوكة. ولذلك قال العلماء: إن الورع درجات. سئل الإمام الصادق سلام الله عليه عن أورع الناس فقال: الذى يتورّع عن محارم الله ويجتنب هؤلاء وإذا لم يتّقِ الشبهات وقع فى الحرام وهو لا يعرفه().

إن الورع عن المحرّمات أدنى درجات الورع، نسأل الله سبحانه أن يوفّقنا لأعلى درجاته ولما يحب ويرضى.

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المحاضرة السابعة عشرة●

شهر رمضان شهر بناء النفس والمجتمع

شهر رمضان شهر بناء النفس والمجتمع

فی ضوء حدیث رسول الله صلی الله علیه وآله

«وجُعلتم فیه من أهل کرامة الله»

●ألقیت هذه المحاضرة، خلال استقبال سماحته جمعاً من طلبة العلوم الدینیة، فی أواخر شهر شعبان ۱۴۲۴ه.

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله رب العالمین والصلاة والسلام علی محمد وآله الطاهرین، واللعن الدائم علی أعدائهم أجمعین إلی قیام یوم الدین.

مقدمة

فی الخطبة التی خطبها رسول الله صلّی الله علیه وآله فی استقبال شهر رمضان المبارک وردت عبارة ذات أهمیة قصوی وهی قوله صلّی الله علیه وآله: وجعلتم فیه من أهل کرامة الله()، فإن کلمة «کرامة الله» لم تنقل علی لسان الروایات کثیراً، ولم ترد إلا فی موارد خاصة لما لها من أهمیة فی نظر أهل البیت سلام الله علیهم، حیث وردت فی قول النبی صلّی الله علیه وآله للإمام علی سلام الله علیه فی تزویجه بالزهراء سلام الله علیها: فإنّ الله تعالی أکرمک کرامة لم یکرم بمثلها أحداً()، وقول الإمام أمیر المؤمنین سلام الله علیه فی بعثة النبی صلّی الله علیه وآله: حتی أفضت کرامة الله سبحانه وتعالی إلی محمد صلی الله علیه وآله فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً()، وهکذا ورد فی الروایات الشریفة بشأن زائر الإمام الحسین سلام الله علیه.

إذا کان بعض الناس قد بلغوا هذه المرتبة، أی صاروا أهل کرامة الله، فإن کل مؤمن فی هذا الشهر الکریم (شهر رمضان المبارک) قد جُعل من أهل کرامة الله تعالی. وهذه الکرامة لا تخصّ الصائمین فقط بل هی تشمل حتی أصحاب العذر الشرعی الذین یسوغ لهم الإفطار کالمسافر والمریض. إن هذه الکرامة هی لهذا الشهر الکریم، لیالیه وأیامه، وکل ساعاته. فالعنایة الإلهیة تشمل الجمیع، ولکن بما أن إحدی صفات الله تعالی المهمة ومن أسمائه الحسنی «الحکیم» أی الذی یضع الشیء فی موضعه، فهذا معناه أن التوفیق الإلهی وإن کان شاملاً فی شهر رمضان لکلّ العباد، إلا أنّ قدراً منه یرتبط بمقدار همّتنا وتوجهنا وجهدنا.

أذکّر فی المناسبة بموضوعین، أوّلهما عام، وهو بناء النفس – وإن کنا نحن أهل العلم مشمولین به أیضاً – والثانی خاصّ وهو التبلیغ، وهذا الأمر یتعلق بنا نحن (أهل العلم) غالباً، وإن کان الآخرون مشمولین به أیضاً ولکن بدرجات متفاوتة.

۱ – شهر رمضان فرصة مناسبة لبناء الذات

إن شهر رمضان المبارک هو شهر بناء الذات وتغییر النفس، وهذا الأمر مطلوب من الجمیع، یستوی فی ذلک أهل العلم وغیرهم، ومهما یبلغ المرء درجة فی هذا الطریق فثمة مجال للرقیّ أیضاً.

یقول النبی صلّی الله علیه وآله: فإن الشقیّ من حُرم غفران الله فی هذا الشهر العظیم(). وهذا معناه لو أن أحداً أهمل بناء نفسه فی هذا الشهر المبارک وقصّر حتی مرّ علیه ولم ینل تلک المغفرة الإلهیة التی هی أوسع وأسرع وأعظم فیه منها فی سائر الشهور، فإنه هو الشقی حقاً. وهذا هو المستفاد من الروایات، لأن بناء الذات واجب عینی فی حد أداء الواجبات وترک المحرّمات. فعلی الإنسان أن یحاول فی هذا الشهر المبارک أن یعمل حتی یبلغ مرحلة یعتقد فیها أنه تغیّر فعلاً وأنه أصبح أحسن وأفضل من السابق.

لاشك أن كل إنسان يتمنى لنفسه التغيير نحو الأفضل، ولكن المسألة ليست بالأماني، فبالأماني وحدها لا يتحقق التغيير، بل هو بحاجة إلى عزم وتصميم ومتابعة ومثابرة وجدّ واجتهاد. فمن لم يقصّر في المقدمات يوفَّق في النتائج بلا شك؛ لأن هذا هو الهدف الأصلي لخلق الإنسان، وهو صريح القرآن الكريم؛ قال تعالى?: ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم() ?أي ليرحمهم. فهل يعقل أن يضع الإنسان نفسه موضع الرحمة بأن ينبرى لطاعة الله والتقرب إليه، ثم لا يرحمه الله تعالى؟! فهذا محال في منطق الحكمة والعقل، ولا إمكان له، فضلاً عن وقوعه – وحاشا لله ذلك – ولكن على الإنسان أن يصدق مع نفسه ويسعى في هذا المجال ليتحقق له ما يصبو إليه؛ قال الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: من طلب شيئاً ناله أو بعضه().

إن الصلوات والأدعية والزيارات والأعمال الواردة في شهر رمضان المبارك بنفسها معدّات لتحقّق بناء الذات، بيد أن المرء قد لا يسعه الوقت للقيام بها كلها، بسبب تزاحمها مع مشاغل أخرى قد تكون مطلوبة هي الأخرى كالتبليغ مثلاً. إذن، فليس هناك طريق للتوفيق أسهل من طريق محاسبة النفس، لأنّها مطلوبة جداً ولها تأثير كبير على الإنسان، ففي كتب الروايات كالكافي والبحار وغيرهما باب مستقلّ في محاسبة النفس، وهناك روايات معتبرة وصحيحة سنداً عن الأئمة المعصومين سلام الله عليهم مضمونها أنه ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم فإن عمل خيراً استزاد وإن عمل شراً استغفر().

إذن، فليخصص المرء كل يوم من شهر رمضان بعض وقته ويخلو فيه، ليراجع ما قد مضى منه خلال الساعات الماضية، فينظر ما عمل وما قال وما سمع وما رأى وما أخذ وما أعطى، وكيف تصرّف مع زوجته وأطفاله وأصدقائه وزملائه؟ وباختصار: ليدقّق مع نفسه فيم صرف وقته؟ ليصمّم بعد ذلك على أن يزيد من حسناته ويقلّل من سيئاته.

محاسبة النفس أسهل الطرق لبناء النفس

وهذا الطريق بنفسه يمكن أن يصل بالمرء في هذا الشهر إلى موقع بحيث يستوى عنده الدينار الواحد والمليار دينار بما هو مال، فلا يركض خلف الأوّل كما لا يأسى على فقد الثاني، بل تراه يهتمّ بفقدان ثواب الله، فلا يتهاون عن الإتيان بالفضائل التي يمكنه الإتيان بها، حتى وإن كانت الفضيلة قول (أستغفر الله) مرة واحدة أو الاستمرار على تكرارها طيلة الشهر الكريم كله!!

يمكن للإنسان أن يصل عن هذا الطريق إلى مراتب عالية، وقد وصل كثيرون درجة حيث لم يعد يزيد الترغيب في اندفاعهم ولا يقلل التثبيط من عزمهم، مع أنهم بشر لهم شهوات ورغبات ويدركون معنى الترغيب والتثبيط ولكن الإدراك شيء والتأثر به شيء آخر.

لاشكّ أن الترغيب يكون مفيداً خصوصاً في حالات التزاحم أو الشروع، ومثاله: أن تكون مواظباً على قراءة دعاء ما في كل ليالي شهر رمضان، ولكن صوّر لك شخص أن دعاءً آخر أكثر ثواباً في ليلة ما من ليالي الشهر، ولم يكن عندك وقت لأداء الاثنين، فههنا يمكن أن يدفعك الترغيب للتخلي عن الدعاء الأول لصالح الثاني، فالتأثر بالترغيب هنا جاء من باب الإتيان بالأولوية للوصول إلى المراتب العليا، أمّا لو كنت متكاسلاً عن التوجه للدعاء أصلاً فيرغبك شخص بالقول إن ثواب هذا الدعاء عظيم فلا تدعه؛ فيكون ترغيبه هذا من حيث الشروع في العمل، وقد يحصل العكس – أي التثبيط – بأن يثبّطك آخر فيدعوك للسمر وترك الدعاء قائلاً إنك قد قرأته في أغلب الليالي فدعه الليلة. فمثل هذا الترغيب والتثبيط يكونان سواء عند بعض الأشخاص في عدم التأثر به في ترك العمل أو الإتيان به، فلا الترغيب يدفعهم أكثر ولا التثبيط يُضعفهم ويقلل من اندفاعهم.

ولا شك أن بلوغ هذه المرحلة يتطلّب عملاً كثيراً ومواظبة جادّة؛ فللشهوات أثرها السلبي وكذلك الشياطين وأصدقاء السوء، ولكن إذا اقتنع الإنسان بإمكانية الوصول وتوكل على الله تعالى، فإن هذا الاعتقاد بنفسه سيوصله، ومن مفاتيحه السهلة محاسبة النفس؛ وذلك بأن يكون الشخص ملتزماً بتحديد أوقات من اليوم يراجع فيها نفسه، بشرط أن يكون الوقت مناسباً، فلا يكون عند الجوع أو الشبع أو انشغال الذهن بأمر آخر قد يحول دون التأمل والتفكير جيداً بل يكون في وقت يمكنه الاختلاء بنفسه ومراجعة ما قد صدر منها.

يقال: إن بعض الأفاضل طلب من أستاذه العالم أن ينصحه نصيحة تنفعه طيلة عمره، وكان على وشك مفارقته، فقال له العالم: خصص

لنفسك كل يوم وقتاً تحاسب فيه نفسك، وإن قلّ. يقول ذلك الفاضل: عملت بنصيحة أستاذى العالم حتى أصبحت محاسبة النفس حاضرة فى ذهنى ما دمت مستيقظاً.

وهذا يدلّ على ارتكاز الحالة فى ذهنه حتى لكأنها صارت ملكة عنده.

أرأيت نفسك إذا كنت تترقب وقوع أمر محبوب لنفسك، كتعيينك فى منصب مثلاً، فإن هذا الأمر لا يغيب عن ارتكازك الذهنى حتى تنام – بل قد يراودك حتى فى نومك.–

إنك فى مثل هذه الحالات، تحاول أن لا تعمل خلال هذه المدة كل ما من شأنه أن يحول دون تحقق ذلك الأمر المحبوب لك، وقد تنجح فى ذلك؛ لأن القضية حاضرة فى ذهنك مادمت مستيقظاً، ويعود الارتكاز بمجرد استيقاظك من النوم مرة أخرى، والدليل على ذلك عودته إلى التأثير فى تصرفاتك وعدم القيام بما يتزاحم معه.

هكذا هو حال من كان الله تعالى حاضراً عنده دائماً، فإن محاسبة النفس لا تغيب عنه ما دام مستيقظاً، وهذا ممكن بترويض النفس بأن يخصص المرء وقتاً من يومه يزيده قليلاً- كل يوم، يراجع فيه نفسه وينظر إلى أعماله ونواياه، فكلما رأى خيراً شكر الله وطلب الزيادة وسعى لها، وكلما رأى شراً استغفر الله وطلب منه التوفيق للإقلاع عنه.

وشهر رمضان خير فرصة لهذه التجربة، ولو أضيف إليه عشرة أيام من شهر شوال لتصبح أربعين يوماً فذلك خير؛ إذ إن الحالة قد تقترب من الملكة التى يصبح التخلى عنها بعد ذلك مستبعداً، لأن الشخص بعد تروّضه يحسّ بلذة لا تضاهيها أية لذة مادية أخرى.

فلو وضعت كل اللذات المادية فى جانب، ووضعت إحدى اللذات المعنوية فى جانب آخر لرجحت الأخيرة، لأن اللذة المعنوية واقعية وخالدة، أما اللذة المادية فاعتبارية مصيرها إلى الزوال – إن لم نقل إنها وهم وخيال –.

روى عن بعض من وُفِّق لزيارة ولقاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف أنه كان يقول: لقد بلغتُ مرحلةً المرض أحب فيها إلىّ من الصحة، والفقر خير لى من الغنى. ولقد كان صادقاً فى قوله لأنه كان يلتذّ باللذات المعنوية بدل اللذات المادية.

ولكن القول الأصح هو ما عُرف عن أئمة آل البيت سلام الله عليهم، وهو: الرضا بما قدّر الله، فإنهم سلام الله عليهم لا يريدون المرض ولا الصحة، ولا الفقر ولا الغنى بل ما قدّر الله، فهو مرادهم أيضاً.

فليصمم كل واحد منا منذ أول شهر رمضان المبارك على تخصيص وقت لمحاسبة نفسه كل يوم، وليدعوا الذين وفقوا لذلك، لمن لم يوفقوا أو قلّ توفيقهم، عسى الله أن يوفقنا جميعاً.

۲ – شهر رمضان والتغيير الاجتماعى

أما المسألة المرتبطة بأهل العلم فى الغالب – وإن كانت عامة أيضاً ولكن بمراتب – فهى مسألة التبليغ والدعوة إلى الله تعالى. يقول الإمام الصادق سلام الله عليه ...: وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً(). والزين على درجات ومراحل. فتارة يسعى أحد أهل العلم أن لا يفعل أو يتكلّم ما من شأنه أن يسىء للإسلام، فهذه مرحلة، وهى مرحلة مهمة ولا بد منها. وتارة يسعى أحدهم لأن يتصرف بنحو يؤثر فى الناس من خلال سلوكه وتعامله مع الآخرين. وهذه مرحلة أعلى، وهى المعنية بقول الإمام سلام الله عليه فى رواية صحيحة: كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم(). وهذا لا يعنى ترك الدعوة باللسان، بل عدم الاكتفاء بها لأنها مطلوبة أيضاً، ولكن الدعوة بالعمل أفضل منها.

لو لاحظ ذوونا وزملاؤنا أنّا نسعى لأداء صلواتنا فى أوقاتها فإنهم سيلتزمون بذلك فى الغالب حتى لو لم ندعهم بألسنتنا. وهذا لا يعنى عدم وجود استثناءات ولكن التبليغ العملى والتربية والدعوة من خلال العمل بطبيعتها تؤثر أكثر من الدعوة باللسان آلاف المرات. فما فائدة أن تدعو ابنك لأداء صلاته أوّل الوقت وهو يراك لا تكترث بذلك؟!

إن الذين عايشوا أشخاصاً اعتقدوا بصلاحهم – لما لاحظوهم يسعون أن لا تختلف أفعالهم عن أقوالهم – هم أفضل فى الغالب من الذين استمعوا آلاف المواعظ، دون أن يروا نماذج عملية تجسّدها.

الاعتبار ببعض أهل العلم

أعرف اثنين من أهل العلم، كلاهما توفيا رحمهما الله، وكان أحدهما متقدماً على زميله فى كثير من المجالات، كالمستوى العلمى والذكاء والأساتذة و ... إلا أن زميله كان أكثر تأثيراً فى المجتمع بمراتب كثيرة.

أذكر نموذجين من عملهما رحمهما الله؛ كان الأول أى المتفوق علمياً، فى أحد الأيام جالساً فى إحدى المشاهد المقدسة منشغلاً بقراءة الزيارة أو الدعاء، وكان المكان مزدحماً بالزوار، فجاءه شخص من عامة الناس وبيده مصحف وطلب منه أن يستخير الله تعالى له، ولم يكن يحبّ أن يقطع أحد عليه خلوته ودعاءه، فأشار إلى الشخص أن يذهب إلى غيره، ولكن الشخص لم ينتبه فتصور أن العالم لم يلتفت إليه، فتقدم إليه بالمصحف مقترباً منه قليلاً ـ وأعاد طلبه. ومرة أخرى أشار له العالم بالذهاب إلى غيره. ولم يلتفت الرجل أيضاً – لأن من عنده مشكلة، لا يلتفت بالإشارة وما أشبه عادة – فاقترب أكثر وكرر طلبه. فغضب العالم ولكنه لم يكلّم الرجل لأنه رأى أن الوقت الذى ستستغرقه الاستخارة ربما يكون أقل. وعندما أخذ منه المصحف رآه مقلوباً، وهنا لم يتمالك نفسه فشرع يصرخ فى وجه الرجل قائلاً: لقد شغلتنى عن قراءتى وقطعتنى عن توجهى، وما أشبه من هذه الكلمات، ولكن ذلك الرجل كان غارقاً فى همومه غير ملتفت إلى الموضوع أصلاً، فعجب منه وانصرف.

أما ذلك العالم الآخر– أى زميل هذا العالم – فطالما رأيته فى حرّ الظهيرة، والعرق يتحدّر على وجهه، إذ يقبل عليه شخص، فيطلب منه سؤالاً أو استخارة، وأحياناً يكون السائل صبياً أو طفلاً صغيراً، فكان رحمه الله يجيبه وهو فى مكانه ولا يطلب منه التحول إلى الظل رغم أنه لم يكن يبعد عنه أكثر من مترين!

ومثل هذا الإنسان بطبيعة الحال أسعد حالاً، وأقلّ معاناة من غيره فى الحياة الدنيا، لأنه لا يفكر عند النوم إلا فى همّ آخرته، أما الدنيا فلا يكترث بها، فروحه لا تشعر بالألم وإن كان بدنه فى بعض العناء. وهذا لا يعنى أنه لا يشعر بالمشاكل المادية ولا يفكّر فى حلّها، بل أنها لا تشغل ذهنه ولا تعذّبه.

ولتوضيح الحالتين نضرب مثالين: إذا سقط ابن جار لك من على السطح أو وقع فريسة مرض عضال فإنك قد تهرع لمساعدته ولا تقصر فى تقديم المعونة له، ولكن حالتك النفسية والروحية تختلف عما لو كنت أنت المبتلى أى كان المريض ولدك، فإنك فى الحالة الثانية تتعرض لضغط روحى وآلام نفسية قد لا تشعر بها فى الحالة الأولى.

إذا سنحت لكم الفرصة قوموا بزيارة لمستشفيات الأمراض العقلية؛ هل ترون فيهم مؤمناً حقاً؟ راجعوا التاريخ هل تجدون بين المنتحرين مؤمناً حقيقياً؟ وليس المقصود بالمؤمن من يصلى ويصوم فقط بل? الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون(). ?إنك قد تجد من بين مرضى المصحات العقلية الشاب القوى والمرأة الجميلة، والوزير والرئيس والمليونير، ولكن لا تجد فيهم مؤمناً واحداً؛ وذلك لأن المؤمن لا يتحطم إلى تلك الدرجة؛ فما أعظم قيمة الإيمان!

وهذا بحد ذاته إحدى ثمرات التربية العملية والدعوة العملية التى نتحدث عنها. ولذلك ترانى أتذكر اليوم قصة هذين العالمين رغم مرور عشرات الأعوام عليها.

وهكذا قد يتذكر الإنسان فى الشدائد بعض المواقف العملية بسرعة ولا يتذكر أياً من الآيات والروايات أو المواضيع التى قرأها أو سمعها أو قالها.

لنتعلّم من أهل البيت سلام الله عليهم

فلنسعَ لتقديم النماذج العملية للناس وهو ما أراده وطلبه منا الأئمة الأطهار سلام الله عليهم أجمعين، ولا يقتصر دورنا فى هذا المجال على أنفسنا بل علينا أن نحول دون ابتعاد الناس عن الإسلام وعلماء الدين. فإذا ما صدر من أحد أهل العلم تصرف مشين نسعى

لتداركه ولا نقل إنه تصرف شخصى ولا علاقة لنا به، بل علينا أن نحاول تداركه لئلا يبتعد الناس بسببه عن الدين والمذهب.

ولنا فى أئمتنا سلام الله عليهم أسوة. فهذا أمير المؤمنين سلام الله عليه قد ترك حقّه مخافة أن يرتدّ الناس، فإن كنا مأمومين بالإمام سلام الله عليه – ولكل مأموم إمام يقتدى به – فلنقتد بإمامنا سلام الله عليه فى هذا المجال أيضاً.

ولنا فى موقف الإمام الحسين سلام الله عليه مع الحر وأصحابه فى كربلاء قدوة أيضاً، فإن الإمام سلام الله عليه سقاهم الماء مع أنه كان يعلم أنهم – إلا الحرّ – قاتلوه بعد ساعة! وكانت مهمّتهم تسليم الإمام سلام الله عليه لابن زياد، فكانوا أظهر مصاديق البغاة والمنافقين والمحاربين والخوارج والنواصب لا شك فى ذلك ولا شبهة! وكانوا مسلحين لكى يجبروا الإمام

على التسليم والاستسلام وإن لزم الأمر باللجوء إلى القوة.

ولكن تصرف الإمام سلام الله عليه هو مما أبقى التشيع حياً. فلم يكن مهماً عند الإمام أن يسقى القوم وإن اقتضى أن يترجل ويرشف خيولهم بنفسه، كما تقول الروايات، إنما كان المهم عند الإمام هو الإسلام ودعوة الناس إليه.

وهكذا كان تصرف النبى صلّى الله عليه وآله مع مشركى بدر، وكذلك سقى الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أصحاب معاوية فى صفين.

كلكم سمعتم بقصة خالد بن الوليد وما فعله مع بعض القبائل المسلمة، ولكن الرسول صلّى الله عليه وآله لم يكتف بالبراءة من صنع خالد، وإنما أرسل الإمام علياً سلام الله عليه ليديهم:

«عن فضالة عن أبان عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر الباقر سلام الله عليه قال:

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد إلى حى يقال لهم بنو المصطلق من بنى جذيمة وكان بينهم وبينه وبين بنى مخزوم إحنة فى الجاهلية، فلما ورد عليهم كانوا قد أطاعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذوا منه كتاباً فلما ورد عليهم خالد أمر منادياً فنادى بالصلاة فصلى وصلوا. فلما كان صلاة الفجر أمر مناديه فنادى فصلى وصلوا، ثم أمر الخيل فشنوا فيهم الغارة فقتل وأصاب. فطلبوا كتابهم فوجدوه فأتوا به النبى صلى الله عليه وآله وحدثوه بما صنع خالد بن الوليد. فاستقبل صلى الله عليه وآله القبلة ثم قال: اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد.

ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله تبر ومتاع، فقال لعلى عليه السلام: يا على ائت بنى جذيمة من بنى المصطلق فأرضهم مما صنع خالد.

ثم رفع صلى الله عليه وآله قدميه فقال: يا على اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك.

فأتاهم على عليه السلام، فلما انتهى إليهم حكم فيهم بحكم الله، فلما رجع إلى النبى صلى الله عليه وآله، قال: يا على أخبرنى بما صنعت؟ فقال: يا رسول الله عمدت فأعطيت لكل دم دية ولكل جنين غرة ولكل مال مالاً، وفضلت معى فضلة فأعطيتهم لميلغة كلابهم وحبلة رعاتهم وفضلت معى فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم، وفضلت معى فضلة فأعطيتهم لما يعلمون و لما لا يعلمون، وفضلت معى فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله: يا على أعطيتهم ليرضوا عنى؟ رضى الله عنك يا على! إنما أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى().

هذا هو الإسلام. فلنسع لأن نصلح ما خرّب غيرنا. ونقول للناس: إن النبى والأئمة سلام الله عليهم لم يكونوا هكذا بل كانوا صلحاء ومصلحين، فلا تتأثروا بما يصدر عن غيرهم.

فى رواية صحيحة – عن الإمام الصادق عن الإمام الباقر سلام الله عليهما – أن الإمام السجاد سلام الله عليه كان مديناً لشخص بأربعمئة دينار ثم وفاه بعد ذلك. إلا أن الشخص أنكر على الإمام ذلك وطالب بالمبلغ مجدداً أو أن يحلف الإمام بالله تعالى أنه وفاه، ولكن الإمام أمر ابنه الباقر سلام الله عليهما أن يعطيه المال ولم يكن مستعدّاً لأن يحلف. وكان الدينار الواحد يمكن أن يشترى به خروف يومذاك، ما يدلّ أن المبلغ لم يكن قليلاً، ومع ذلك لم يحلف الإمام وهو صادق! ()

نسأل الله تعالى ببركة أهل البيت سلام الله عليهم، وراعينا الإمام بقية الله الأعظم أرواحنا لمقدمه الفداء، أن يوفقنا جميعاً. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة الثامنة عشرة●

الباقيات الصالحات

الباقيات الصالحات

وقفة مع الآية الكريمة

?المال والبنون زينة الحياة الدنيا

والباقيات الصالحات خير عند ربّك ثواباً وخير أملاً?

●ألقيت هذه المحاضرة فى عام ۱۳۹۸ه، ضمن المحاضرات الأخلاقية على

طلبة العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى فى كتابه الكريم?: المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربّك ثواباً وخير أملاً().?

ما المقصود بالزينة؟

لقد عبّر القرآن الكريم عن المال والبنين أنّهما زينة الحياة الدنيا. وإنّنا سنتناول فى هذه المحاضرة الشق الأوّل وهو المال، ولكنّنا قبل ذلك نعطى شرحاً لفظياً لمفردات الآية الكريمة ونبدأها بكلمة «الزينة» فنقول:

الزينة هى المظهر الخارجى أو ما يعبّر عنه ب «الديكور» حسب الاصطلاح العصرى [ولذلك يقال للحلاّق الزيّان، لأنّه يصفّف الشعر ويرتّبه].

وهذه الحياة الدنيا التى نعيشها مثَلها كمثَل الدار لها أعمدة وسقف وجدران ولها رتوش وزينة. فالأعمدة والسقف والجدران وما تألّفت منه من حديد وإسمنت وخشب وطابوق و ...أساس تمثّل بناء الدار، ولا غِنى عنها ليصدق على المورد أنّه دار. أمّا المصابيح والستائر والصبغ وسائر الأمور الظاهرية فهى زينة الدار، والتى يمكن أن يقوم الدار بدونها.

إذا اتّضحت هذه المقدّمة نقول: إنّ الله تعالى عدّ المال والبنين من القسم الثانى فى الحياة الدنيا؛ أى إنّ الإنسان إذا كان صحيح الجسم قوىّ البنية والإرادة راضياً بما قسم الله له، فحياته كاملة من حيث الأساس ولا ينقصها إلاّ الزينة أو الديكور، كالمال والأولاد وباقى الأمور الثانوية الأخرى فى الدنيا التى بفقد أحدها لا ينخدش مصداق الدنيا، لذلك عبّر عنهم بزينة الحياة الدنيا لا عمادها. وهذا معنى قوله تعالى?: المال والبنون زينة الحياة الدنيا.?

المال وتحديده

المال – فى اللغة – مشتقّ من (م ى ل) أى أنّ ألفه – كما يقول علماء الصرف – منقلبة عن ياء، والميل يعنى الرغبة. وهذا واضح لأنّ صاحبه يميل إليه. فمَن كان عنده دنانير يميل إليها، فالدنانير مال إذاً. والسجّاد مال لأنّ القلب يميل إليه، والأراضى مال، والمزارع مال، والعقارات والدور والبساتين مال، لأنّ القلب يميل إليها، وهكذا الذهب والفضّة والأسهم فى الشركات و...

فمَن كان عنده شيء من هذه الأمور مالَ قلبه إليها وفكّر في قيمها وهل ستصعد أو تنزل في الأيام القادمة، وما أشبه.

هذا ويكون المال مع الإنسان مادام في هذه الحياة، فإذا مات انفصمت عرى العلاقة بينهما. فالتوقيع الذي يخطّه مليونير على صك بمبلغ مئات الملايين قد لا يستغرق منه ثواني، ولكن هذا المليونير نفسه لا يستطيع أن يخطّ خطاً قيمته فلس واحد، بمجرّد أن تفارق روحه بدنه. فلم يعد عنده مال بل كان عنده مال فيما مضى؛ ولذلك ورد في الحديث عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه:

إِنَّ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ ثَلاثَةَ أَخِلاءَ. فَخَلِيلٌ يَقُولُ لَهُ: أَنَا مَعَكَ حَيّاً وَمَيِّتاً وَهُوَ عَمَلُهُ، وَخَلِيلٌ يَقُولُ لَهُ: أَنَا مَعَكَ حَتَّى تَمُوتَ، وهُوَ مَالُهُ، فَإِذَا مَاتَ صَارَ لِلْوَارِثِ، وَخَلِيلٌ يَقُولُ لَهُ: أَنَا مَعَكَ إِلَى بَابِ قَبْرِكَ ثُمَّ أُخْلِيكَ، وَ هُوَ وَلَدُهُ().

هذا إذا كان أولاده ممّن يحضرون لتشييعه، ولم يكونوا كأكثر أولاد هذا الزمان الذين قد لا يحضرون حتى تشييع أبيهم.

لقد حضرت شخصياً تشييع شخص ثريّ ولم يحضر تشييع جنازته أيّ من أبنائه، فاستأجر أحد المنتسبين إليه حمّالين لحمل نعشه!

معاني كلمة «دنيا»

الدنيا تعني الدانية أي القريبة، وربما سميت هذه الحياة ب «الدنيا» لأنّها أقرب إلينا، فهي من الدنوّ إذاً.

وقد تكون من الدناءة، فالدنيا بمعنى الدنية، أي التي لا قيمة لها. وحقّ أن توصف كذلك؛ لأن الله تعالى وصفها بالمتاع القليل، أي الذي لا قيمة له، قبال الدار الآخرة التي وصفها بالحياة الحقيقية.

لقد وصف الله تعالى – في هذه الآية – هذه الحياة بأنّها دنيا ثم عدّ المال والبنين زينة لها، لا أساساً أو عماداً. فالمليونير المحكوم عليه غداً بالإعدام عنده زينة، ولكنّه لا يملك عماد الحياة الدنيا، فلا فائدة من تلك الزينة إذاً.

أمّا مَن كان يعيش راضياً مطمئنّاً فهو متمتّع بالحياة وإن كان عديم المال أو الولد؛ لأنّ المال ليس أكثر من ميل، وحدّه مع الإنسان إلى موته. والولد زينة أيضاً وحدّه مع الإنسان إلى قبره – كما في الحديث القدسي – هذا إن كان بارّاً.

الباقيات

تشير الآية – في المقطع الثاني – إلى المال الذي يستثمره صاحبه في هذه الحياة من أجل الحياة الآخرة، وتسمّيه باقياً. فالمليونير إذا مات لا يبقى له من ماله الذي خلّفه حتى فلس واحد، أمّا المال الذي قدّمه لنفسه في تلك الدار فهو المال الذي يبقى له.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه ذبح شاة في حجرة عائشة فاطّلع عليها فقراء المدينة، فجاءوا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يعطيهم، فلمّا دخل الليل لم يبقَ منها إلّا رقبتها، فسأل عن عائشة ما بقي منها؟ فقالت: لم يبقَ منها إلّا رقبتها. فقال صلى الله عليه وآله: قولي بقي كلّها إلّا رقبتها!()

وقفة تأمّل

لاحظ هذا المال الذي يصفه الله تعالى في هذه الآية بأنّه زينة الحياة الدنيا أي أنّه زينة أوّلاً وليس عماداً، ولهذه الحياة الدنيا ثانياً وليس للحياة الباقية العليا، هذا المال نفسه يصفه الباري بسبعة أوصاف عظيمة إذا تركته لله عزّ وجلّ!

الموصوف هنا «أل» الموصولة في قوله تعالى? الباقيات. ?أمّا الأوصاف فهي أنّها:

۱ باقيات.

۲ صالحات.

۳ خير.

۴ عند ربّك. وهذا تقويم كثير وتثمين عظيم. فهذا الذي لا يساوي شيئاً أكثر من كونه زينة للدنيا، وليس أساساً حتى للدنيا، يكون

ذات قيمة عند ربّك.

۵ ثواباً. أى إنّ هذه الأموال التى لا قيمة لها تنقلب إلى ثواب الله سبحانه.

۶ خير؛ تأكيد.

۷ أملاً.

ولو بحثتم فى القرآن لرأيتم أنّه لم يستعمل كلمة أمل إلاّ ـ مرّتين فقط، إحداهما فى الشرّ، فى قوله تعالى?: ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل() ?والثانية فى الخير وهى هذه الآية.

وخير أملاً

يقول الله تعالى عن هذا المال الذى تنفقه فى سبيله إنّه خير من جهتين، الأولى أنّه سينقلب ثواباً لك عند الله تعالى، والثانية أنّه خير أمل تعوّل عليه فى حياتك؛ فإنّ كلّ إنسان يعمل عملاً يكون له من ورائه أمل يصبو إليه ويتمنّاه. فالذى يدرس يأمل أن يصبح مهندساً أو طبيباً أو فيلسوفاً أو أستاذاً فى العلوم الأخرى و ...والذى يشتغل يكون أمله أن يكسب مالاً ـ وفيراً. ومَن يعمل فى حقل السياسة يؤمّل أن يصبح فى يوم ما وزيراً أو مديراً عامّاً أو ما أشبه. ومَن يدرس العلوم الدينية يرجو أن يكون يوماً ما خطيباً بارعاً أو مرجع تقليد أو مجتهداً ...وهكذا لكلّ إنسان فى هذه الحياة أمل. بيد أنّ الله تعالى يخبرنا أنّ أحسن الأمل هو أن تسخّر مالك من أجل ذلك العالَم.

خير للمرء أن ينفق من ماله فى حياته

فى الأثر أن أحد الصحابة لما حضرته الوفاة أوصى أن يدفع ملء غرفة تمراً من ماله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليتولى هو بنفسه توزيعها على فقراء المسلمين – والتمر يومذاك طعام وإدام –. وبعد أن وزّع النبى صلى الله عليه وآله التمر بقيت حشفة (وهى أردأ التمر الذى لا ـ لحم فيه، أو اليابس أو المنقور من الطيور والعصافير) فقال النبى صلى الله عليه وآله: لو أنه أنفقها فى حياته لكان خيراً من كلّ هذا الذى أنفقه بعد مماته. (الحديث بالمضمون).

فمن اليسير على الإنسان أن يكتب وصية يوصى فيها أن ينفقوا أمواله فى سبيل الله ولكن الأهمّ أن يفعل ذلك بنفسه وفى حياته، لأنّ المهم هو قطع هذا الميل عن نفسه، وهذا هو الأصعب.

الشياطين تمسك بيد المنفق

روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: الصدقة باليد تدفع ميتة السوء ... وتفكّ عن لحى سبعين شيطاناً كلّهم يأمره أن لا يفعل.()

ومما يدلّ على ذلك أنّ كثيراً من الناس عندما ينوى إخراج مبلغ من المال لمشروع خيرى ويمد يده فى جيبه تراه يتراجع أو يقلّل من المبلغ الذى كان ينوى إعطاءه إذا تأخّر المستعطى قليلاً.

أعرف رجلاً ـ من المؤمنين الأخيار أعطى قولاً للمساعدة فى مشروع بمبلغ (۵۰۰) دينار وكان ذلك فى بيت الله الحرام وعند الكعبة المشرّفة، ولكن عندما عاد إلى بلاده تراجع متذرّعاً بذرائع واهية، ولكنّه خسر بعد ذلك بأسبوعين فى صفقة واحدة زهاء ثلاثة ملايين دينار!!!

الصالحات

لقد جاءت كلمة الصالحات فى القرآن زهاء مئة مرّة. فما هو معنى الصالح؟

الصالح يعنى النافع. فإنّ المال الذى نتركه بعد الممات قد يبقى ولكنّه يكون وبالاً علينا أحياناً، أمّا ما أنفقناه فى سبيل الله فهو من الباقيات الصالحات، أى التى تصلح لنا وتنفعنا.

فمَن يبنى داراً للهو ويموت، فإنّها تبقى بعده، ولكن هل بقاؤها صالح أم ضارّ عليه؟!

أمّا مَن يبنى مسجداً أو حسينية ويدركه الموت، أو يطبع كتاباً دينياً أو يصرف أمواله للفقراء والمساكين أو المشاريع الدينية.. فهذه باقيات صالحات.

فى الحديث: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به من بعده، أو ولد صالح يدعو له().

فربّ مساجد فى العراق وإيران والحجاز وغيرها يعود تاريخها إلى (۱۳۰۰) سنة أو أقلّ، فهنيئاً لمَن ساهم فى بنائها، فهى الباقيات الصالحات حقاً!

قصتان فيهما عبر

حكى المرحوم والدى رحمه الله عن تاجر مؤمن ومسنّ فى كربلاء المقدسة أو النجف الأشرف سمع قصة إنفاق الرجل لبيت التمر بيد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته وأنّه كان خيراً له لو أنفقها فى حياته.. فقرّر أن يعمل بها.. فأقام لنفسه مجلس فاتحة وهو حى، أطعم خلالها الطعام ووزّع المصاحف لتُقرأ على روحه.. و.. و...

وهكذا الحال فى الأربعين والسنة، ثم توفّى بعد رأس السنة بأيام!!

إنّ عمله جميل حقاً وإن استُهجن من قِبل بعض الناس.

كما أنّ بعض أهل الخير ممن وافاهم الأجل كان من المشتركين فى بناء حسينية ومكتبتها العامة، رئى فى عالم الرؤيا من قِبل بعض المؤمنين فسأله عن حاله، فقال: لقد أحسَنوا إلىَّ كما أحسنت فى بناء الحسينية، وها أنا الآن فى مكان كبير وجميل وسط بساتين وأشجار فرحاً مسروراً.

سارعوا فى الخيرات

فلنشمّر عن ساعد الجدّ، ولنضع بعض أموالنا فى خدمة المشاريع والمؤسسات الخيرية. فمَن لم يستطع بناء مسجد وحده فليساهم وليبذل قدر وسعه. فهذه هى الباقيات الصالحات؛ نسأله تعالى أن يوفّقنا لما يحبّ ويرضى.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

المحاضرة التاسعةعشرة●

آثار الأعمال

آثار الأعمال

وقفة مع الآية الكريمة

?ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك?

●ألقيت هذه المحاضرة فى جمادى الثانية عام ۱۳۹۹ ه.، ضمن

المحاضرات الأخلاقية على طلبة العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى فى كتابه الكريم?: ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك().?

مقدّمة

إنّ ما يصدر عن الإنسان إمّا أن يكون حسنة وخيراً ينتفع به، أو سيئة وشرّاً يضرّه.

هذه الآية الكريمة تخبر الإنسان أنّ ما يصيبه من حسنة ونفع وربح وخير وكلّ شىء فى صالحه فإنّما هو من الله تعالى، لأنّ الله لا يريد لأحد شراً أو سوءاً. وأمّا السيّئات والمصائب التى تصيب الإنسان فهى من الإنسان نفسه. وكلّ ابتلاء يصيب الإنسان فسببه الإنسان نفسه. وهذه الآية تخاطبنا جميعاً، فإنّ الإنسان بطبعه حسن الظن بنفسه؛ روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: يبصر أحدكم القذاة فى عين أخيه ويدع الجذع فى عينه(). أى إنّ أحدنا ينتبه حتى للشعرة الصغيرة فى عين أخيه - أى يرى عيوب الناس جيداً - لكنّه لا يرى عيوب نفسه مهما كانت كبيرة.

تريد الآية أن تقول لنا: إنّ أحدكم قد يعمل شيئاً سيّئاً ولا يظهر أثره السيئ إلّا بعد مرور عشر سنين أو عشرين سنة قلّ أو كثر، وربما تظهر الثمرة السيّئة لبعض الأعمال عند الموت! فلا ينبغى للإنسان الذى تصيبه السيّئة أن يعجب ويقول: لماذا أصبت بهذا البلاء السيّئ؟ فلعلّ جذوره تعود إلى ما قبل خمسين سنة وهو لا يدرى؛ فإنّ الله تعالى جعل لكلّ شىء قدراً وحدّاً ومقياساً، ومقياس الله لا يختلف ولا يتخلّف.

العبد الصالح الذى سأل الملك الجبار

روى عن الإمام الصادق سلام الله عليه أنّه قال: كان فى زمن موسى صلوات الله عليه ملِك جبّار قضى حاجة مؤمن بشفاعة عبد صالح أى إنّه كان يعيش فى زمن واحد - أى فى زمن موسى وفى عهد ذلك الملك الطاغى - عبد صالح منشغل عن الناس بالعبادة يريد التقرّب بها إلى الله سبحانه، فيما الملك مشغول بشهواته ولذّاته وظلمه وطغيانه. فاتفق أن مات الملك وذاك العبد الصالح كلاهما فى يوم واحد. ولاشكّ أنّ ذلك لم يقع مصادفة لأن لكلّ شىء سبباً عند الله تعالى وإن كنّا نجهله، وهذه الحقيقة تثبتها هذه القصة نفسها؛ يقول نص الحديث: فتوفّى فى يوم أى فى يوم واحد الملك الجبّار والعبد الصالح، فقام على الملِك الناس أى اهتمّوا بموت الملك وقاموا بتشييعه ودفنه وتركوا أعمالهم وأغلقوا دكاكينهم ومحلّاتهم احتراماً له وحداداً عليه، وكما ورد فى نص الحديث وأغلقوا أبواب السوق لموته ثلاثة أيام.

أمّا ذلك العابد فقد بقى مطروحاً كلّ هذه المدّة فى بيته دون أن يعلم أو يكترث به أحد، حتى تفسّخ بدنه وعلته الرائحة الكريهة وبدأت الديدان تأكل من لحمه. تقول الرواية: وبقى ذلك العبد الصالح فى بيته، وتناولت دوابّ الأرض من وجهه، فرآه موسى بعد ثلاث، فقال: يا ربّ، هو - أى الملك - عدوّك، وهذا - العبد الصالح - وليّك! فما هى العلّة؟ ولماذا جعلت موته فى هذا الوقت بالذات فيُغفل عنه؟ ولماذا كان موت ذلك الطاغى وهو عدوّك فى عزّ واحترام، وموت هذا العبد الصالح وهو وليّك فى ذلّ وهوان؟! فأوحى الله إليه: يا موسى إنّ وليّى سأل هذا الجبّار حاجة فقضاها له فكافأته عن المؤمن.

أى أن هذا الملك كانت له عندى يد وأردت أن أجازيه عليها، وهى أنّه يوم سأله هذا العابد - وهو وليّى - لم يردّه بل قضى حاجته، فأصبحت له يد عندى لأنّه أحسن إلى عبدى ووليّى، فكافأته بهذا التشييع والتجليل - فى الدنيا - ليأتينى ولا يد له عندى وهو عدوّى فأدخله النار. وأمّا عبدى ووليّى فقد سلّطت دوابّ الأرض على محاسن وجهه لسؤاله ذلك الجبّار().

إذا أردت أن تتصور سيّئة العابد بصورة أفضل فافرض أنّ لك خادماً أو ولداً يشتغل عندك ويأكل من طعامك، ويسكن بيتك،

ويحترمه الناس بسببك، ثم احتاج مالاً زهيداً فذهب إلى عدوّك دون أن يسألك، واستغلّها العدو فرصة لكى يمنّ بواسطته عليك فلم يردّ طلبه، أرأيت كم يكون تصرّفه سيّئاً ومشيناً ومسخطاً لك؟!

فكذلك الحال عندما ذهب ذلك العبد الصالح للملك الجبّار فى زمانه. فإنّ العبد الذى يعرف مولاه ويعظّمه لا يفعل مثل ذلك! ولذلك عاقبه الله بأن سلّط الديدان على لحم وجهه تأكله لأنّه أراق ماء ذلك الوجه الذى منّ الله به عليه أمام عدوّه وعدوّ مولاه، وبذلك صفّى حسابه مع الوليّ والملك أيضاً لأنّه الرب الحكيم المقتدر، وهو القائل?: وما أصابك من سيّئة فمن نفسك.?

ولا أحد منّا يعلم كم كانت المدّة بين سؤال ذلك العبد للملك وبين موتهما، وربما استغرقت مئة سنة، سيّما وإنّ الناس كانوا يعمّرون قديماً، ولكن العمل السيّئ أعطى ثماره السيّئة وإن طالت المدة.

ونحن قد تصيبنا فى الحياة سيّئات ولا نعرف جذورها لأنّنا غافلون. فربما ظلمنا إنساناً أو غصبناه حقّه وإن لم نكن منتبهين، فإنّ الآثار التكوينية للأعمال لا تغيّرها النوايا ولا الجهل بها، فهى تترك آثارها، سواء عَلِم الإنسان بها أم لم يعلم!

فلو أخذتَ حبة شعير وتصوّرت أنّها حبة قمح وبذرتها فى التربة، فهل ستنبت حسب تصوّرك أم بحسب واقع الحبة؟ لاشكّ أنّ النبت سيكون حسب واقع الحبة. فمن يزرع قمحاً يحصد قمحاً ومن يزرع شوكاً لا يحصد إلّا الشوك، وإن تصوّر أنّه كان غير ذلك!

الاعتبار من قصة شريك النخعى

شريك بن عبد الله بن سنان النخعى أحد علماء البلاط فى العصر العباسى، كان يتصوّر نفسه عالِماً فى قبال الإمام الصادق سلام الله عليه وكان يتظاهر بالعبادة والزهد والابتعاد عن الحكّام. وكان العباسيون يصرّون عليه أن يقترب منهم ولكنه كان يرفض. وفى إحدى الأيام طلبه المهدى العباسى قائلاً: علَيَّ بشريك النخعى. ولما جاءوا به قال له. أعرضُ عليك ثلاثة أمور فإمّا أن تقبل بأحدها وإلّا فمصيرك السجن! (وكانت هذه الأمور الثلاثة تصبّ كلّها فى أمر واحد وهو أن يظهر النخعى مرتبطاً بالنظام الحاكم) إن لم ترتبط بنا فسيقول الناس": لاشكّ أنّ الحاكم غير جيد، وإلّا لم يقاطعه النخعى وهو عالِم معروف "!لذا عليك أن تختار واحداً من ثلاثة أشياء: إما أن تقبل القضاء أى تكون قاضياً لنا، أو تكون محدّثنا ومعلّم أولادنا، أو تأكل عندنا وتكون ضيفاً علينا.

فكّر شريك قليلاً- ثم قال: إذا كان ولابدّ فأختار الثالث، وإنما اختار الثالث لإنّه رأى أنّه أسهل من الأمرين الآخرين ولا يلزم منه أن يبقى كلّ حياته قاضياً للظالم أو محدّثاً له ومعلّماً لأولاده، فإنّ الأمر ينتهى بأكلة واحدة لا تترك انطباعاً كبيراً لدى الجمهور عن علاقة النخعى بالنظام.

ولكن المهدى العباسى كان أذكى من النخعى فأمر طبّاخه بأن يعدّ أطيب الأطعمة وألذّها، ولمّا قدم النخعى عليه ألهاه فى الحديث لعدّة ساعات لكى يشتدّ جوعه، ثم دعاه إلى المائدة، فأكل منها حتى التخمة.

وتكمن المشكلة فى أنّ النخعى لم يكن عابداً وزاهداً حقيقياً، بل كان متظاهراً بهما، وإلّا لأكل قليلاً من الطعام ثم اعتذر بالشبع، ولكنّه وجدها فرصة لا تعوّض، فلم يقتصر على الضرورى فى تناول الأكل المحرّم الذى لا يعلم مصدره ولم يدر ما الذى فيه!

يقول المسعودى: إنّ الطباخ قال للربيع (صاحب الخليفة) بعدما خرج النخعى: لقد عملتُ له أكلة لا أراه ينجو منها بعد ذلك! وهكذا كانت بالفعل، والله وحده يعلم ماذا كان قد وضع الطباخ فى تلك الوجبة مما حرّم الله من الخبائث فضلاً عن كونها مغصوبة ومن يد الظالم!

بعد بضعة أيام بعث المهدى يطلب النخعى مرة أخرى، ولكنّ الأخير لبّى مسرعاً فى هذه المرّة، ثم بعث خلفه ثانياً وثالثاً ورابعاً - ومن يهن يسهل الهوان عليه - حتى بلغ به الحال أن أصبح قاضياً للمهدى ومحدّثاً، أى من علماء البلاط، ومؤدّباً لأولاده.

بل بلغ الحال بهذا الرجل الذى كان يبتعد عن المهدى العباسى وحكومته، أن يتقاضى منه مرتّباً شهرياً. وفى إحدى المرات التى كان يحمل فيها صكّ المرتّب للصرّاف اعتذر منه الصراف بكثرة المشترين وقلة النقود وأوكله إلى الغد. لكن النخعى اعترض قائلاً: لقد

أتيتك بنفسي وأنا مَن تعلم، أفتردّني وتوكلني إلى وقت آخر؟ وتشاجرا وارتفعت أصواتهما وقال له الصراف: هل بعتني بُرّاً لتستعجلني بالثمن؟ فقال في جوابه: بل بعتك ما هو أغلى! تعجّب الصراف وقال: وما بعتني؟ قال: بعتك ديني!()

ورآه يوماً سفيان الثوري فقال له: يا شريك أبعد الإسلام والفقه والصلاح كلّما يُسأل عنك يقال عند المهدي أو الهادي العباسي؟!

وقضى شريك بقية حياته في خدمة السلاطين حتى نيّف على المئة فطرده الرشيد العباسي في قصّة ليس هذا محلّ ذكرها. ولكن المهمّ هو النتيجة والاعتبار منها، وهي أنّ الأكلة المحرّمة الواحدة عملت عملها وأثمرت هذه الثمرة السيّئة!

الخلاصة

إذن، كلّما أصبتَ بسيّئة فابحث عن السبب لأنّ الله عادل لا يظلم أحداً? وما ربّك بظلّام للعبيد() ?بل هو مبعث الإحسان والكرم?. ما أصابك من حسنة فمن الله ?أمّا السوء الذي يصيب الإنسان فمن نفسه، وكلّما عدّل الإنسان سيرته في الحياة قلّت إصابته بالسيّئات.

أما الذي لا يكترث فإنّ النتيجة السيّئة ستلحقه – والعياذ بالله – طالت المدّة أو قصرت. وعلى الإنسان أن يكون حذراً ولا يغترّ. يقول أمير المؤمنين على سلام الله عليه: يابن آدم إذا رأيت ربّك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره(). أتدري لماذا؟ لأنّ هذا معناه أنّ الله أخّر له السوء في الآخرة. وهناك المصيبة أعظم! لأنّ الدنيا تنتهي وتنصرم والإنسان ينجو منها على كلّ حال، أمّا السوء في الآخرة فليس فيه منجى.

نسأل الله تعالى أن يكفّر عنّا سيّئاتنا ويتوفّانا مع الأبرار.

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المحاضرة العشرون●

قصة أصحاب الحجر

قصة أصحاب الحجر

وقفة مع الآية الكريمة

?ولقد كذّب أصحابُ الحجر المرسلين * وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين?

●ألقيت هذه المحاضرة عام ۱۳۹۹ ه.، ضمن المحاضرات الأخلاقية على

طلبة العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم?: ولقد كذّب أصحابُ الحجر المرسلين * وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين().?

مَن هم أصحاب الحجر؟

أصحاب الحجر() هم قوم النبي صالح عليه السلام، وهو مدفون مع النبي هود عليه السلام، حيث مدفن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، في وادي السلام في النجف الأشرف. ويستحبّ زيارتهما بعد الفراغ من زيارة أمير المؤمنين سلام الله عليه كما يستحبّ زيارة آدم ونوح عليهما السلام؛ فهما مدفونان هنالك أيضاً.

ولم يكن النبي صالح عليه السلام أوّل نبي يكذّبونه فلقد كذّبوا أنبياء آخرين سبقوه بعثهم الله إليهم قبل صالح عليه السلام؛ وكان

هؤلاء الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم مشفوعين بالآيات والمعجزات التى تثبت كونهم مبعوثين من قِبل الله تعالى؛ ولكن ذلك لم ينفع مع أصحاب الحجر وكانوا - كما أخبر الله تعالى عنهم - معرِضين عن تلك الآيات والدلالات!

فلقد لبث صالح عليه السلام فيهم - كما فى الروايات الواردة عن المعصومين صلوات الله عليهم - يدعوهم إلى الله مدّة مئة وستّ عشرة سنة، لم يؤمن به خلالها أكثر من سبعين شخصاً أى بمعدّل أقل من شخص واحد خلال كلّ سنة!

وفى هذا دلالة على أنّنا ينبغى أن لا نتعب أو نملّ ونضجر من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإن كانت الاستجابة قليلة والتأثير بسيطاً؛ فإنّ الله سيثيبنا على أتعابنا مهما كانت النتيجة. فلو أنّ أحداً منّا أيقظ ولده لصلاة الفجر مرّتين وثلاثاً وأربعاً وخمساً، دون أن يرى استجابة منه، فليوقظه سادساً أيضاً ولا ييأس، فلعلّه يتأثّر ويستجيب، والله تعالى هو طرف المعاملة مع العبد وهو الذى يعطيه أجره فى كلّ حال. يقول الله تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وآله?: فإنّما عليك البلاغ وعلينا الحساب().?

الإعراض عن الآيات

ولا يكون الإعراض إلاّ بعد أن يتبيّن الأمر، ولذلك نرى القرآن الكريم يذكره بعد ذكر إيتاء الآيات والبينات. فإنّ مَن لا يعلم أنّ الحجّ واجب عليه ولا يحجّ لا يسمّى معرضاً. أمّا مَن علم بوجوب الحجّ عليه ولم يحجّ مع الاستطاعة يقال إنّه أعرض عن الحجّ. وهكذا الحال مع أصحاب الحجر فإنّهم استمرّوا فى تكذيب أنبياء الله حتى بعد نزول الآيات ومشاهدة المعجزات، أى أنّهم أعرضوا عن الآيات.

آية صالح عليه السلام

وأعظم آية ومعجزة للنبى صالح عليه السلام هى الناقة. فقد طالبه جماعة من قومه أن يُخرج لهم ناقة من بطن الجبل ليتبيّن لهم صدق دعواه؛ فإنّه إن كان نبيّاً استجاب الله دعوته. ولم يردّ صالح عليه السلام طلبهم فتوجّه إلى الله تعالى وسأله ذلك، فخرج صوت رهيب من الجبل وانشقّ إلى نصفين ثم خرجت ناقة عظيمة قيل إنّها كانت تعادل فى ضخامتها عشرات النوق؛ يتبعها فصيلها. وهذا ليس بعزيز على الله، فلقد خلق آدم وحواء من قبل من دون أبوين، وخلق عيسى من أمّ فقط. يقول الله تعالى?: إنّما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون().?

وكانت الناقة وبراء جميلة تسير كالإنسان المؤمن الحكيم. وكانت تأكل من حشائش الأرض حتى إذا وصلت زرع الناس لم تنل منه حتى بمقدار حبة، وكانت لا تطأ فى سيرها زرع أحد أو إنساناً أو حيواناً أو حشرة رغم ضخامتها بل كانت تتحاشى ذلك فى مشيها وسيرها؛ وكانت الحيوانات الأخرى تخشاها بقدرة الله تعالى. وهكذا كانت إعجازية فى كلّ شىء، وليس فى وجودها وخلقتها فقط. فلقد كانت تشرب فى اليوم الواحد ماء القرية بأكمله، أى الماء الذى يشرب منه مئة ألف إنسان مثلاً، وتدع اليوم الذى يليه لأهل القرية يشربون منه. فكان لها شرب ولهم شرب يوم معلوم كما ورد فى الآية الكريمة فى قوله تعالى?: قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم(). ?وكانت تعطى الحليب كلّ يوم بمقدار الماء الذى شربته. وتلك معجزة أخرى. فإنّ الحيوانات التى تعطى الحليب لا تعطى بمقدار ما شربته من ماء بل أقلّ منه بكثير، لكن هذه الناقة كانت معجزة فى كلّ شؤونها!

عقر الناقة

أعرض أصحاب الحجر عن الآيات كلّها وقرّروا قتل الناقة بزعم أنّها تحرمهم من الماء يوماً كاملاً، مع أنّهم كانوا يستفيدون من حليبها! ولكنّه الطغيان والعياذ بالله!

ووعظهم نبيهم قائلاً: إن عقرتم الناقة فإنّ الله تعالى سينزل عليكم عذاباً من عنده. فقالوا: فلينزل علينا العذاب فلا نبالى! ولم يبالوا

بتحذيرات النبى صالح عليه السلام وعقروا الناقة؛ عقرها شخص يسمّى (قيدار) كان أشقاهم. وقتلوا فصيلها أيضاً، وقيل: إنّه عاد إلى الجبل مفجوعاً! ثم تقاسموا لحم الناقة بينهم!

نزول العذاب، والعبرة من القصة

وهنا أخبرهم نبيهم عليه السلام أنّ الله سينزل عليهم العذاب بعد ثلاثة أيام، تصفرّ وجوههم فى اليوم الأوّل، وتحمرّ فى اليوم الثانى، وتسودّ فى اليوم الثالث! ثمّ ينزل عليهم العذاب إن لم يرجعوا حتى ذلك الحين!

سبحان الله! ما أعظم رحمته! فمع أنّ هؤلاء القوم كذّبوا المرسَلين واستمرّوا فى تكذيبهم حتى بعد نزول الآيات، يمهلهم الله تعالى ثلاثة أيام عسى أن يتوبوا فيعفو عنهم ويقبلهم، ولكنّهم مع ذلك لم يرجعوا واستمرّوا فى غيّهم، حتى كان اليوم التالى فاصفرّت وجوه الذين لم يؤمنوا بصالح عليه السلام، فقال ضعفاؤهم لكبرائهم: لقد اصفرّت وجوهنا وإنّ صالحاً صدق فيما قال. فأجابوهم: دعوها تصفرّ! وفى اليوم الثانى احمرّت وجوه القوم، لكنّ الأشقياء أجابوا المعترضين: لعلّ صالحاً سحركم، دعوها تحمرّ. حتى كان اليوم الأخير فاسودّت وجوههم فقالوا: لن نؤمن له ولو هلكنا! فأنزل الله عليهم جبرئيل فصاح فيهم صيحة قطّعت نياط قلوبهم وأصبحوا فى ديارهم جاثمين!!!

إذن على المرء أن ينتبه إلى نفسه، فلو أنّه سقط فى كلّ الامتحانات والعياذ بالله، فلا يسقطن فى الامتحان الأخير. نسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى وصلّى الله على محمدٍ وآله الطاهرين

المحاضرة الحادية والعشرون●

معركة الأحزاب.. دروس وعبر

معركة الأحزاب.. دروس وعبر

وقفة مع الآية الكريمة

?وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلّا غروراً?

●ألقيت هذه المحاضرة عام ۱۳۹۹ ه.، ضمن المحاضرات الأخلاقية على طلبة العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى فى كتابه الكريم?: وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلّا غروراً().?

هذه الآية المباركة من الآيات التى نزلت بشأن حرب الأحزاب، وهى من أهمّ حروب رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فلقد كانت تبدو فى أوّل أمرها من أصعب الحروب وأشدّها على المسلمين لكنّها انتهت أسهل من أىّ معركة أخرى، ونزلت بشأنها سورة فى القرآن تسمّى سورة الأحزاب.

لقد حارب رسولُ الله صلى الله عليه وآله المشركين فى عدّة حروب وانتصر عليهم، وحارب اليهود وانتصر عليهم، وواجه النصارى وتغلّب عليهم، وهكذا كان حال المنافقين فلقد جابههم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وانتصر عليهم. فكلّما واجهت إحدى هذه الفئات أو الأحزاب الجيش الإسلامى، كانت الغلبة للمسلمين. ومن هنا فكّر قادة هذه الأحزاب أن يجتمعوا ويجمعوا عدّتهم وعددهم ليشنّوا حرباً واحدة حاسمة على رسول الله صلى الله عليه وآله فكانت حرب الأحزاب، حيث شكّل المشركون مع اليهود، والمنافقين – الذين يمثّلون الطابور الخامس – جيشاً تعداده اثنى عشر ألف رجل مسلّح اجتمعوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وحاصروا المدينة

المنوّرة!

ولم يكن عدد أفراد الجيش الإسلامى - كما يذكر المؤرّخون - أكثر من بضعة آلاف، وذلك لأنّ كلّ سكان أهل المدينة آنذاك لم يزيدوا على عشرة آلاف نسمة أى أقلّ من أفراد الجيش المحاصِر للمدينة. ولم يكن تسليح الجيش الإسلامى كاملاً، فمعظمهم كانوا راجلة لا خيول لهم أو لا يملكون السلاح الكافى. وكان من أبرز قادة جيش الأحزاب عمرو بن عبد ودّ العامرى الذى كان يُعدّ بألف فارس.

هذه الحالة من عدم التكافؤ دعت بعض المسلمين لأن يطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يفاوض جيش الأحزاب، وقال بعضهم: نصالحهم ونرضخ لكلّ ما يقولون حتى لو أمرونا بعبادة الأصنام، فلا قِبَلَ لنا بهم وليس من العقل أن نواجههم، بل نَنْزل على رأيهم ونصبر حتى إذا قوينا فى المستقبل حاربناهم!

إلى هنا قد يهون الأمر، ويقول القائل: أنّى للمسلمين الذين كانوا قليلى العدة والعدد أن يقاوموا ذلك الجيش الكبير المدجّج بالسلاح؟ لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فإنّ الآية تصف أولئك المتخاذلين بما هو أفظع من ذلك. يقول تعالى?: وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلّا غروراً ?أى إنّ الأمر بلغ بهم أن يكذِّبوا الله تعالى والنبى صلى الله عليه وآله. هؤلاء الذى حكّموا عقولهم القاصرة قِبال وعد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله لهم بالنصر، يصفهم الله بالمنافقين والذين فى قلوبهم مرض.

إنّ الله تعالى أراد فى هذه الحرب أن يثبت للجيش الإسلامى ولنا ولكلّ المسلمين إلى يوم القيامة أنّ الأمر بيد الله وأنّ النصر من عند الله، فإنّ المسلمين فى هذه الحرب التى اجتمعت الأحزاب كلّها ضد الإسلام وبلغ جيش الكفّار أكثر من عدد المسلمين فى مدينتهم المحاصَرة، تمّ النصر لهم من دون أيّة تضحيات، فلم يُقتَل من المسلمين حتى شخص واحد، الأمر الذى يثبت أنّ النصر لا يأتى إلّا من عند الله? وما النصر إلّا من عند الله().?

فى آية أخرى قبل هذه الآية يصف الله حالة المسلمين فى هذه الحرب بقوله تعالى?: وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنّون بالله الظنونا()، ?وذلك أدقّ تعبير عن حالة الخوف والهلع التى كان يعيشها المسلمون، فإنّ الإنسان الخائف لا تكون حركة سواد عينه منتظمة بل تدور من هنا وهناك، والزيغ يعنى الميل، فإنّ عين الخائف مفتوحة على الدوام وهو يواجهك ولكن لا يراك، وإذا سلّمت عليه قد لا يردّ جوابك، ولا ينتبه لك، بل قد يجرح الإنسان الخائف وهو غير ملتفت أنّه مجروح، وقد يصطدم بجدار أمامه دون أن يشعر به ولا يراه، فإنّ العين ترى ولكن انشغال الفكر والخوف يكون مانعاً من استيعاب الصورة التى تنقلها العين للفكر ليكون له تأثير على حركة الشخص. وهكذا كان المسلمون فى حرب الأحزاب أى أنّ أعينهم كانت تدور ولكن لا يرون شيئاً.

وهناك صورة أخرى تعبّر عن الخوف الشديد هى قوله تعالى?: وبلغت القلوب الحناجر. ?كيف تبلغ القلوب الحناجر مع أنّ الفاصلة بينهما تزيد على أربع بوصات؟ إنّ الإنسان الخائف تزداد ضربات قلبه فيشتدّ نفَسه وتنتفخ رئته أكثر من اللازم بحيث إن الهواء الداخل والخارج عنها فى حالة الشهيق والزفير يحدث صوتاً مميزاً نتيجة ازدياد سرعة سحب الهواء نحو الرئة حتى ليصاب الشخص بالحشرجة وهو صوت يخرج من الصدر كما عند المصابين بضيق النفس. يقول المؤرّخون: إنّ المسلمين أُصيبوا بالحشرجة عندما عرفوا أنّهم محاصَرون بجيش الأحزاب.

وبعد ذلك يقول الله تعالى فى وصف حالهم?: وتظنّون بالله الظنونا ?أى تقولون إنّ الله أخبرنا أنّ النصر من عنده، فأين النصر ونحن قليلون وهؤلاء الكفّار محدقون بنا؟

ولكن الله يفعل كلّ ذلك لامتحان العباد، ولذلك خلقهم؛ يقول تعالى?: أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتَنون، ولقد فتنّا الذين من قبلهم().?

فكلّ هذه المظاهر امتحانية، وكثير من المسلمين فقدوا إيمانهم فى هذا الامتحان وسقطوا، وهم أولئك الذين قالوا?: ما وعدنا الله

ورسوله إلّا غروراً.?

لقد وقعت حرب الأحزاب فى أخريات حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فى المدينة أى قبيل فتح مكة، ولكن الله يمهل ولا يهمل، والنصر حليف المؤمنين وإن جاء متأخراً. إذا كان فى المسلمين أربعة قاموا لله بكلّ قلوبهم وأخلصوا له من أعماقهم وحاربوا من أجله وتكلّموا فى سبيله ونطقوا له، فهذا يكفى لأن يحقّق الله تعالى نصره لجميع المسلمين بواسطة هؤلاء الأربعة.

لقد كان فى صفوف الجيش الإسلامى - غير الذين قالوا: ما وعدنا الله ورسوله إلّا غروراً - عدد قليل بقى ظنّهم بالله حسناً ولم يظنّوا به الظنون، بل قالوا: الأمر لله والله ورسوله وعدانا بالنصر، والنصر سيكون حليفنا وإن كان الجيش الكافر أكثر منّا عدّة وعدداً.

وهكذا كانت النتيجة? وكفى الله المؤمنين القتال() ?فى أصعب حروب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى عادت من أسهل حروبه، وتمّ النصر للمؤمنين بقتل عمرو بن عبد ودّ على يد بطل الإسلام الخالد علىّ بن أبى طالب سلام الله عليه، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله: برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه() وانهزم الجيش الكافر عن آخره ولم يُقتَل مسلم واحد!

وهكذا كلّما تصارع الحق والباطل وبرز من المؤمنين جماعة شجعان نذروا أنفسهم لله فإنّ الله يكتب لهم النصر كما كتبه للمؤمنين فى الأحزاب، هذه سنّة الله تعالى ولن تجد لسنّة الله تبديلاً.

الحكومة الإسلامية هى التى تطبّق كلّ أحكام الله

المؤسف أنّ بعض الناس يتصوّر أنّ الحكومة الإسلامية هى التى تطبّق الحدود والتعزيرات والعقوبات فقط، مع أنّ هذا لا يشكّل إلّا جزءاً ضئيلاً من أحكام الإسلام؛ ولو أنّ الإسلام طبّق بعضه دون بعض لارتسمت له صورة غير جميلة، وهكذا تكون التعضية فى الغالب. فهذا الإنسان الذى خلقه الله على أحسن صورة، لو فصلتَ بعضه عن بعض سيتغيّر إلى أقبح هيكل. فلو أنّ شخصاً جميلاً فقئت عينه فكيف سيبدو؟! وهكذا لو رفعت عظمة قحف الرأس ماذا سيكون؟ هل سترى منظراً جميلاً، أم مقرفاً؟

مثال آخر: كلمة «لا إله إلّا الله» فى اللغة تعنى كلمة التوحيد والإخلاص والخلاص وهى سبب الإيمان والإسلام والفلاح، ولكن ماذا يحدث لو فصلتَ بين جزئيها ونطقت بالجزء الأوّل وحده؟ إنّ مجرّد الفصل بين جزئى تلك الكلمة والأخذ ببعض دون بعض يغيّر معنى الإيمان إلى الكفر!

إنّ تطبيق الإسلام بصورة ناقصة يعطى صورة مشوّهة عن الإسلام. وهذا هو حال بعض الدول الإسلامية اليوم المتبجّحة بتطبيق الإسلام مع أنّها لا تطبّق إلّا جَلْد الزانى وقطع يد السارق، فهل هذا هو الإسلام وحسب؟

عندما تراجعون الفقه الإسلامى تجدون فيه خمسين باباً أو كتاباً والكتاب الخمسون منها هو كتاب الحدود. فهو واحد من خمسين كتاباً بل هو الكتاب الأخير، فلماذا يُتصوّر أنّه الإسلام كلّه؟!

إنّ من واجبات الحكومة الإسلامية السماح لمواطنيها بالعمل وفق القانون الإسلامى المعروف ب «إحياء الموات» فى المجال الزراعى، ومفاد هذا القانون هو أنّ المسلم باستطاعته أن يتملّك أيّة أرض متروكة غير مملوكة ولا مزروعة، شريطة أن يباشر بزراعتها أو إحيائها، وهذا القانون يستند إلى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله مسند عن الشيعة والسنّة وهو: مَن غرس شجراً أو حفر وادياً بدءاً لم يسبقه إليه أحد وأحيى أرضاً ميتةً فهى له. قضاء من الله ورسوله صلى الله عليه وآله()، ولا يوجد لهذه الحرية التى يمنحها الإسلام للمسلمين ولغيرهم فى الزراعة نظير، فى أىّ بلد أو بقعة من بقاع العالَم. ولو طُبّق هذا القانون فى أىّ بلد إسلامى لأصبح ذلك البلد جنّة غنّاء، ولما بقى إنسان بلا مسكن أو جائعاً؛ لأنّ كلّ إنسان يمكنه أن يفتّش عن أرض غير مزروعة ولا تعود ملكيتها لأحد (وأرض الله واسعة)، ثم يقوم بزراعتها فيأكل من زرعه ويسكن الأرض التى ملَكها بإحيائه لها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ هذا القانون يمنع الاحتكار فى الوقت نفسه، لأنّ أىّ إنسان لا يحقّ له أن يستحوذ على أرض دون أن يحييها أو يزرعها وإن كانت بواراً لا تعود لأحد؛ لأنّ شرط التملّك هو الإحياء المباشر.

ومن جهة ثالثة سوف لا تبقى يد واحدة عاطلة عن العمل.

فهل طبّقت الدول التى تدّعى الإسلام هذا البند من بنوده الكفيلة بتحقيق السعادة والتقدم والرقى، أم اكتفت منه بضرب السياط وقطع الرقاب وهذا كلّ شىء؟!

ثم بند ثانٍ من بنود الإسلام هو تحرير التجارة وعدم احتكارها من قِبل الدولة حيث تحصرها على أناس معيّنين فيما تحرم سائر أبناء المجتمع وتفرض عليهم الجمارك الثقيلة؟!

فى الإسلام مَن يملك ذكاءً أكثر يمكنه أن يعمل أكثر. أمّا فى الأنظمة الوضعية التى تدّعى الإسلام فالشرط الأساسى ليس الذكاء والخبرة بل الروابط والعلاقات مع الحاكم، فمَن حظى بشىء منها مُنح امتياز عشرين نوعاً من التجارة، وإن كان من أغبى الناس! فهل هذا من الإسلام؟

لا ضرائب جمركية فى الإسلام

سألنى بعض الناس فى العراق، والآن يسألنى البعض أيضاً عن التهريب. أقول: ما هو التهريب؟ التهريب معناه أنّ الدولة منعت استيراد أو تصدير بعض المواد وإذا ضبطها مأمور الجمارك فرض عليها ضرائب باهظة. نسأل: ما هو رأى الإسلام فى هذه الأمور الثلاثة: إجازة الاستيراد وإجازة التصدير والضرائب المفروضة؟ والجواب: إنّ الإسلام يرفضها جميعاً. إنّ القانون الذى طبّقه رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام على سلام الله عليه لم يكن فيه إجازة للتصدير ولا إجازة للاستيراد ولا ضرائب عليهما، بل على العكس يقول الفقهاء: لا يجب بل لا يجوز العمل بالقوانين الصادرة من الدولة غير الإسلامية، لأنّ الله تعالى يقول?: ولا تعاونوا على الإثم والعدوان? ()، والمقصود بالدولة غير الإسلامية هى الدولة التى لا تحكم بالإسلام أى لا تطبّق قوانين الإسلام، وإن كانت تسمّى نفسها إسلامية، فليس المهم الاسم بل التطبيق والعمل، وكلّ حكم لا ينتهى إلى الله فهو غير مشروع وغير إسلامى وإن كان صادراً عن دولة تسمى إسلامية؛ لأنّ المهم الواقع وليس الظاهر، فلو صنعت من الكارتون شكلاً على هيئة إنسان فهل يصبح إنساناً مع أنّه لا روح فيه ولا يتكلّم ولا يرى ولا يفكّر؟ أم أنّ الإنسان هو هذا الكائن الذى يتحرّك ويريد ويقوم ويقعد ويفكّر. وهل الأسد الذى يُخاف منه هو الأسد الحقيقى أم المنقوش على الستار أم المكتوب بحروف ألف وسين ودال؟ لاشكّ أنّه لا النقش ولا الحروف. وكذلك الإسلام اللفظى أو الكتبى المجموع فى حروف ألف، سين، لام، ألف، ميم، لا يفعل شيئاً بل الأثر هو للإسلام الحقيقى. فلا يكفى للحاكم أن يقول: إنّنى حاكم إسلامى بل لابدّ أن يكون مستنداً إلى القرآن والسنّة. فما لم يؤيّده القرآن والسنّة والمعصومون سلام الله عليهم ويقولون إنّه من عند الله، فهو فى واقعه غير إسلامى وإن تسمّى بالإسلام؛ قال الله سبحانه وتعالى?: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون().?

إنّنا لا نسير خلف الأسماء والشعارات بل خلف الواقع، وقد ورد فى الحديث: ويأتى على أمّتى زمن لا يبقى من الإسلام إلّا اسمه، ومن القرآن إلّا رسمه().

أعود إلى المسألة التى ذكرتها وهى أنّ الدولة التى لا تطبّق الإسلام بحذافيره لو أقرّت قانوناً ما فإنّ العلماء يقولون إنّه لا يجوز اتّباعها والانصياع لقانونها إلاّ فى حال الاضطرار تماماً كما فى تناول لحم الخنْزير أو المسكر حال الضرورة وبمقدار رفع الضرر فقط! ويضربون لذلك مثلاً بجوازات السفر التى تصدرها الدول فى عصرنا الحاضر، فإنّ مَن لا ضرورة له إليها - كالرجل المسنّ أو المريض ومَن لا يستطيع السفر - لا يجوز له الرضوخ لها، لأنّه غير مضطرّ إليها.

فكما أنّ الإنسان إذا كان فى مكان منقطع وأشرف على الموت جوعاً ولم يكن عنده ما يدفع عنه خطر الموت من الجوع إلّا لحم الخنْزير فإنّه يجوز له ولكن لا على نحو الشبع بل بمقدار رفع الضرورة، حتى يصل المكان الذى فيه الأكل الحلال، وكما لو أشرف الإنسان على الموت بسبب العطش ولم يجد إلاّ الخمر فإنّه يجوز له أن يتناول منه بمقدار رفع ضرر الموت وليس أكثر حتى يبلغ

المكان الـذى يجد فيه مائعاً حلالاً ...فإنّ حكم العمل بالقوانين غير الإسـلامية كلّها هكذا – باتفاق العلماء – أى لا يجوز الرضوخ لها إلّا بمقدار الضـرورة ومواصـلة الحياة. وحتى التهريب يكون حراماً ولا يجوز عند الضـرورة فقط، وذلك فيما لو كانت ممارسـته تؤدّى إلى إلقـاء النفس فى التهلكـة، والله تعالى يقول?: ولا تُلقوا بأيـديكم إلى التهلكـة()، ?وإلّا فهو فى الأصل جائز إن لم يحمل معه خطر القتل. أمّا الخطر الأدون كالتعرّض للسجن أو الضرب؛ وحتى الإهانة فلم يقل العلماء إنّ دفعها من الضرورات لأنّ «الناس مسلّطون على أنفسـهم» ()، والله تعـالى خلق الإنسـان مختـاراً غير مجبور، فلمـاذا يكون عبـداً لغيره؟ بـل لا يجوز له أن يكون عبـداً لغير الله تعالى ولا ينبغى له أن ينصاع لغير قوانين الله. إن قوانين الله تعالى هى القوانين التى تلتزم بها الحكومة الإسلامية الشرعية المصدَّقة من قِبل القرآن، فهذه أحكامها واجبة التنفيذ على الجميع. أمّا القوانين غير المصدَّقة من قِبل الله تعالى، والأحكام التى تصدر عن الحاكم غير المنصوب من قِبل الله فغير واجبة الاتّباع بل غير جائزة الاتّباع إلّا فى إطار الضرورة وخوف التهلكة فقط!

عود على بدء

نخلص من كلّ ما تقـدّم أنّ ما نشاهـده هـذه الأيّام – وعلى مرّ التاريـخ- من أحـداث توجب إخافة بعض المؤمنين، لا ينبغى أن تزلزل إيمانهم بل عليهم أن يراجعوا القرآن ويقرأوه ويتدبروا آياته ليروا أيّة مواقف نصر الله تعالى فيها المسلمين وكيف نصَرَهم؟!

لقد نصَر الله المسلمين فى مواقف كان النصر فيها يبدو مستحيلاً بالحسابات المادية، ومن تلك المواقف وأهمّها معركة الأحزاب.

إنّ الله وعد المسلمين النصر فى صدر الإسلام، ولكن المنافقين والذين فى قلوبهم مرض كذبوا الله ورسوله عندما رأوا الأحزاب وقالوا: ?مـا وعـدنا الله ورسوله إلّا غروراً، ?ونحن اليوم معرّضون للامتحان نفسه، أفنشكّ فى وعـد الله للمؤمنين بالنصـر، أم نكون من الثابتين على الإيمان، المصدِّقين وعْدَ الله، غير الظانّين به ظنّ السوء؟!

ومن المؤسف حقـاً أن بعض النـاس يبيع إيمـانه بالتـافه، فمع أنّه ليس عضواً ولا عميلاً فى أجهزة الظالمين ولا يتقاضـى منهم أجراً ولا مرتّباً ولكنه يعطى كلّ ما عنـده لهم بلا عوض، ويجعل رقبته جسـراً لهم ومعبراً؛ ويكون من الـذين قال الله عنهم?: وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلّا غروراً.?

نسأل الله أن يجنّبنا خطل القول والعمل وأن يوفّقنا لمراضيه.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة الثانية والعشرون●

الحرية فى الإسلام

الحرية فى الإسلام

وقفة مع الآية الكريمة

?لا إكراه فى الدين قد تبيّن الرشد من الغىّ?

●ألقيت هذه المحاضرة عام ۱۳۹۶ ه.، ضمن المحاضرات الأخلاقية على

طلبة العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى فى كتابه الكريم?: لا إكراه فى الـدين قـد تبيّن الرشد من الغىّ، فمَن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة

الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم().?

معنى الطاغوت

الطاغوت من الطغيان، وطغيان كلّ شيء زيادته وتجاوزه عن الحدّ؛ قال تعالى?: إنّا لمّا طغى الماء حملناكم فى الجارية().?
ويستعمل الطغيان فى الفكر أيضاً، ويراد به عادةً المناهج المنحرفة عن سبيل الله تعالى، ويُسمّى مَن كان فى قمة الفكر المنحرف طاغوتاً.

العروة الوثقى

يقول تعالى?: فمَن يكفر بالطاغوت ?أى بالإفراط الفكرى? ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ?أى الشديدة الإحكام، ثم وصفها بأنّها?: لا انفصام لها ?أى أنّها ليست ضعيفة فتنقطع بل لا انقطاع لها أبداً، لأنّها عروة حقيقية وصادقة وليست بكاذبة ومزيّفة. فإنّه لا انقطاع وانفصام فى الحق والصدق، خلافاً للكذب، فحبله - كما قيل - قصير سرعان ما يقطع بصاحبه.
مثال: فلو أنّك أردت شراء دار وسألت عنها صاحبها، فأخبرك أنّها صالحة وليس فيها عيوب أو مشاكل، وكان صادقاً فى إخباره، فإنّك سوف تبادر إلى شرائها دون أن تعترض عليه أو ينقطع تصديقك به. أمّا إذا كان كاذباً، فإنّك قد تصدّقه حين الشراء، ولكن هذه الحالة ستزول عندما تكتشف أنّ الأمر لم يكن كذلك. أى سيحدث انفصام وانقطاع فى تصديقك به.
أمّا دين الله تعالى فلا انفصام فيه. فعندما يخبر الله تعالى الإنسان ويعده أنّه سيسعده إذا ما اتّبع سبيله، فإنّ المسلم الحقيقى لاشكّ سينعم بالسعادة ما حيى، خلافاً لبقية المبادئ التى تعِد الناس ولا تفى ثم يظهر كذبها عاجلاً أم آجلاً.

حرية اختيار الدين فى الإسلام

من أصول الإسلام المسلّمة والمؤكّدة مسألة حرية اختيار الدين؛ قال تعالى?: لا إكراه فى الدين. ?بل ليكن معلوماً - قبل كلّ شيء - أنّ الإسلام وحده هو دين الحرّية. فحتّى المدارس والمبادئ الأخرى التى ظهرت منذ قرون وما زالت ترفع شعار الحرّية لا واقع للحرية فيها سوى الاسم. أمّا الإسلام فهو دين الحريات مبدأً وشعاراً، وقولاً وعملاً. وهذا موضوع طويل يتطلّب من الباحث أن يطالع الفقه الإسلامى بتعمّق - من أوّله إلى آخره - لكى يعرف كيف أنّ الإسلام التزم بمبدأ? لا إكراه فى الدين ?فى مختلف مجالات الحياة.

رسول الله صلى الله عليه وآله القدوة فى تطبيق المبدأ

لقد شنّ أهل مكّة حرباً ظالمة على رسول الله صلى الله عليه وآله قلّ نظيرها فى التاريخ. فلقد عُرف صلى الله عليه وآله بينهم بالصدق والأمانة حتى لقّبوه بالصادق الأمين، ولكنهم مع ذلك حاربوه - إلّا قليلاً منهم - عسكرياً واجتماعياً واقتصادياً ونفسياً، حتى بلغ الأمر بهم أنّهم كانوا لا يردّون تحيّته إذا حيّاهم().
فكان الشخص منهم - وهو مشرك - يخشى إذا ردّ تحيّة النبى صلى الله عليه وآله أن يراه الرائى من المشركين فلا يتبايعون معه بعد ذلك ولا يزوّجونه ولا يتزوّجون منه.
وطردوا رسول الله صلى الله عليه وآله ومَن معه إلى أطراف مكّة وحاصروهم فى شعب أبى طالب وفرضوا العزلة عليهم، فكان لا يحقّ لهم دخول مكّة، وإذا دخلها أحدهم فدمه هدر. واستمرّت الحالة هذه مدّة ثلاث سنين.
وبعدما هاجر الرسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة شنّ عليه مشركو مكّة عشرات الحروب يساندهم فيها اليهود والمنافقون. ودامت الحالة عشرين سنة بمختلف أساليب الحروب حتى أذن الله له بالفتح.. وجاء صلى الله عليه وآله مكّة فاتحاً.. وأصبحت مكّة بعد ذلك

فی قبضته وتحت سلطته.

ورغم کلّ ما فعله المشرکون من أهل مکّة مع رسول الله صلی الله علیه وآله إلّا أنّ التاریخ لم یحدّثنا أنّه صلی الله علیه وآله أجبر ولو شخصاً واحداً علی الإسلام، ولو أنّه صلی الله علیه وآله أراد أن یجبر أهل مکّة علی الإسلام لأسلموا کلّهم تحت وطأة السیف، لکنّه صلی الله علیه وآله لم یفعل ذلک ولم یجبر أحداً علی الإسلام. أمّا دعوی إسلام أبی سفیان فکان بتحریض وتخویف من العباس بن عبد المطلب (عمّ النبی) ولیس من النبی صلی الله علیه وآله نفسه، فالعباس هو الذی طلب من أبی سفیان أن یُسلم حفاظاً علی دمه لئلا یقتله النبی صلی الله علیه وآله، وکلام العباس لیس حجّة ولا تشریعاً، بل کان من عند نفسه. ولو أنّ أبا سفیان لم یسلم لما أجبره رسول الله صلی الله علیه وآله علی الإسلام. فکثیرون من أمثال أبی سفیان کانوا موجودین فی مکّة ولم یقتل النبیّ صلی الله علیه وآله أحداً منهم بسبب عدم إسلامه، ولا أجبر أحداً علی الإسلام، بل ترکهم علی دینهم مع أنّه باطل وخرافی لکیلا یسلبهم حریة الفکر والدین.

حقاً هل رأیتم مثیلاً لسلوک نبینا صلی الله علیه وآله فی التاریخ؛ یحاربه قومه مع ما یعرفونه من صدقه وأمانته ونبله وکرم أخلاقه، بمختلف أنواع الحروب القاسیة ویطردونه من موطنه ومسقط رأسه، ثم یترکهم أحراراً وما یختارون من دین وطریقة حیاة؟!

نعم کان الرسول صلی الله علیه وآله یهدیهم وینصحهم ویوضّح لهم طریق الرشد ویمیّزه عن طریق الغیّ ثم یترک الاختیار لهم? فمَن شاء فلیؤمن ومَن شاء فلیکفر?()، ?قد تبیّن الرشد من الغیّ فمَن یکفر بالطاغوت ویؤمن بالله فقد استمسک بالعروة الوثقی()،? ?وهدیناه النجدین?()، ?إنّا هدیناه السبیل إمّا شاکراً وإمّا کفوراً(). ?هذا هو أسلوب الإسلام، لاضغط ولا إکراه فیه.

وهکذا الحال فی سیرة رسول الله صلی الله علیه وآله مع الیهود والنصاری. فلقد ردّ النبی الأکرم صلی الله علیه وآله عشرات الحروب والاعتداءات التی شنّها أهل الکتاب دون أن یجبر أحداً منهم علی الإسلام. لم یسجّل التاریخ ولو حالة واحدة یکون فیها رسول الله صلی الله علیه وآله قد أجبر ذمیاً علی اعتناق الإسلام، والتاریخ حافل بسیرة النبی المصطفی صلی الله علیه وآله، وسجّل وحفظ الدقائق عن حیاته. فالعلّامة المجلسی رحمه الله وحده خصّص فی موسوعته (بحار الأنوار) عشرة مجلّدات ذات أربعمئة صفحة أی ما مجموعه أربعة آلاف صفحة أو أکثر کلّها عن رسول الله صلی الله علیه وآله وحروبه وأخلاقه وسیرته مع المسلمین ومع المشرکین وأهل الکتاب.. لا تجدون فیها موقفاً واحداً أجبر رسول الله صلی الله علیه وآله نصرانیاً أو یهودیاً علی اعتناق الإسلام، بل تجدون أنّه صلی الله علیه وآله کان له صدیق مسیحی أو جار یهودی دون أن یجبره علی اعتناق الإسلام مع أنّه کان الحاکم الأعلی فی الجزیرة العربیة وکان بیده السیف والمال والقوّة الکافیة.

أمثلة من سیرة أمیر المؤمنین سلام الله علیه

ولو انتقلنا من رسول الله صلی الله علیه وآله إلی أهل بیته سلام الله علیهم لرأینا الحالة نفسها. فها هو الإمام أمیر المؤمنین سلام الله علیه قد کان مبتلیً بأشخاص ذوی نفسیات وضیعة تردّ علیه وتقطع کلامه وتجادله بالباطل بل حتی تتطاول علیه، وهو مع ذلک لا یأمر بقطع رؤوسهم وهو الحاکم الأعلی الذی بایعته الأمّة قاطبة ناهیک عن کونه منصّباً من قِبل رسول الله صلی الله علیه وآله وبأمر من العلی القدیر، بل کان یجیبهم ویترک لهم حریة العقیدة ما لم یتآمروا ویلجأوا إلی استعمال القوة والسیف.

فثم شخص یُسمی ابن الکوا، ملحد زندیق، مشاغب مشعوذ، ذو مشاکل ومتاعب، کان یردّ علی أمیر المؤمنین سلام الله علیه ویناقشه کلّ حین، حتی والإمام علی المنبر، ومع ذلک ترکه الإمام وشأنه یعیش فی المجتمع دون أن یفرض علیه شیئاً.

وهناک جرثومة أخری یدعی عمرو بن حریث، من طراز معاویة وأبیه، منافق وضیع، ومهما تقل فیه من عیوب النفس ودناءة الخلق فقلیل بحقّه، کان ممّن یحضر المسجد ویستمع إلی خطب أمیر المؤمنین سلام الله علیه ثم یقطع حدیثه متهکّماً. وإذا أخبر أمیر المؤمنین سلام الله علیه عن أمور غیر ظاهرة – غیبیة – ترک ابن حریث أعماله وجری خلف ما أخبر به أمیر المؤمنین سلام الله علیه

يزعم أنّه يريد أن يكشف للناس كذب أبى تراب!! وظلّت هذه الحسرة فى نفس ابن حريث تنغّص عليه حياته حتى ذهب إلى قبره همّاً ونكداً دون أن يفلح فى كشف ولو كذبة – حسب ما يزعم – لأبى تراب؛ وكأنه قد غفل – حاله حال المنافقين – أنه لا يتردد على لسان أبى تراب سوى الصدق وأصله. وعاش هذا المنافق فى ظلّ علىّ سلام الله عليه وبعده، والإمام على سلام الله عليه لم يصنع معه أىّ شىء، ولم يقل له يوماً تخلّ عمّا أنت عليه وإلّا ضربت عنقك! لأنّه إمام الإسلام؛ دين حرية الفكر والعقيدة.

أجل، إنّ من عرف الحقّ ولم يترك الباطل فإنّ مصيره يوم القيامة إلى جهنّم وبئس المصير. أمّا فى الدنيا ف?لا إكراه فى الدين ?ليتمّ الامتحان ويُعرف الطالح من الصالح، والخبيث من الطيّب. فإنّ ابن حريث هذا امتدّ به العمر حتى كان من الشهود ضدّ ميثم التمّار رضوان الله عليه حينما أراد الطغاة الطغام من بنى أمية قتله، فقال فى حقّه – ليدلى بشهادته ضده لكونه من أصحاب علىّ الحق ومواليه –: «هذا الكذّاب مولى الكذّاب» يعنى على بن أبى طالب سلام الله عليه مولى الصادقين وإمام المتّقين.

أرأيت نفسية هذا المنافق الدنيئة؟! إنّ رجلاً مثل هذا عاش مع أمير المؤمنين سلام الله عليه ثلاثين سنة وكان سلام الله عليه رئيساً وحاكماً بيده القوّة، ومع ذلك لم ينل منه! فهل رأيتم فى تاريخ العالَم رئيس دولة كعلى؟! وهل رأيتم سماحة كسماحة الإسلام؟ وهل رأيتم حرية كقوله تعالى?: لاإكراه فى الدين؟!?

عن ابن عباس قال:

مرّ أمير المؤمنين سلام الله عليه بالحسن البصرى وهو يتوضأ، فقال: «يا حسن أسبغ الوضوء. فقال: يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، يصلون الخمس ويسبغون الوضوء، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدوّنا؟ فقال: والله لأصدقنّك يا أمير المؤمنين، لقد خرجت فى أوّل يوم فاغتسلتُ وتحنطتُ وصببتُ علىَّ سلاحى، وأنا لا أشك فى أنّ التخلّف عن أمّ المؤمنين عائشة هو الكفر، فلمّا انتهيت إلى موضع من الخريبة نادانى منادٍ: يا حسن إلى أين؟ ارجع فإنّ القاتل والمقتول فى النار! فرجعت ذعراً وجلست فى بيتى فلمّا كان فى اليوم الثانى لم أشكّ أن التخلف عن أمّ المؤمنين عائشة هو الكفر، فتحنّطتُ وصببتُ علىَّ سلاحى وخرجت إلى القتال حتى انتهيت إلى موضع من الخريبة فنادانى منادٍ من خلفى: يا حسن إلى أين؟ مرّة بعد أخرى، فإنّ القاتل والمقتول فى النار! قال على عليه السلام: صدقك أفتدرى مَن ذلك المنادى؟ قال: لا. قال عليه السلام: ذلك أخوك إبليس، وصدقك إنّ القاتل والمقتول منهم فى النار. فقال الحسن البصرى: الآن عرفتُ يا أمير المؤمنين أنّ القوم هلكى» ().

مقارنة

حقاً هل يجرؤ أحد من الرعية أن يكلّم رئيساً بهذا الكلام – والإمام مع ذلك يلاطفه ويحاوره– حتى فى عصرنا هذا؛ حيث يمضى على صدر الإسلام أربعة عشر قرناً، وتطوّر العالَم حتى صار يسمّى عصرنا بعصر الحرّيات؟!

لقد قتل وشرّد «لينين» – رئيس جمهوريات الاتحاد السوفييتى قبل حلّها وأمين سرّ الحزب الشيوعى السوفييتى – وحده فى عصر الحرية والتقدّم خمسة ملايين إنسان من أجل تطبيق مادّة قانونية واحدة من قانون المزارع الجماعية فى الاتّحاد السوفياتى السابق!!

وفى العراق كان أحد رؤساء العراق يخطب فانبرى أحد المواطنين ليردّ عليه ويناقشه، فقام الجلاوزة باعتقاله وسجنه وتعذيبه وقتله، لأنّه قال كلمة ينتقد فيها رئيساً فى القرن العشرين!!

وحدث شبيه لهذه القصة فى بلد آخر – كما طالعتنا الصحف فى حينه – وحلّ به المصير نفسه!! كلّ ذلك ونحن فى ما يُسمّى بعصر الحريات. فهل هذه هى الحرية حقّاً أم الحرية الموجودة فى ظلّ الإسلام؟!

لقد أُقصى الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه خمساً وعشرين سنة ثم توجّهت إليه الأمّة وتزاحمت على بابه للبيعة حتى لقد وطئ الحسنان() كما قال سلام الله عليه فى خطبته المعروفة بالشقشقية. ومع ذلك ذكر المؤرخون – سنّة وشيعة – أنّ الإمام بعدما بويع،

ارتقى المنبر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان المسجد مكتظّاً بالناس الذين حضروا لاستماع أوّل خطبة لابن عمّ رسول الله ووصيّه وخليفته الحقيقى الذى أُبعد عن قيادة المسلمين خمساً وعشرين سنة، بعد أن آل إليه الحكم الظاهرى، ثم أمر جماعة من أصحابه على رأسهم ابنه الإمام الحسن سلام الله عليه أن يذهبوا إلى الكوفة وينظروا هل هناك مَن لا يرضى بخلافته. فقال الناس بأجمعهم: رضينا بأمير المؤمنين ونطيع أمره ولا نتخلّف عن دعوته، والله لو لم يستنصرنا لنصرناه، سمعاً وطاعة(). بل حتى طلحة والزبير لم يتخلّفا عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام عندما انعقدت له، ولكنهما نكثا بعد ذلك، ولم يعترض أىّ أحد فى هذا الأمر ولو حصل لما عاقبه الإمام بالقتل أو السجن أو الضرب ولا قال له شيئاً من شأنه أن يهينه أوينال منه! فهل رأيتم أو سمعتم مثل هذا فى عصر الديمقراطية الحديثة؟! والتى تعنى – من جملة ما تعنيه – حكم الأكثرية، فلو حصل شخص ما على واحد وخمسين فى المئة من الأصوات فهذا يخوّله لأن يصبح رئيساً للبلاد – وهذا يعدّ من أكبر أخطاء الديمقراطية، وبحثه موكول إلى محلّه – أمّا الإمام على سلام الله عليه فقد بايعته الأكثرية المطلقة من الناس ومع ذلك يصعد المنبر ليبحث إن كان هناك معارض له أم لا، وليبحث عن سبب معارضته له! فهل تجدون لهذا نظيراً فى التاريخ؟!

لقد كتب محبّو «صلاح الدين الأيوبى» الذين يشيدون بشخصيته ويعظّمونه أنّه قتل قرابة مليون إنسان ليس لشىء إلّا لأنّهم يختلفون معه فى الرأى.

فأين هذا من الإسلام ومن سيرة النبى صلى الله عليه وآله حين حاربه قومه عشرين سنة وأخرجوه من داره، ولكنّه عندما عاد إليهم ظافراً بنصر الله وعزّته وقدرته لم يجبر أحداً منهم على اتّباع دينه، بل قال: مَن أغلق بابه فهو آمن، ومَن ألقى سلاحه فهو آمن، ومَن دخل دار أبى سفيان فهو آمن(). ولم يقل مَن أسلم وشهد الشهادتين فهو آمن، مع أنّ مهمّته صلى الله عليه وآله هى تبليغ الشهادتين.. ولكنّ حرية الرأى فى نظام الله وقانون الإسلام لا تقلّ تقديساً من الشهادتين. فالإسلام يريد أن يجعل الناس أحراراً. قال تعالى?: يضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم().?

أنت حرّ ما لم تضرّ

يقول لك الإسلام: اعمل ما تشاء، فلك حرية العمل شريطة أن لا تضرّ غيرك؛ فإنّه لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام() والإسلام يضرب بشدّة على يد الظالم ومَن يريد إلحاق الضرر بالآخرين، فإذا ضمنت ذلك فأنت حرّ فى كلّ أمورك، أىّ عمل تعمل، وأىّ مكان تذهب. وأنت حرّ فى ذهابك ومجيئك وسفرك وصداقاتك، فلا ضغط ولا جبر ولا إكراه ولا كبت للحرية فى الإسلام، ولكن ثمة توجيهات وإرشادات تبيّن لك السلوك الأحسن، تقول: هذا صحيح وهذا مستحبّ وهذا مفضّل وهذا مكروه.

فلنقرأ عن الإسلام، ولنقرأ عن غيره أيضاً ثم نقارن بينهما. ففى القرون الوسطى كان العالِم فى الغرب يُقتل لمجرّد إبداء رأيه فى قضية ما وإن كانت علمية محضة لا علاقة لها بالدين وتشريعاته!!!

فقتلوا القائل بكروية الأرض، وكذلك الرجل الذى ترجم الكتاب المسمّى عندهم بالمقدّس؛ فقد كان هذا الكتاب حكراً على رجال الكنيسة فقط ولا يعرف لغته غيرهم.

هكذا كانت حالة أوربا فى القرون الوسطى أى بعد مرور أربعمئة سنة على الإسلام. فهل يصحّ مقارنتها مع عهد الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه؟ كلّا بالطبع؛ إذ كيف يصحّ مقارنة الصفر بالكثير بل لابدّ أن يكون مقابل الكثير عدد لتصحّ المقارنة. ومن هنا قيل: مَن فضّل علياً على معاوية فقد كفر، لأنّ معاوية لا فضل عنده ليكون على أفضل منه. بل لا يقاس بآل محمد من هذه الأمّة – ولا من غيرها – أحد()، فلقد كانوا صلوات الله عليهم أجمعين يمثّلون القرآن.

التزم بتوجيهات الإسلام ولا تكن عبد غيرك

هناك تهمة وجّهها بعض المستشرقين إلى الإسلام ويردّدها بعض الشباب الذين لا يعرفون الإسلام حق معرفته. فهم يقولون: إنّ الإسلام كلّه محرّمات وقيود ونواهٍ. ونحن نقول لهم: بالعكس تماماً فإنّ الحرية الموجودة فى الإسلام لا يوجد لها نظير فى كلّ مكان! خذوا أكثر بلدان العالَم ادعاءً للحرية كفرنسا والولايات المتّحدة مثلاً، ترى القيود الكثيرة للسفر منها وإليها وفى جوانب كثيرة أخرى منها كيفية تربية الأسرة. فهذه القيود موجودة فى كلّ دول العالَم وإن كانت فى بلداننا أشدّ. أمّا فى الإسلام فلا يوجد فيه مثل هذا! فلا يقول لك الإسلام: أين تسكن؟ وأين تذهب؟ وكيف تذهب؟ ومتى تذهب؟ بل يقول لك: إنّ الله خلقك وهو الذى أعطاك الفكر والعقل فلا تكن عبد غيرك، ولا يجب أن تخبر الدولة عن خروجك ودخولك، وإقامتك ورحيلك، وما تستورد وما تصدّر – ما لم يكن ممّا حرّمه الله – لكن الإسلام يضع لك التوجيهات ويقول لك إن التزمت بها تفلح وإلّا تخسر!

الإسلام يهدى ويرسم الطريق، وبعده لا إكراه فى الدين أى كلّ أنواع الإكراه يرفضها الدين. والحريات الموجودة فى الإسلام لا نظير لها فى التاريخ. وكانت تلك نماذج وهناك مئات بل آلاف النماذج فى سيرة النبى وأهل بيته سلام الله عليهم.

فمَن يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها. ومَن يتمسّك بالطاغوت ويذهب وراء المبادئ الهدّامة والطواغيت البشرية والفكرية فإنّما يتمسّك بعروة منفصمة، حيث سيكتشف بعد مرور عدّة أيام أو أعوام أنّه كان مخطئاً.

إذن الحرية التى يمنحها الإسلام فى مختلف المجالات ليس لها نظير ولا شىء يقرب منها فى تاريخ العالَم حتى فى هذا اليوم المسمّى بعصر الحريات.

وصلّى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

المحاضرة الثالثة والعشرون●

حقوق المرأة فى الإسلام

حقوق المرأة فى الإسلام

وقفة مع الآية الكريمة

?ولهنّ مثل الذى عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درجة والله عزيز حكيم?

●ألقيت هذه المحاضرة عام ۱۳۹۹ ه.، ضمن المحاضرات الأخلاقية على

طلبة العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

قال الله تعالى فى كتابه الكريم?: ولهنّ مثل الذى عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درجة والله عزيز حكيم().?

الشرح اللفظى للآية الكريمة

?لهن ?أى للنساء، من الحقوق? مثل الذى ?يجب? عليهنّ ?تجاه الرجال. أى إنّ حقوق النساء على الرجال مماثلة لحقوق الرجال على النساء. وهذا حكم? بالمعروف ?وليس منكراً?. وللرجال عليهنّ درجة ?فوق النساء? والله عزيز ?فى ذاته? حكيم ?فى أحكامه.

فى هذه المحاضرة نريد أن نبحث باختصار جانباً من قضية المرأة ومكانتها فى الإسلام.

يتألف المجتمع الإنسانى من شقين، الذكور والإناث. وهذه الظاهرة سارية فى الحياة الحيوانية والنباتية والجمادية أيضاً. فهكذا خلق الله الكون نصفه ذكور ونصفه إناث?، ومن كلّ شىء خلقنا زوجين(). ?ولكن النصف من الذكور أقل عدداً من الإناث، فالأنثى تمثّل

النصف الأكبر عدداً فی المجتمع. فما هو حكم الإسلام ونظرته لها؟

"تحرير المرأة "شعار جميل الظاهر خاوی المحتوى

هنـاك فی العالم حقائق وواقعيات، وهناك ظواهر وشـكليات. قـد ترى شـخصاً يكلمك عن موضوع ما كلاماً جميلاً جـداً ولكن هـذا الكلام لا عمق له فی قلبه لأنه لا يلتزم به. فمثلاً يـدعو الناس إلى ترك شـرب الخمر بينما هو رجل سـكير، أو يـدعو إلى الإسـلام وهو أوّل المخالفين له.

وربمـا ترى الرجـل جالسـاً أمامـك بوجه منطلق بشوش ولكن لو شقّ لـك عن قلبه لرأيته مليئـاً بـالهموم والمشاكل. وهـذا يعنى وجود ظواهر وشكليات إلى جانب الحقائق والواقعيات المخالفة والمناقضة.

إلاّـ أنّ مثقالاً من الواقع والحقيقـة يؤثر أكثر من قنطار من الظواهر الخاويـة. فلو أنّ بين يـديك الآن آلاف بل ملايين من البشـر لكنهم موتى بلا أرواح، لما كلّمك واحد منهم حتى حرفاً واحداً، ولكن لو تجلب طفلاً صغيراً عمره شهر واحد فقط لملأ لك البيت ضجيجاً. وما ذلك إلاّ لأن الطفل واقع وحقيقة، أما الموتى فلا أثر لهم وإن حدّثتهم لم تسمع لهم جواباً، لأنّه لا واقع للحياة فيهم.

وهذه الدنيا صـبغتها الظواهر. وعندما نأتى إلى قضـية المرأة نلاحظ أنّ الشـعارات التى تُرفع باسـمها ليست سوى ظواهر مزيّفة وضجيج فارغ.

فتحرير المرأة مثلاً كلمة جميلة ولكن عندما تنبش قلب هذه الكلمة لكى تعرف حقيقتها والواقع الذى تعيشه المرأة المعاصـرة فی ظلها تكتشف أنّ فيها حثّاً على ابتذال المرأة وإذلالها وليس حريتها كما يزعمون.

أما قول الله تعالى?: ولهن مثل الـذى عليهن بالمعروف ?فكلمة جميلة الظاهر عميقة المحتوى؛ فلو بحثت التاريخ كلّه لما وجدت كلمة فی جمال هـذه الآية تجمع بين الواقع العميق وبين المظهر الجميل. إنها تتألف من أربع كلمات فقط ولكن لو أُعطيت لأی عاقل ملتفت لقال إنها أحسن ما قيل فی حق المرأة().

لو أردنـا أن نوجز – بتفكير وعمق – كـلّ ما للمرأة من حقوق وما عليها من واجبات لما وجـدنا أجمل ولا أجمع من هـذه الكلمـة. ولو عرضت هذه الكلمة على عقلاء العالم وحكمائه فسيقولون لك كلّهم: إنها تعبر عن تقسيم عادل حكيم.

ولكنّا نريـد فی هذا البحث الإجابة على سؤالين أو شـبهتين تثاران اليوم كثيراً بخصوص أحكام المرأة فی الإسـلام، تقول الأولى: لماذا جعل الله حصة المرأة من الإرث نصف حصة الرجل؟ والثانية: لماذا جعل الطلاق فی الإسلام بيد الرجل دون المرأة؟

قبل الإجابة على السؤالين لابدّ من مقدمة:

الرجل والمرأة يكمل أحدهما الآخر

لاحظوا بدن الإنسان وهيكله تجدونه مديناً فی حركته إلى العظام والغضاريف، والغضروف لا هو لحم ولا هو عظم بل حالة فيما بينهما وهو الرابط بين مفاصل العظام. فلو أنّ جسم الإنسان كان كلّه عظماً لما تمكن أن يدير رأسه ولا أن يرفع يده ولا أن يمشى بل سيكون مضـطراً لأن يبقى ممـدداً طيلـة الوقت فی حالـة واحدة، لأنّ الغضـروف هو الذى يساعد المفاصل على الحركة والقبض والبسط، وهذا شیء واضح.

كذلك إذا كان بدن الإنسان كلّه غضاريف ولا عظم فی جسـمه، فإنّه أيضاً لا يقوى على الحركة بل سـيظل كتلة ملقاة على الأرض لا يتمكن أن يجلس أو يسير لأنّ قوة العظم وشدته هی التى تحمل الإنسان وتجعله يقوى على القيام والقعود وحمل الأشياء و...

ومن ثم كان بدن الإنسان محتاجاً إلى العظم والغضروف معاً ليكمل أحدهما الآخر فی مهمة الحركة والقيام بأعباء الحياة.

إنّ مَثل الرجل والمرأة فی الحياة مَثل العظم والغضـروف فی بدن الإنسان، وثم مثل آخر نضـربه لتوضيح الموضوع – والأمثال كلّها من

الطبيعة وكم لها من نظير – وهو أنّ الحياة مزيج من العقل والعاطفة، فإنّ الحياة لا تبنى بالعقل وحده ولا بالعاطفة وحدها. فلو أنّ الحياة سُلب منها العقل عادت فوضى لا نظام فيها، ولا وجدتَ مجلساً منعقداً بعض يتكلّم وبعض يستمع، فإنّ العقل هو الذى يحدد العاطفة ويؤطّرها.

كذلك لا تستقيم الحياة لو كانت خلواً من العاطفة وكانت كلّها عقلاً. ولا انعقد مجلس كمجلسنا هذا أيضاً، فلا أنا كنت مستعداً لأن أتكلّم فى مجلس كهذا ولا أنتم كنتم مستعدين للحضور فى مثل هذا المجلس والاستماع إلىَّ. لأنّ كلًّا منّا كان يفكر أنّه ينبغى أن يكون رئيساً أعلى لدولة كبيرة أو مرجع تقليد كبير؛ أو على الأقل متحدثاً لجمهور كبير. فبالعقل المجرد عن العاطفة يبحث كلّ إنسان عن طريق يسود فيه ويفرض شخصيته على الملايين. لكن الحياة بقيت متوازنة بوجود العقل والعاطفة معاً.

ومَثل المرأة والرجل فى الحياة كمثَل العاطفة والعقل، ولكن ذلك لا يعنى أنّ المرأة عاطفة بلا عقل، وأنّ الرجل عقل بلا عاطفة، بل بمعنى أنّ المرأة كيان عاطفى تترجّح فيه كفة تأثير العاطفة خلافاً للرجل – فى الغالب – فهو كيان يتغلب فيه العقل على العاطفة. فلو قلنا إنّ مجموع العقل والعاطفة مئة فإنّ عاطفة الرجل ۴۰ ?وعقله ۶۰ ?أمّا المرأة فتأثير عقلها ۴۰ ?وعاطفتها ۶۰ ?مثلاً من أجل تسيير الحياة.

ومن الطبيعى أن تختلف واجبات المرأة عن واجبات الرجل بسبب الاختلاف الموجود فى طبيعتهما كما تختلف واجبات الغضروف عن العظم، والعاطفة عن العقل. فاستقامة البدن بالعظم وحركته بالغضروف ولو أردتَ أن تساوى بينهما فمعناه أنّك شللت البدن. وفى الحديث لو أن الناس تساووا لهلكوا.

أو مَثل آخر: لو أردتَ أن تساوى بين المرأة والرجل فى كلّ الأمور تكون كمَن يحمّل أطناناً من الحديد فى سيارة صغيرة، ويحمّل الشاحنات الكبيرة بضعة كيلوات من أجهزة دقيقة. فلا السيارة الصغيرة ستكون قادرة على حمل تلك الأطنان، ولا الشاحنات استُفيد منها بالوجه الصحيح.

ومثال آخر –والأمثلة كما قلت كثيرة –: لو ساويت فى الأكل الذى تقدمه لببغاء صغير وأسد ضخم، فربما مات الببغاء خنقاً والأسد جوعاً.

ولذلك قال الله تعالى?: ولهنّ مثل الذى عليهنّ بالمعروف ?أى بما يتناسب وطبيعة كلّ منهما. فإذا أردنا أن نُدخل النساء المعامل الثقيلة أو نُسكن الرجال البيوت للقيام بالمهام المنْزلية، فكلا الفرضين يحدث شللاً فى الحياة. والدليل على ذلك ما نلاحظه فى الحياة الغربية. فمن أين جاءت هذه المشاكل مع أنّ البشر هم البشر والرجل هو الرجل والمرأة هى المرأة؟ الجواب: لأنّ واجبات المرأة أُخذت منها وخُوّلت بواجبات الرجل، وواجبات الرجل أُخذت منه وأُعطيت للمرأة، لذلك حدث شلل فى الحياة الأسرية ومشاكل، وبدأ الرجال يزدادون تنفراً من زوجاتهم، والنساء يزددن تنفراً من أزواجهن، وأخذت نسبة الطلاق تتزايد يوماً بعد يوم.

انظر إلى الدراسات التى أجريت على إحصائيات نسبة الطلاق فى أىّ بلد من البلاد الغربية المتمدنة منذ عام ۱۹۰۰م والعقود التالية ترَ معدّلاتها فى تصاعد مستمر. فالعلم يتقدم بالبشر إلى الفضاء ولكن مشاكله تتقدم به إلى الطلاق وانهدام الأسرة وتفككها وتفاقم المشاكل الزوجية، لماذا؟ لأنّ كلًّا تخلّى عن بعض واجباته وقام بواجبات الآخر، مع أنّه ليس كفئاً لها، والحياة حياة الأكفّاء، كما هو الحال فى الحياة المادية. فالمهندس يدرس أكثر من عشرين سنة لكى يتخصص فى مجال ما ويعطيك رأيه فى الخصائص التى ينبغى أن يتحلى بها سقف ما – مثلاً – لكى يتحمّل وزناً ما.

فإذا كان جانب صغير من الحياة المادية يحتاج لكلّ هذه الدراسة والكفاءة، أفيصحّ بعد ذلك أن يكون حال البشر المؤلَّف من المادة والمعنى، ومن الواقع والظاهر، هكذا هملاً ومن دون تقدير.

خذ مثلاً آخر على نتائج الابتعاد عن أحكام الله تعالى فى حياة البشر، من الحضارة الغربية نفسها وهو مستشفيات الأمراض العصبية فهى أكثر عدداً من المستشفيات الأخرى فى الغرب، على العكس من بلادنا! ومن الواضح أنّ ۹۰ ?من أمراض الأعصاب تنشأ من

المشاكل، فمن أين تأتى المشاكل؟ هل تأتى من الله – سبحانه – ينزلها مع أشعة الشمس على البشر؟ أم يفيض بها البحر علينا؟ كلاّ! بل تأتى من أفكارنا نحن، حينما يضع كلّ منا نفسه فى غير موضعه.

لقد صعدوا بالمرأة من جانب ونزلوا بها من جانب آخر فتولدت المشاكل. إنّ المرأة مثال العاطفة فى الحياة، فالأمور التى تحتاج إلى العاطفة مخوّلة للمرأة، بينما الرجل مثال العقل ولذلك أوكلت إليه الأمور التى تحتاج إلى عزم وتصميم، ومن هنا قال الله تعالى: ?وللرجال عليهنّ درجة.?

قد يثار هنا سؤال هو: هل العقل يسيّر العاطفة أم العاطفة تسيّر العقل؟

نقول فى الجواب: إنّ العقل هو الذى يسيّر العاطفة. يقولون: إنّ كلّ الثورات التى تحدث فى العالم تحتاج إلى أمل وألم.. بل كلّ حركة وراءها أمل وألم. فالألم يحرّك الإنسان والأمل مظهر العقل، والعقل يحدد الأبعاد، فمثلاً الإنسان الشبعان الذى لا يعانى من ألم الجوع لا يبالى بترك أيام من العمل. أمّا الإنسان الذى لا يجد غذاء يتناوله ويشبع بطنه إن لم يخرج للعمل، فهو لا يترك حتى يوماً واحداً من العمل وإن كان عمله الاستجداء والسؤال من الناس، فالألم هو الذى يحرّك الإنسان، ولكن الأمل هو الذى يضع إطاراً وحدوداً للحركة.

لماذا كان نصيب المرأة من الإرث نصف نصيب الرجل؟

بعد عرض هذه المقدّمة الطويلة نسبياً نأتى إلى ذى المقدمة وهو قضية المرأة والإجابة على السؤالين المتقدمين، وأوّلهما: لماذا جعل الله نصيب الرجل من الإرث ضعف نصيب المرأة؟

لكى يتضح الجواب، لابدّ من مراجعة أحكام الإسلام المالية فيما يخص الرجل والمرأة، فإنّ الإسلام جعل نفقات المرأة على الرجل سواءً كانت بنتاً أم زوجة أم أمّاً. فحتى أدوات التجميل يحقّ لها تقاضى ثمنها من الزوج بما يتناسب وشأنها، ناهيك عن الغذاء والمسكن والملبس والدواء والترفيه وحتى كفن الزوجة إذا ماتت وماء غسلها وثمن الأرض التى تُدفن فيها وأجور الدفن و، ...كلّ ذلك على الزوج حتى إذا كانت الزوجة ثرية تملك الملايين والزوج معسراً، ولكن فى حدود المعروف، كما قيّدت الآية.

إذن لو مات أب وخلّف أولاداً ذكوراً وإناثاً فالإناث ليس عليهن مصارف لأنّ مصارفهن كلّها على الرجال، أما الرجال فيتحملون مصارف أنفسهم ومصارف النساء التى تعود نفقتهن عليهم كالزوجة وهكذا الأخت والأم المعسرتين!

حقاً لولا لطف الإسلام ورفقه بالمرأة لاقتضى أن يجعل الإرث كلّه للرجل كما كان الأمر فى الجاهلية – قبل الإسلام – وكما هو موجود فى بعض الجاهليات الحديثة. ولو تُركنا وعقولنا ولم نستضئ بهدى الإسلام لبدا لنا اختصاص الرجل بالإرث كلّه معقولاً، فلماذا نعطى المال للمرأة والرجل يصرف عليها كلّ ما تحتاجه؟ ولكن الإسلام لم يغفل أنّ المرأة قد تحتاج ولا تطلب من الرجل حياءً ولا يريد الإسلام للمرأة أن تبذل ماء وجهها، ولذلك فرض لها حصة من الإرث. هذا بالإضافة إلى أنّ فى منحها حصة من الإرث نوعاً من تطييب نفسها سيما وهى مفجوعة أيضاً بموت قريبها.

فهل يعدّ حكم الإسلام فى إرث المرأة بعد هذا ظلماً فى حقها وحطّاً من كرامتها أم أنّ الأمر ببساطة ووضوح يتناسب مع الأحكام المالية الأخرى للمرأة فى الإسلام مع أخذ عاطفة المرأة بنظر الاعتبار، لأنّ الإسلام يلاحظ العواطف أيضاً؟!

لماذا وضع الإسلام الطلاق بيد الرجل؟

أمّا السؤال الثانى وهو: لماذا وضع الإسلام الطلاق بيد الرجل دون المرأة؟

فنقول فى الإجابة عليه: لما كان كلّ فكرين يصطدمان بطبعهما، حتى الأخوين قد يختلفان أو الأب والابن، فكذلك حال الرجل والمرأة فإنّ الاختلاف أمر طبيعى فى الحياة، وإلاّ لو لم يكن الاختلاف فلماذا يحصل الطلاق؟ وهل يصح أن نقول للزوجين

المختلفين، تفاهما وقررا الطلاق معاً فهو بيدكما معاً وليس لأحد منكما دون الآخر، فكيف يتصوّر أن يتّفقا ويتفاهما وهما مختلفان؟ فأكثر حالات الطلاق إنما تنتج لأنّ الزوجين غير متناغمين، فالزوج قد يكون ثائراً إلى حد الرغبة بالطلاق أما الزوجة فغير ثائرة إلى ذلك الحد. وربما كان الأمر بالعكس، فكيف يتفقان على الطلاق وهما مختلفان. إن التشاجر والنّزاع والصدام هو الذى يؤدى إلى الطلاق، فإذا كان هناك تشاجر ونزاع وصدام فكيف يتصور التفاهم وهو على النقيض من تلك الحالات؟

إذن لابدّ أن يكون الطلاق بيد أحدهما أو بيد شخص آخر غيرهما ولا احتمال آخر. أمّا الاحتمال الأخير وهو أن يكون الطلاق بيد شخص أو جهة غيرهما، فهذا أمر مرفوض بالكامل لأنّ أياً من الزوجين قد لا يبدى كلّ ما فى قلبه تجاه الآخر للغير كما يبديه لزوجه، فكيف نترك شأن حياتهما المشتركة بيد شخص ثالث لا يعيش تجربتهما؟!

يبقى عندنا أحد احتمالين، إما أن يكون الطلاق بيد المرأة أو بيد الرجل وقدّمنا أنّ المرأة عاطفية أكثر من الرجل، وهذا التكوين العاطفى للمرأة قد يدفعها لاتخاذ قرار عاجل بالطلاق سرعان ما تندم عليه بعد زوال أسباب الإثارة، على العكس من الرجل فطبيعته – فى الغالب – لا تجعله يثور بسرعة وإذا ثار واتّخذ قراراً فلا يتراجع عنه بسرعة لأنّه لم يتخذه بتأثير عاطفى سريع الزوال؛ فثورة الرجل عن خلفية وامتداد وإذا حدثت تعمقت وتجذرت، أما ثورة المرأة فكزبد البحر أو الرغوة التى تعلو غسيل الثياب، فلو وضع الإسلام الطلاق بيد المرأة لكان خلاف الحكمة والتكوين الطبيعى لها.

انظر إلى نسب الطلاق فى الغرب واستخلص منها العِبر، فحسب بعض التقارير أنّ ۸۷ ?من النساء اللاتى طَلَّقْنَ فى الغرب تُظهر الندم فى غضون شهر بعد الطلاق، ناهيك عن اللواتى لم يعلنَّ ذلك تجلّداً، أما الرجال فلم تبلغ النسبة من النادمين على قرارهم بالطلاق ?.۱۷

يتبين أنّ حكمة التشريع فى وضع الطلاق بيد الرجل هو التقليل من حالات الطلاق ودعماً لأواصر المحبة بين الزوجين واستمراراً للحياة الزوجية.

هذا ولم يتجاهل الإسلام كرامة المرأة واختيارها حتى فى هذا المجال، فقد ترك لها الإرادة كاملة قبل الزواج، والحرية فى أن لا تتزوج إلّا بشرط أن تكون وكيلة عن الزوج فى الطلاق، فيصبح لها هذا الحق كما للزوج، ولكنه مع ذلك يشجع فى خطه العام على الزواج، ويقول للمرأة: أنا أضع أمامك طريق الحياة السعيدة حتى مع كون الطلاق بيد الرجل، ولكن فى الوقت نفسه، ولكى لا تشعرى بالإجبار والإكراه، لا أجبركِ على شىء، وبإمكانك أن تضعى هذا الشرط قبل الزواج. وهذه المسألة طرحت فى عهد الإمام الصادق سلام الله عليه.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة الرابعةوالعشرون●

الإصلاح الزراعى فى الإسلام

الإصلاح الزراعى فى الإسلام

وقفة مع الآية الكريمة

?ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض?

●ألقيت هذه المحاضرة عام ۱۳۹۸ ه.، ضمن المحاضرات الأخلاقية على طلبة العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

?ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ().?

القرية فى الاستعمال القرآنى

القرى جمع قرية، والقرية قد تُطلق ويراد بها معناها العرفى وهو ما يقابل المدينة فيكون المقصود من القرى البلدان الصغيرة خارج المدن. وقد يراد منها معناها اللغوى وهو المصر الجامع وكلّ مكان اتّصلت به الأبنية واتّخذ قراراً، فتقع على المدن وغيرها.
الاستعمال القرآنى للكلمة يلحظ المعنى اللغوى، فعندما يطلق القرآن كلمة قرية فإنّما يريد بها المدن والبلدان والأمصار. فالكويت مثلاً قرية فى الاستعمال القرآنى وكذلك بغداد والقاهرة ومكة المكرمة التى أسماها القرآن الكريم أمّ القرى بهذه المناسبة.

معنى البركة

البركة فى اللغة: نماء وزيادة، أو هو الخير الدائم. فلا يقال عن شرّ أو سيّئ ولا عن الخير المنقطع أنّه مبارك().
فعندما نبارك لشخص تزوّج حديثاً فإنّما نتمنّى له دوام السعادة فى زواجه، وكذلك عندما نبارك لشخص اشترى داراً فهذا يعنى أنّنا نتمنى له دوام هذه النعمة عليه ونماءها وزيادتها وارتقاءها، ويقول الله تعالى عن كتابه أنّه? ذكر مبارك() ?لأنّ القرآن خير نامٍ ومستمرّ.

لنزول البركات سببان؛ تكوينى وتشريعى

إنّ الله تعالى هو خالق الإنسان وهو أعرف بما يصلحه، سواء من الناحية التكوينية أو التشريعية? ألا يعلم مَن خلقَ وهو اللطيف الخبير? (). ولذلك سنّ الله تعالى قوانين لمصلحة الإنسان ونظام حياته بعضها تكوينى هو مجبر عليها، وبعضها الآخر تشريعى ترك للإنسان تنفيذه. فإذا التزم الإنسان بتشريعات الله وما سنّه له من قوانين تصلح حياته نزلت عليه البركات التى مفتاحها القوانين التشريعية – إضافة إلى البركات التى أنزلها عليه بإرادته التكوينية التى لا دخل للإنسان فيها – وإلّا عاش فى خبط وظلام، وقد يحرمه الله من بركاته التكوينية أيضاً.

مثال البركات التكوينية

كان فى انجلترا جسر يسمى بجسر الانتحار، يقصده الشباب الذين سُلبوا العقل والعاطفة ليلقوا بأنفسهم من على مرتفع منه صوب الجهة التى يتدفّق الماء فيه بسرعة وقوّة ليتلقّفهم ويضرب بهم يميناً وشمالاً بالصخور ثم يموتون!
عندما لاحظ المهتمّون هناك أنّ معدّلات الانتحار فى حالة ارتفاع مستمرّ، فكّروا فى إيجاد طريق لتقليله – وهذا هو الفرق بين الإسلام وغيره، فإنّ الإسلام يستأصل المشكلات والأمراض من الجذور، أمّا الأنظمة الأخرى فتفكّر فى تقليله، وهى لا تنجح حتى فى ذلك.
وبعد أن اجتمع المهتمّون من الخبراء والمفكّرين والعلماء وقاموا بتجارب كثيرة اهتدوا إلى شىء خلقه الله عزّ وجلّ منذ بدء الخليقة، حيث اكتشفوا أنّ اللون الأخضر أكثر الألوان تأثيراً فى مخّ الإنسان، فالخضرة أقوى وأجمل لون يناسب المخّ. فقاموا بصبغ الجسر باللون الأخضر. وكانت النتيجة تدنّى معدلات الانتحار فى السنوات القادمة بنسبة ثمانين فى المئة.
والآن تعال إلى الطبيعة وانظر بأىّ لون كساها الله تعالى، لكى تطرد القلق والسأم عن الإنسان؟ إلّا اللون الأخضر للأشجار؟
فكما أنّ خالق الطبيعة خلقها وفق نظام وقوانين تصلح للإنسان، فكذلك تشريعات الله! ولكن مع فرق أنّ الله تعالى ترك الإنسان حرّاً فى تطبيقها! ولذلك يقول الله تعالى?: ولو أنّ أهل القرى آمنوا ...?الآية.

الإصلاح الزراعى فى الإسلام لا غيره

ينطلق الإصلاح الزراعى فى الإسلام من هذه الآية الكريمة التى صدّرنا بها البحث، ومن كلمة الرسول الخالدة، المذكورة فى كتب الحديث كافة، حيث قال صلى الله عليه وآله مَن غرس شجراً أو حفر وادياً بدياً لم يسبقه إليه أحد وأحيى أرضاً ميتة فهى له؛ قضاء من الله عز وجل ورسوله(). ومعنى الحديث أنّ الأرض لله تعالى وللإنسان الذى يعمر تلك الأرض؛ وأنّ هذا هو حكم الله ورسوله.

وفى الحديث الشريف: فإنّ الأرض لله عز وجل ولمَن عمَّرها().

يمرّ اليوم أكثر من أربعة عشر قرناً على صدر الإسلام، وبسبب التطوّر العلمى الحاصل خلال هذه الفترة تطوّرت الزراعة وأساليبها. ولكن مقارنة بين أوضاع الزراعة فى العصور الإسلامية وعصرنا الحاضر تكشف لنا بوضوح أنّ الإصلاح الزراعى موجود فى الإسلام وليس فى التشريعات الأخرى، لأنّ مشرّع الإسلام هو الله سبحانه، وما عداه فهو فكر بشرى قاصر لم يحقّق سوى إفساد الزراعة والنظام الزراعى!

يقول جرجى زيدان - الكاتب العربى المسيحى المعروف - فى كتابه «تاريخ التمدّن الإسلامى»: إنّ الأراضى المزروعة فى مصر اليوم تبلغ ستة ملايين فدّان. ثم ينقل عن الاصطخرى: أنّ الأراضى المزروعة فى مصر فى القرن الرابع الهجرى (أى قبل ألف سنة) بلغت ثلاثين مليون فدّان.

ثم يذكر نموذجاً آخر عن السدود المنشأة على نهر دجلة فى العراق من بداية دخوله عبر تركيا إلى العراق فى مدينة الموصل فى شمال العراق حتى بغداد فى وسط العراق فيقول نقلاً عن الاصطخرى أيضاً: أنّها كانت تبلغ على هذا النهر فى هذه المسافة التى تبلغ حوالى (٥٠٠كم) زهاء أربعين سدّاً، فيما لا نعلم اليوم بوجود أكثر من سدّين هما سد سامراء وسد الثرثار!!

إنّ المفروض فى كمية الأراضى المزروعة فى مصر اليوم - ومصر نموذج ومثال وإلاّ فهذا حال كلّ العالم الإسلامى - أن تكون أضعاف ما كانت عليه فى العصر الإسلامى لو أخذنا بنظر الاعتبار التقدّم الحاصل فى الآلات والمكائن الزراعية، بل إنّ أكثر الأعمال الزراعية كانت فى العصور الإسلامية الأولى باليد. ومع ذلك فإنّ الزراعة كانت تغطّى معظم أراضى مصر التى تبلغ مساحتها ستّة وثلاثين مليون فدّان فقط. والشىء نفسه يقال بالنسبة للسدود المقامة على نهر دجلة فى العراق.

هذان نموذجان لأفضلية النظام الإسلامى من خلال أفضلية النتائج المحقّقة على أرض الواقع اللذان ذكرهما جرجى زيدان فى كتابه، وأنا أضيف إليهما مثالاً ثالثاً، وهو السدّ العالى فى مصر. فقد أقاموا الدنيا ولم يقعدوها عندما أنشأوا هذا السد، والذين عاصروا تلك الفترة يتذكّرون الضجيج الذى ملأ الآفاق عن السد العالى وأنّه خدمة للبلاد وإنجاز للأمة العربية، وتحدّثتْ الإذاعات وتناقلت الصحف أنباء بنائه، وبالفعل فقد ازدهرت الزراعة فى مصر نسبياً فوصلت إلى سبعة ملايين وثمانمئة ألف فدّان، أى لم تبلغ الثمانية ملايين فدّان. أقول: مع الأجهزة الحديثة والجرارات والأدوات، ومع السدّ العالى لم تصل نسبة الأراضى المزروعة فى مصر إلى ثمانية ملايين فدّان؛ بينما وصلت فى العهد الإسلامى رغم بداءة الوسائل إلى ثلاثين مليوناً!

الإسلام أفضل نظام

عندما نقارن هذه النتائج سنكتشف صلاحية النظام الذى أثمر النتائج الأفضل؟ إنّ هذا دليل على صلاحية الإسلام وأنّه عرَف كيف يصلح الزراعة ويسير بها نحو الأفضل.

الإسلام ليس مجرّد نظريات بل كلّه فكر قابل للتطبيق، ولقد طُبّقت تشريعاته فى العهود الإسلامية وأعطت نتائج باهرة.

ينقل المؤرّخون أنّه كانت توجد فى مدينة البصرة أنهار تسير فيها الزوارق؛ بلغ عددها - أى الأنهار - اثنى عشر ألفاً!

وروى أيضاً أنّ رجلاً قدم العراق - قبل زهاء ألف سنة - وصنع للعراقيين شيئاً، وعندما أراد أن يعود إلى بلده قالوا له: نريد أن

نكافئك على صنعتك، فاطلب ما بدا لك. فقال: أريد منكم جريباً من أرض جرداء فى العراق أزرعها (والجريب ألف متر مربع). فتعجّبوا من قوله، وقالوا: هذا هيّن، اطلب ما هو أعظم منه. ولكنه أصرّ على طلبه. وعندما بحثوا لم يجدوا فى العراق جريباً خالياً من الزرع!

ولعلّ الرجل كان يريد أن ينبّههم إلى النعمة التى يرفلون فيها. والقصّة ليست قصّة العراق أو مصر بل قصّة الوطن الإسلامى برمّته. اقرأوا التاريخ لكى تعلموا أنّ كلّ الوطن الإسلامى كان هكذا؛ لأنّ الله تعالى يقول?: ولو أن أهل القرى آمنوا. ...?لاحظوا كتب الفقه والحديث عند الشيعة والسنة على السواء، تجدون حرية فى الزراعة لا توجد فى أىّ نظام وتشريع، وإليها يعود الازدهار الزراعى فى الإسلام.

فكلّ شخص يزرع أرضاً فهى له سواء كان مسلماً أم يهودياً أم نصرانياً أم مشركاً أم عابد وثن. يقول الإسلام: الأرض لله فمن يزرعها فهى له، ولا يسأل عن الزارع بعد ذلك؛ ما دينه؟ وما لونه؟ وما هى جنسيته؟ ومن أىّ منطقة هو؟ وهل هو من أهل البلد أم لا؟ ولا يسأل عن عمره، وعن المادة التى يريد زراعتها. يقول لك الإسلام: ازرع ما شئت ومهما شئت ما لم يكن من الأمور المحرّمة الضارة بالمجتمع فإنّه لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام.

ابحث فى كلّ الحضارات المعاصرة والبائدة هل تجد مثل هذه الحرية وهذا التمليك؟ أم ستلاحظ وجود مئات القيود والمواد القانونية التى تحرم الكثيرين من زراعة الأرض وإعمارها؟

يقول الإسلام: مَن أحيى أرضاً مواتاً فهى له()، والأرض الموات هى الأرض الجرداء غير المزروعة والتى لا يوجد فيها نهر ولا قناة وغير محاطة مثل أكثر الأراضى المتروكة فى البلاد الإسلامية.

وهذا النص سلاح ذو حدّين. فمن جهة هو يمنع الاحتكار، فلا يحق لك أن تحتكر هكتاراً من الأرض وتتركها جرداء، ومن جهة أخرى يدفع نحو الإعمار الزراعى؛ فإنّك إن استطعت أن تزرع الأراضى الجرداء مهما بلغت مساحتها فهى لك. إنّ الإسلام يريد أن تنتشر الزراعة وأن تعمّ البركات الأرض كلّها.

لم يخلق الله تعالى الأمطار لتنزل على أراضٍ جرداء وتذهب هكذا هباءً؟! ولكن لكى تسقى الأرض ويستثمرها الإنسان. لقد خلق الله تعالى الأرض والمطر والإنسان وربط بينهم وأطلق يد الإنسان ليحصل على بركات السماء والأرض.

لقد وزّعت إحدى الحكومات الأراضى على الناس فأعطت كلّ مواطن هكتاراً من الأرض، وعدّت ذلك إنجازاً عظيماً وتقدّماً وإصلاحاً، بينما هو خطأ من جهتين: فإنّ إعطاء شخص ما هكتاراً وهو لا يستطيع زراعة أكثر من جريبين مثلاً، تبديد للثروة وحرمان لغيره الذى يستطيع أن يزرعها كلّها.

كما أنّ إعطاء هكتار واحد فقط لمن يستطيع أن يزرع أكثر منها تبديد للطاقات وحرمان المجتمع منها، فكيف يساوى مَن عنده مال وطاقة وكفاءة ويستطيع إحياء عشرة هكتارات مثلاً بمَن لا يستطيع إحياء هكتار واحد؟!

إنّ فى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة مفاتيح لتنظيم معايش الناس بصورة صحيحة سواء فى مجال السياسة أو الاجتماع أو التربية أو الاقتصاد أو الأسرة أو علاقات الأفراد بعضهم مع بعض، ولا طريق لنا إلاّ بالعودة إلى تعاليم الإسلام، فإنّ فى كلّ آية وحديث إنقاذاً لنا من أبواب المشاكل التى نعانى منها. فلنرجع إلى القرآن ونطبّقه حرفياً على وضعنا المعاصر ليُنزل الله علينا بركات من السماء والأرض.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الفهارس

۱. آيات القرآن الكريم.

۲. الأحاديث والروايات الشريفة.

۳. المصادر.

۴. محتويات الكتاب.

آيات القرآن الكريم

الآية ورقمها السورة رقم الصفحة

الفاتحة

إياك نعبد وإياك نستعين ۴ ۲۱۰

البقرة

هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ۲۹ ۱۴۳

إنا لله وإنا إليه راجعون۱۵۶ ۲۰۱، ۲۰۸

ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة ۱۹۴ ۹۳، ۳۱۴

ولهنّ مثل الذى عليهنّ بالمعروف وللرجال ۲۲۹ ۳۳۵، ۳۴۰،۳۳۷، ۳۴۱

لا إكراه فى الدين ... فقد استمسك بالعروة ۲۵۶ ۶۲، ۳۱۹، ۳۲۰، ۳۲۳، ۳۲۵

الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ... بالمنّ والأذى ۲۶۲ – ۲۶۴ ۱۶۲

آل عمران

إن الدين عند الله الاسلام ۱۹ ۳۶

وما النصر إلّا من عند الله ۱۲۶ ۳۰۷

لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً ۱۶۴ ۱۶۳

فمَن زُحزِح عن النار وأُدخِل الجنّة فقد فاز ۱۸۵ ۱۶۴

النساء

ولا تقتلوا أنفسكم ۲۹ ۹۳

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ۵۹ ۴۳، ۱۴۱، ۱۴۲، ۱۵۸

ما أصابك من حسنة فمن الله ۷۹ ۲۸۷، ۲۹۰ ۲۹۳

لا يحبّ اللهُ الجهرَ بالسوء من القول إلّا مَن ظُلم ۱۴۸ ۳۵

المائدة

ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ۲ ۳۱۳

اليَومَ أكمَلتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأتمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتى وَرَضيتُ ۳ ۴۲، ۴۳

أأنت قلت للناس اتخذونى وأمّى إلهين من دون الله ۱۶ ۲۸

والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ۳۸ ۸۴

ومن لم يحكم بما أنزل الله ۴۴ ۳۱۳

إنّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسولُهُ والّذينَ آمَنوا الّذينَ يُقيمونَ الصّلاةَ ۵۵ ۴۶

وَلَوْ أنَّهُمْ أقاموا التَوْراةَ ... يا أيُّها الرَّسولُ بَلِّغ ما أنزِلَ إلَيكَ ۶۶– ۶۷ ۴۴

لتجدّن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود ۸۲ ۱۹

الأنعام

فمستقرّ ومستودع ۹۸ ۲۲۷

قل الله ثم ذرهم ۹۱ ۲۰۱

ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى ۱۶۴ ۲۷

الأعراف

ولو أن أهل القرى آمنوا ۹۶ ۳۴۹، ۳۵۱،۳۵۴

يضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ۱۵۷ ۳۲۹

ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ۱۸۰ ۴۹

الأنفال

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته ۲ ۲۶۸

ليهلك من هلك عن بيّنة ۴۲ ۲۶

التوبة

قل إِن كان آباؤكم وأبناؤكم ... أحبّ إِلَيكم مِنَ الله ۲۴ ۲۲۰

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ۱۰۵ ۱۶۶

يونس

ثمَّ جَعَلنَاكمْ خَلائِفَ فِي الأرْضِ مِن بَعدِهِم لِنَنظرَ ۱۴ ۲۱۷، ۲۲۱، ۲۲۴، ۲۲۵

هود

فاستقم كما أُمرتَ ۱۱۲ ۲۱۹، ۲۲۰

ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ۱۱۸–۱۱۹ ۲۶۱

الرعد

فإنّما عليك البلاغ وعلينا الحساب ۴۰ ۲۹۸

إبراهيم

ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ۱۷ ۱۱۳

الحجر

ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ۳ ۲۷۹

ولقد كذّب أصحابُ الحجر المرسلين ۸۰–۸۱ ۲۹۷

النحل

إنّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ۴۰ ۲۹۹

ادع إِلى سبِيلِ ربكَ بِالحِكمةِ والموعِظةِ الحسنة ۱۲۵ ۱۷۶

الكهف

فمَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر ۲۹ ۳۲۳

المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير ۴۶ ۲۷۵، ۲۷۶

طه

ولقد مَنَنّا عليك مرّة أخرى ۳۷ ۱۶۳

الأنبياء

لَوْ كانَ فيهما آلِهَةٌ إلاّ اللهُ لَفَسَدَتا ۲۲ ۴۷

وجعلنا من الماء كلّ شيء حى ۳۰ ۳۵۰

ونبلوكم بالشر والخير فتنة ۳۵ ۲۴۰

ذكر مبارك ۵۰ ۳۵۰

الشعراء

قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ۱۵۵ ۳۰۰

القصص

ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا فى الأرض ۵-۶ ۱۶۱، ۱۶۳-۱۶۵

العنكبوت

أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتَنون ۲ - ۳ ۳۰۸

وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ ۶۴ ۲۱۴

لقمان

ألم تروا أن الله سخّر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض ۲۰ ۱۴۳

الأحزاب

إذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنّون بالله الظنونا ۱۰ ۳۰۷، ۳۰۸

وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ۱۲ ۳۰۵، ۳۰۶، ۳۰۸، ۳۱۵، ۳۱۶

وكفى الله المؤمنين القتال ۲۵ ۳۰۹

سبأ

قُل إنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أنْ تَقُومُوا لِلهِ ۴۶ ۱۹۵، ۱۹۶، ۲۰۰، ۲۰۴

فاطر

إنّما يخشى الله من عباده العلماء ۲۸ ۷۵

الصافّات

ولقد مَنَنّا على موسى وهارون ۱۱۴ ۱۶۳

فصّلت

وما ربّك بظلاّم للعبيد ۴۶ ۲۹۳

الشورى

شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً ... أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا ۱۳ ۹۹، ۱۰۰

الفتح

يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم ۱۰ ۱۸۲

ليظهره على الدين كله ۲۸ ۱۷، ۲۳

ق

ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ۱۶ ۸۵

الذاريات

ومن كلّ شيء خلقنا زوجين ۴۹ ۳۳۶

النجم

ثم دنا فتدلّى. فكان قاب قوسين أو أدنى ۸-۹ ۱۰۱

لقد رأى من آيات ربه الكبرى ۱۸ ۱۰۱

الحديد

لِكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بِما آتاكم ۲۳ ۲۳۳، ۲۴۳

الحشر

وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ۷ ۹۲

الصف

يَاأيّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقولونَ مَا لا تَفعَلونَ ۲-۳ ۲۱۹

الملك

ألا يعلم مَن خلقَ وهو اللطيف الخبير ۱۴ ۳۵۰

الحاقّة

إنّا لمّا طغى الماء حملناكم فى الجارية ۱۱ ۳۱۹

ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل ... فما منكم من أحد ۴۴-۴۷ ۷۳، ۸۴-۸۷

المعارج

فى يوم كان مقداره ۴ ۱۲۶

الجن

وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ۱۸ ۸۴

المدثر

ولا تمنن تستكثر ۶ ۱۶۲

الإنسان

إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفورا ۳ ۳۲۳

البلد

وهديناه النجدين ۱۰ ۳۲۳

النصر

ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً ۲ ۱۱، ۱۳ ۲۰

الأحاديث والروايات الشريفة

آخر فريضة أنزلها الله الولاية فلم ينزل من الفرائض شيء بعدها ۴۲

آخر ما يخرج من قلب المؤمن حب الجاه ۲۳۵

أبهذا أمرك الله أو عهد به إليك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ۶۲

اخرُج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلا ۹۲
إذا زلّ العالِم يزلّ بزلّته العالَم ۲۲۷
إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد ۱۸۲
إذا لم يتَّقِ الشبهات وقع فى الحرام وهو لا يعرفه ۲۵۵
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث ۲۸۲
أربع من كنّ فيه كان فى نور الله الأعظم ۲۰۷،۲۱۴
استعملتموه حتى إذا كبُر وعجز منعتموه! ۲۲
أفِد يا مفيد، منك الفتيا وممّنا التسديد ۸۸
أفضل الأعمال فى هذا الشهر الورع عن محارم الله ۳۳، ۲۴۸، ۲۵۳
ألا وإن الله سائلكم عن أعمالكم حتى عن مسّ أحدكم ثوب أخيه ۹۴
ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ۴۵، ۱۸۰
ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدى به ويستضىء بنور علمه ۱۴۷
إلهى خلقتنى سميعاً، فطالما كرهت سماعى ۲۵۲
أما والله أن لو كان ذاك ما كان إلا سياسة الليل وسياحة النهار ۱۸۰
إن أرض الكعبة قالت: من مثلى و قد بنى بيت الله على ظهرى! ۱۱۸
إن أعف فالعفو لى قربة وهو لكم حسنة فاعفوا ۵۰
إن الحسن من كل أحد حسن وإنه منك أحسن لمكانك منّا ۱۳۴
إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة ۱۰۲، ۱۰۵، ۱۰۶
إنّ الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة ۱۶۴
إن الذى يلى حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين عليه السلام ۱۲۵
إنَّ الضَّيْفَ إذَا جَاء جَاء بِرِزْقِهِ وإذَا ارتَحَلَ ارتَحلَ بِذُنُوبِ أَهْلِ البيتِ ۱۶۸
إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم وإنّما ينظر إلى قلوبكم ۲۱۸
إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ۲۴۳
إنّ علياً سار بالمنّ والكفّ ۱۷۷
إنّ قائمنا أهل البيت عليهم السلام إذا قام لبس ثياب علىّ ۱۷۷، ۱۷۹
إِنَّ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ ثَلاثَةَ أَخِلاءُ ۲۷۷
أنا عبدٌ من عبيد رسول الله صلى الله عليه وآله ۱۲
إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم ۱۸۸
إنّا لنحبّ أن نعافى فيمَن نحبّ، فإذا جاء أمر الله سلّمنا فيما أحَبَّ ۲۳۵
أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى ۲۷۱
إنَّمَا جُعِلَ الإمامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ ۱۴۷
أنه لولا هؤلاء لاندرست آثار النبوة ۱۵۷
إنّى أكره أن أبدأهم ۱۸۱

إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور ۴۹
برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه ۳۰۹
بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد إلى حى ۲۷۰
بمثل هذا القضاء تحبس السماء ماءها وتمنع الأرض بركاتها ۹۱
بينه وبين الله عز وجل عمود من نور يرى فيه أعمال العباد ۱۶۶
تدمع العين ويحزن القَلْبُ ولا نقول ما يُسخط الرب ۱۱۵
تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة ۲۵۲
ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطا وزعافاً ممقرا ۶۸
حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة ۱۹۷
حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله ۲۵۹
حتى لقد وطئ الحسنان ۳۲۷
حسين منّى وأنا من حسين ۱۰۶، ۱۰۷
رحم الله عبداً أحيى أمرنا ۶۹
الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن ۲۳۳، ۲۴۰، ۲۴۳
الزهد مفتاح الآخرة، والبراءة من النار ۲۰۰
الشقى من حُرم غفران الله فى هذا الشهر العظيم ۲۴۸
شيّبتنى هود ۲۲۰
الصادع بالحكمة والموعظة الحسنة ۱۷۷
الصدقة باليد تدفع ميتة السوء ... وتفكّ عن لحى سبعين شيطاناً ۲۸۱
على مع الحق والحق مع على يدور معه حيثما دار ۶۱، ۶۵
عميت عين لا تراك ۲۰۳
فاجعل اللهم صباحى هذا نازلاً علىّ بضياء الهدى ۳۵
فأجيبونى تكونوا ملوكاً فى الدنيا وملوكاً فى الآخرة ۲۳
فالمستقر ما ثبت من الإيمان، والمستودع المعار ۲۲۷
فإنّ الأرض لله عز وجل ولمَن عمَّرها ۳۵۲
فإن الشقىّ من حُرم غفران الله فى هذا الشهر العظيم ۲۴۸، ۲۶۱
فإنّ الله تعالى أكرمك كرامة لم يكرم بمثلها أحدا ۲۵۹
فإن اليوم عمل ولا حساب، وإنّ غداً حساب ولا عمل ۱۲۷
فإنكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم ۱۲۶
فزجَّ بى فى النور زجّة حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علوّ ملكه ۱۰۱
فعلى الإمام أن يقضيه، فإن لم يقضه فعليه إثم ذلك ۱۷
فكادت نفسى تخرج وَتَبَيَّنَت ذلك منى عَمَّتى زينب ۱۳۶
فليشرّق وليغرّب ۴۵

قد قال لی إنّ الله قد شاء أن یراهنّ سبایا ۹۲
قد کان ما رأیت فما منعک أن تعین علینا عدوّنا؟ ۳۲۶
قولی بقی کلّها إلّا رقبتها ۲۷۸
کان فی زمن موسی علیه السلام ملِک جبّار قضی حاجة ۲۸۸
کونوا دعاة للناس بغیر ألسنتکم ۲۶۶
کونوا زیناً ولا تکونوا شینا ۲۶۶
کیلا یتبیّغ بالفقیر فقره ۱۸۰
لا تتجاوزوا بنا العبودیة ثم قولوا فینا ما شئتم ولن تبلغوا ۲۸
لا ضرر ولا ضرار فی الإسلام ۳۲۹
لا یحبّک إلّا مؤمن ولا یبغضک إلا منافق أو کافر ۶۵
لأندبنّک صباحاً ومساءً ولأبکینّ علیک بدل الدموع دماً ۹۲
لقد فارقکم أمس رجل ما سبقه الاولون، ولا یدرکه الآخرون ۵۰
لکل مأموم إمام یقتدی به ۲۶۹
للأخ السدید، والولی الرشید، الشیخ المفید ۱۸۷
لما اختلف فی هذه الأُمّة سیفان ۶۷
لو أُعطیت الأقالیم السبعة ... علی أن أعصی الله فی نملة أسلبها ۴۷، ۴۸، ۲۰۳
لو عرف الناس فضل هذا الیوم بحقیقته لصافحتهم الملائکة ۵۲
لو قتلت الأحبة لقتلت من فی تلک الدار ۶۳
لولاک لما خلقت الأفلاک ۷۳، ۱۰۲
لِیَسْتَنْقِذَ عِبادَکَ مِنَ الجَهالَةِ وَحَیْرَةِ الضَّلالَة ۱۳۴
ما استغفاری وتضرعی لله سبحانه وتعالی إلا لأستقرّ فی قبری ۲۸
مَن أتی الحسین علیه السلام عارفاً بحقّه کتبه الله فی أعلی علّیین ۱۰۲
مَن أحیی أرضاً مواتاً فهی له ۳۵۵
مَن أغلق بابه فهو آمن، ومَن ألقی سلاحه فهو آمن ۳۲۹
من ترک دیناً أو ضیاعاً فعلیّ، ومن ترک مالاً فلورثته ۱۵
من خاف لخوفنا أظلّه الله فی ظلّ عرشه وکان محدّثه الحسین علیه السلام ۱۲۶
مَن طلب شیئاً ناله أو بعضه ۲۵۱، ۲۶۱
مَن غرس شجراً أو حفر وادیاً ... وأحیی أرضاَ میتةً فهی له ۳۱۱، ۳۵۲، ۳۵۵
من کنت مولاه فعلیّ مولاه ۴۲
مَن مات ولم یعرف إمام زمانه مات میتة جاهلیة ۱۷۵، ۱۸۵
الناس مسلّطون علی أموالهم ۹۳
نَفَسُ المَهموم لِظُلْمِنا تَسْبیحٌ، وَهَمّهُ لَنا عِبادَة ۱۲۲
هذا کتابنا علیک أیها الأخ الولی، والمخلص فی ودّنا ۱۸۸

هذا وليكم من بعدى ۶۷
هلك فيَّ رجلان محبّ غال، ومبغض قالٍ ۲۹
واعلموا أنّ الدُّنيا حُلْوُها وَمُرُّها حُلم ۱۲۹
والله لقد قُتل قتلة الحسين عليه السلام ولم يُطلب بدمه بعد ۱۱۷
وإن أرض كربلاء وماء الفرات أول أرض وأول ماء قدّس الله ۱۱۸
وإنّ لك فى الجنة درجات لا تنالها إلّا بالشهادة ۷۸
وإنما العيش الرغد فى الجنة ۶۶
وجعلتم فيه من أهل كرامة الله ۲۵۹
وحال بينك وبين مواهب الله لك ۵۶
وذلك فى سلامة من دينى ۳۳، ۳۴، ۳۵
وقارب من خطوه وشمّر من ثوبه ۲۱۸
وقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين عليه السلام ۸۹
وكانت الولاية آخر الفرائض ۴۲
ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له فى القرص ۴۵
ولو دنوت أنملة لاحترقت ۱۰۱
وَلْيَجْتَهِدَنَّ أئِمَّة الكُفْرِ وَأشْياع الضَّلالة فى محوه ۱۳۵
وما كان سببُ إسلام عامّة اليهود إلا من بعد هذا القول ۱۸
ومن ترك دَيْناً أو ضياعاً فإلىَّ أو علىَّ ۱۶
ويأتى على أمتى زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ۲۳،۳۱۳
يا رب برئت اليك مما ادعى فىّ الأجدع عبد بنى أسد ۲۷
يا على ائت بنى جذيمة من بنى المصطلق فأرضهم مما صنع خالد ۲۷۱
يا على أعطيتهم ليرضوا عنى؟ رضى الله عنك يا على! ۲۷۱
يا علىّ حربك حربى وسلمك سلمى ۱۷۸
يابن آدم إذا رأيت ربّك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره ۲۹۳
يامحمد، احبب مَن شئت فإنّك مفارقه، واعمل ما شئت فانك ملاقيه ۲۳۹
يبصر أحدكم القذاة فى عين أخيه ويدع الجذع فى عينه ۲۸۷
يعزّ على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم ۱۱۵
يوم غدير خم ... هو عيد الله الأكبر ۶۷
يوم غدير خمّ أفضل أعياد أمّتى ۴۱

المصادر

القرآن الكريم.
نهج البلاغة.

أ—

الإحتجاج: أبو منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى / من أعلام القرن السادس الهجرى / ط. مطابع النعمان – النجف الأشرف.

الإرشاد: للإمام المحقّق محمّد بن النعمان النعمان العكبرى البغدادى الملقّب بالمفيد / ت۴۱۳ه / ط. مؤسّسة الأعلمى – بيروت.

إرشاد القلوب للشيخ أبى محمّد الحسن بن أبى الحسن محمّد الديلمى / من أعلام القرن الثامن الهجرى / ط. منشورات الرضى – قم.

أعيان النساء للشيخ محمّد رضا الحكيمى / معاصر / ط. مؤسّسة الوفاء – بيروت.

إقبال الأعمال لرضى الدين أبى القاسم على بن موسى بن جعفر بن طاووس / ت۶۶۴ه / ط. مكتب الإعلام الإسلامى – قم.

الأمالى للشيخ أبى جعفر محمّد بن الحسن الطوسى / ت۴۶۰ه / ط. منشورات مكتبة الداورى – قم.

أمالى الصدوق الشيخ أبو جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمّى / ت۳۸۱ه / ط. مؤسّسة الأعلمى – بيروت.

أمالى المفيد الإمام الفقيه محمّد بن محمّد بن النعمان العكبرى البغدادى / ت۴۱۳ه / ط. منشورات مكتبة بصيرتى – قم.

الإمام والتبصرة للشيخ أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمّى / ت۳۸۱ه / ط. مدرسة الإمام المهدى «عجّل الله فرجه» – قم.

الإمامة والسياسة لأبى محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى / ت۲۷۶ه / ط. انتشارات الشريف الرضى – قم.

أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذرى / ت۲۷۹ه / ط. مؤسّسة الأعلمى – بيروت.

– ب –

بحار الأنوار للعلاّمة محمّد باقر بن محمّد تقى بن المقصود على الملقّب بالشيخ المجلسى / ت۱۱۱۱ه / ط. مؤسّسة الوفاء – بيروت.

– ت –

تاريخ دمشق لأبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى المعروف بابن عساكر / ت۵۷۱ه / ط. دار الفكر – بيروت.

تاريخ الطبرى لأبى جعفر محمّد بن جرير / ت۳۱۰ه / ط. مؤسّسة الأعلمى – بيروت.

تفسير الإمام الحسن العسكرى منسوب للإمام الحسن بن على العسكرى / ط. مدرسة الإمام المهدى «عجّل الله فرجه» – قم.

تفسير العيّاشى للمحدّث أبى النصر محمّد بن المسعود بن محمّد بن العياش التميمى المعروف ب (العيّاشى) / ت۳۲۰ه / ط. المكتبة العلمية الإسلامية – طهران.

تفسير فرات الكوفى لأبى القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات / ت۳۵۲ه / ط. مؤسّسة الثقافة والإرشاد الإسلامى – طهران.

تفسيرالقمّى لأبى الحسن على بن إبراهيم بن هاشم أبى إسحاق القمّى / ت۳۲۹ه / ط. مؤسّسة الأعلمى – بيروت.

تفسير مجمع البيان للشيخ أبى على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى / ت۵۶۰ه / ط. مؤسّسة الأعلمى – بيروت.

تفسير نور الثقلين للعلاّمة الشيخ عبد على بن جمعة العروسى الحويزى / ت۱۱۱۲ه / ط. دار الكتب العلمية – قم.

تهذيب الأحكام للشيخ أبى جعفر محمّد بن الحسن الطوسى / ت۴۶۰ه / ط. دار الكتب الإسلامية – طهران.

توحيد الصدوق للشيخ أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمّى / ت۳۸۱ه / ط. مكتبة الصدوق – طهران.

– ث–

ثواب الأعمال للشيخ أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمّى / ت۳۸۱ه / ط. مكتبة الصدوق – طهران.

– ج–

جامع الأخبار للشيخ أبى الحسن على بن أبى سعيد بن أبى فرج الخياط / ت۵۸۵ه / مخطوط.

جامع المدارك فى شرح المختصر النافع للسيّد أحمد بن السيّد العلاّمة يوسف الموسوى الخوانسارى / ت۱۴۰۵ه / ط. مكتبة الصدوق –طهران.

جواهر الكلام فی شرح شرائع الإسلام للشیخ محمّد حسن بن الشیخ باقر بن الشیخ عبدالرحیم النجفی / ت۱۲۶۶ه / ط. دار الکتب الإسلامیة – طهران.

جواهر المطالب فی مناقب الإمام الجلیل علی بن أبی طالب علیه السلام لشمس الدین أبی البرکات محمّد بن أحمد الشافعی المعروف بابن الدمشقی / ت۸۷۱ه / ط. مجمع إحیاء الثقافة الإسلامیة – قم.

– ح–

حلیة الأبرار للسیّد هاشم بن سلیمان بن إسماعیل بن عبدالجواد الحسینی البحرانی / ت۱۱۰۷ه / ط. مؤسّسة المعارف الإسلامیة – قم.

– خ–

الخصال للشیخ أبی جعفر محمّد بن علی بن الحسین بن بابویه القمّی / ت۳۸۱ه / ط. جماعة المدرّسین – قم.

– د–

دعائم الإسلام لأبی حنیفة النعمان بن محمّد بن منصور بن أحمد بن حیون التمیمی المغربی / ت۳۶۳ه / ط. دار المعارف – بیروت.

دلائل الصدق للشیخ محمّد حسن بن الشیخ محمّد بن عبدالله المظفّر / ت۱۳۷۵ه / ط. مکتبة بصیرتی – قم.

– ذ–

الذریعة إلی تصانیف الشیعة للعلّامة آقا بزرک الطهرانی / ت۱۳۸۹ه / ط. المکتبة الإسلامیة – طهران.

– ر–

رجال الکشی لأبی عمرو محمّد بن عمر بن عبدالعزیز.

روضات الجنّات للسیّد میر محمّد باقر بن زین العابدین بن أبی القاسم بن حسین بن أبی القاسم جعفر المشتهر بالمیر الکبیر / ت ۱۲۲۶ه / ط. مکتبة اسماعیلیان – قم.

روضة الواعظین للشهید محمّد بن الفتال النیسابوری / ت۵۰۸ه / ط. منشورات الرضی – قم.

– ش–

الشافی فی الإمامة لأبی القاسم علی بن أبی أحمد الحسین المعروف بالشریف المرتضی علم الهدی / ت۴۳۶ه / ط. ایران.

شرح أصول الکافی للمولی محمّد صالح السروی المازندرانی / ت۱۰۸۱ه / ط. المکتبة الإسلامیة – طهران.

شرح نهج البلاغة للشیخ عزّ الدین أبی حامد عبدالحمید بن أبی الحدید / ت۶۵۵ه / ط. دار إحیاء الکتب العربیة – القاهرة.

– ص–

صحیح البخاری للإمام أبی عبدالله محمّد بن إسماعیل بن إبراهیم بن المغیرة / ۲۵۶ه / ط. دار الفکر – بیروت.

– ط–

الطرائف فی معرفة مذاهب الطوائف لعلی بن موسی بن جعفر بن محمّد بن طاووس / ت۶۶۴ه / ط. مطبعة الخیّام _ قم.

– ع–

العدد القویة لرضی الدین علی بن یوسف المطهّر الحلّی / من أعلام القرن الثامن الهجری / ط. مطبعة سیّد الشهداء – قم.

العروة الوثقی للسیّد محمّد کاظم الطباطبائی الیزدی / ت۱۳۳۷ه / ط. مؤسّسة النشر الإسلامی – قم.

علل الشرائع للشیخ أبی جعفر محمّد بن علی بن الحسین بن بابویه القمّی / ت۳۸۱ه / ط. منشورات الداوری – قم.

عوالی اللئالی للشیخ محمّد بن علی بن إبراهیم بن أبی جمهور الإحسائی / ت نحو ۸۸۰ه / ط. سیّد الشهداء (علیه السلام –) قم.

عیون أخبار الرضا علیه السلام للشیخ أبی جعفر محمّد بن علی بن الحسین بن بابویه القمّی / ت۳۸۱ه / ط. منشورات دار الفنون– بیروت.

- غ-

الغيبة للطوسى الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن بن على بن الحسن / ت ۴۶۰ه / ط. منشورات مكتبة بصيرتى - قم.

الغارات أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال المعروف بابن هلال الثقفى / ط. دار الأضواء - بيروت/ لبنان.

الغيبة للنعمانى الشيخ أبو عبدالله محمّد بن إبراهيم الكاتب المعروف بابن أبى زينب / من علماء القرن الثالث الهجرى / ط. مؤسّسة الأعلمى - بيروت.

- ف-

فرائد الأصول للشيخ مرتضى بن محمّد أمين الأنصارى / ت ۱۲۸۱ه / ط. مجمع الفكر الإسلامى - قم.

- ق-

قرب الإسناد لأبى العباس عبدالله بن جعفر الحميرى / ت ۳۰۰ه / ط. مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم.

قصص الأنبياء لقطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندى / ت ۵۷۳ه / ط. مؤسّسة الهادى - قم.

- ك-

الكافى للشيخ أبى جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى / ت ۳۲۸ه / ط. دار الكتب الإسلامية - طهران.

كامل الزيارات للشيخ أبى القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمّى / ت ۳۶۸ه / ط. مؤسّسة النشر الإسلامى - قم.

الكامل فى التاريخ لأبى الحسن على بن أبى الكرم محمّد الشيبانى المعروف ب (ابن الأثير) / ت ۶۳۰ه / ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

كتاب سليم بن قيس لسليم بن قيس الهلالى العامرى / ت ۹۰ه / ط. منشورات دار الفنون - بيروت.

كتاب الغايات للشيخ أبى محمّد جعفر بن أحمد بن على القمّى المعروف ب (ابن الرازى) / من علماء القرن الرابع الهجرى /.

كشف الغمّة فى معرفة الأئمّة للعلاّمة أبى الحسن على بن عيسى بن أبى الفتح الإربلى / ت ۶۹۳ه / ط. دار الكتاب الإسلامى - بيروت.

كفاية الأثر لأبى القاسم على بن محمّد بن على الخزاز القمّى الرازى / ت ۴۰۰ه / ط. مطبعة الخيّام - قم.

الكنى والألقاب للشيخ المحقّق والمؤرّخ عبّاس القمّى / ت ۱۳۵۹ه /.

- ل-

اللهوف فى قتلى الطفوف لعلى بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس / ت ۶۶۴ه / ط. منشورات الرضى - قم.

- م-

مئة منقبة (المناقب) لابن شاذان أبى الحسن محمّد بن أحمد بن على بن الحسن القمّى / من أعلام القرن الرابع والخامس الهجريين / ط. مدرسة الإمام المهدى «عج» - قم.

مجموعة ورّام لأبى الحسين ورّام بن أبى فراس المالكى الأشترى / ت ۶۰۵ه / ط. دار الكتب الإسلامية - طهران.

مدينة المعاجز للمحدّث السيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل البحرانى / ت ۱۱۰۷ه / ط. مؤسّسة النعمان - بيروت.

مروج الذهب لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى / ت ۳۴۶ه / ط. دار الهجرة - قم.

مستدرك سفينة البحار للشيخ على النمازى الشاهرودى / ت ۱۴۰۵ه / ط. جامعة المدرسين - قم.

مستدرك الوسائل للشيخ ميرزا حسين بن محمّد تقى الطبرسى النورى / ت ۱۳۲۰ه / ط. مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث -بيروت.

المسترشد فى الإمامة للشيخ محمّد بن جرير بن رستم الطبرى الإمامى / ت أوائل القرن الرابع الهجرى / ط. سلمان الفارسى _ قم.

مصباح الشريعة للشيخ شفيق البلخى.

مصباح المتهجّد للشيخ أبى جعفر محمّد بن الحسن بن على بن الحسن الطوسى / ت ۴۶۰ه / ط. مؤسّسة فقه الشيعة – بيروت.
معانى الأخبار للشيخ أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمّى / ت ۳۸۱ه / ط. جامعة المدرّسين – قم.
المعتبر للمحقّق الحلّى نجم الدين أبى القاسم جعفر بن الحسن / ت ۶۷۶ه / ط. مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام – قم.
معجم أحاديث الإمام المهدى عجل الله فرجه للشيخ على الكورانى / معاصر / ط. مؤسّسة العارف الإسلامية _ قم.
معجم البلدان للشيخ شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى / ت ۶۲۶ه / ط. دار إحياء التراث العربى – بيروت.
مفاتيح الجنان للشيخ عبّاس القمّى / ت ۱۳۵۹ه / ط. مؤسّسة الوفاء – بيروت.
مقتضب الأثر لأحمد بن عبيدالله بن عياش الجوهرى / ت ۴۰۱ه / ط. العلمية – قم.
مقدّمة ابن خلدون لعبدالرحمن بن خلدون/ ت ۸۰۸ه / ط. إحياء التراث العربى – بيروت.
المكاسب للشيخ العلّامة الأنصارى مرتضى ابن المولى محمّد أمين الدزفولى / ت ۱۲۸۱ه / ط. مجمع الفكر الإسلامى – قم.
من لا يحضره الفقيه للشيخ أبى جعفر الصدوق محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمّى / ت ۳۸۱ه / ط. دار الكتب الإسلامية– طهران.
مناقب آل أبى طالب للشيخ رشيد الدين أبى جعفر محمّد بن على بن شهر آشوب المازندرانى / ت ۵۸۸ه / ط. المطبعة الحيدرية– النجف الأشرف.
مناقب الخوارزمى للموفّق بن أحمد بن محمّد البكرى المكّى الحنفى / ت ۵۶۸ه / ط. مؤسّسة النشر الإسلامى – قم.
المنجد فى اللغة لويس معلوف / معاصر / ط. دار المشرق – بيروت.
نهج الحقّ وكشف الصدق للعلّامة الحسن بن يوسف الحلّى / ت ۷۲۶ه /.
– ه –
الهداية للشيخ أبى جعفر الصدوق محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمّى / ت ۳۸۱ه / مؤسّسة الإمام الهادى – قم.
– و–
وسائل الشيعة للعلّامة الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملى / ت ۱۱۰۴ه / ط. دار إحياء التراث العربى – بيروت.

پى نوشتها

() مقطع من دعاء الإمام السجّاد علىّ بن الحسين عليهما السلام فى أسحار شهر رمضان المبارك المعروف بدعاء أبى حمزة الثمالى (مصباح المتهجد، للشيخ الطوسى: ۵۸۸).
() بحار الأنوار: ۱ / ۲۰۴ ح۲۴ باب۴ – مذاكرة العلم ومجالسة العلماء –.
() كنز الفوائد: ۱۳ الفصل الأوّل – مختصر الكلام فى أنّ للحوادث أوّلاً –.
() مستدرك سفينة البحار: ۹ / ۲۸ – باب فضل كتابة الحديث وروايته –.
() مكاتيب الرسول صلّى الله عليه وآله: ۱/۳۷۱ ح۳۹.
() منية المريد: ۳۴۰ – آداب الكتابة والكتب وما يتعلّق بها –.
() النصر: ۲.
() الكافى: ۱ / ۹۰ ح ۸ كتاب التوحيد.
() الكافى: ۱/ ۴۰۶ ح۶ باب ما يجب من حقّ الإمام على الرعية، وحقّ الرعية على الإمام.
() كتاب الغايات: ۶۹ عنه بحار الأنوار: ۱۰۰ / ۱۵۳ ح۲۵ باب إنظار المعسر وأن على الوالى أداء دينه.

() الكافى: ۱ / ۴۰۷ ح۷ باب ما يجب من حقّ الإمام على الرعية.

() الكافى: ۱ / ۴۰۶ ح ۶ كتاب الحجة.

() المائدة: ۸۲.

() تهذيب الأحكام للطوسى: ۶ / ۲۹۲ ح ۱۸ باب من الزيادات فى القضايا والأحكام .

() بحار الأنوار: ۱۸ / ۱۸۵ ح۱۵ باب المبعث وإظهار الدعوة وما لقى صلى الله عليه وآله من القوم.

() كفاية الأثر: ۱۵ باب ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى النصوص على الائمة.

() الفتح: ۲۸.

() الأنفال: ۴۲.

() مستدرك الوسائل: ۹/ ۱۹۸ باب ۳۹ ح۳.

() الأنعام: ۱۶۴.

() مستدرك الوسائل: ۹ / ۱۹۷ ح۳ باب نوادر ما يتعلق بأبواب الإحرام .

() المائدة: ۱۱۶.

() الاحتجاج: ۲ / ۲۳۳ فيما روى عنهم صلوات الله عليهم فى ذمّ الغلاة والبراءة منهم .

() نهج البلاغة: ۴ / ۲۸ رقم ۱۱۷.

() عيون أخبار الرضا سلام الله عليه: ۲ / ۲۶۵ ح ۵۳.

() انظر كتاب سليم بن قيس الكوفى: ۷۲-۷۴.

() يقول الله تعالى?: لا يحبّ اللهُ الجهرَ بالسوء من القول إلّا مَن ظُلم (?النساء: ۱۴۸) وهذا معناه أن المظلوم تجوز له غيبة ظالمه، و هذا من مستثنيات الغيبة.

لقد سألت المرحوم الوالد عن حد الاستثناء ما هو؟ أى ما هى الحدود التى تجوز للمظلوم أن يتحدث فيها عن ظالمه؟ فهل يجوز له أن يتحدث عن سيئاته الأخرى خارج دائرة ظلمه؟ فقال رحمه الله: له الحق فى الحديث عن المحور الذى ظُلم فيه فقط، ثم ضرب لذلك مثالاً، فقال: لو أن شخصاً أكل مالك فهذا لا يعطيك الحق أن تفضحه عند الجميع!.

() مفاتيح الجنان للقمى: ۱۶۵- ۱۶۷، دعاء الصباح.

() آل عمران: ۱۹.

() أمالى الصدوق: ۱۰۹ ح ۸.

() فروع الكافى: ۴/ ۱۴۹ ح۳ باب صيام الترغيب.

() المائدة: ۳.

() تفسير العيّاشى: ۱/۲۹۲ ح ۲۰.

() دعائم الإسلام للقاضى المغربى: ۱ / ۱۵، ذكر ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

() النساء: ۵۹.

() البقرة: ۱۵۰؛ المائدة: ۳ و۶؛ يوسف: ۶؛ النحل: ۸۱؛ الفتح: ۲.

() المائدة: ۶۶.

() المائدة: ۶۷.

() راجع مستدرك الوسائل: ۱۷ / ۲۷۴ ح ۲۱ باب وجوب الرجوع إلى المعصومين عليهم السلام.

() نهج البلاغة: ۴۱۶، من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف، رقم ۴۵.

() المصدر السابق.

() من جملة ما أنكره هؤلاء المنتقدون قصّة تصدّقه سلام الله عليه بالخاتم راكعاً، رغم أنّ معظم المفسّرين قد أقرّوا بأنّ الآية الكريمة: ?إنّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسولُهُ والّذينَ آمَنوا الّذينَ يُقيمونَ الصّلاةَ وَيُؤتونَ الزّكاةَ وَهُمْ راكِعون ?نزلت فى شأنه سلام الله عليه، وهو مصداقها الوحيد.

() نهج البلاغة: ۳۴۶ خطبة رقم ۲۲۴.

() الأنبياء: ۲۲.

() راجع تاريخ الطبرى ۲ / ۵۰۲ – ۵۰۴، ذكر البطاح وغيره.

() نهج البلاغة: ۴۲۱، من وصية له للحسن والحسين عليهم السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله.

() عن معاوية بن عمار عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول فى قول الله عز وجل (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) الأعراف: ۱۸۰: نحن والله، الأسماء الحسنى التى لا يقبل الله من العباد إلا بمعرفتنا. تأويل الآيات لشرف الدين الحسينى: ۱ / ۱۸۹.

() كان عليه السلام يقول: «أطيبوا طعامه وألينوا فراشه، فإن أعش فأنا وليّ دمى، فإمّا عفوت وإمّا اقتصصت، وإن أمت فألحقوه بى، ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين». انظر أنساب الأشراف، للبلاذرى: ۴۹۵ والإمامة والسياسة للدينورى: ۱/۱۸۱. وفى رواية أخرى: «أطعموه من طعامى، واسقوه من شرابى، فإن أنا عشت فأنا أولى بحقّى، وإن متّ فاضربوه ولا تزيدوه». المناقب للخوارزمى: ۲۸۰ (ط. مكتبة نينوى – طهران).

() نهج البلاغة: ۳۷۸، من كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه الله، رقم ۲۳.

() خصائص الأئمة للشريف الرضى: ۷۹.

() راجع مقدمة ابن خلدون: ۲۰۴.

() إقبال الأعمال لابن طاووس: ۴۶۸، فضل يوم عيد الغدير.

() بحار الأنوار: ۹۷ / ۳۶۲ ح ۶، زيارات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المختصة.

() راجع الهداية للصدوق: ۱۵۷ – ۱۶۲، حديث المنزلة والاستدلال عليه.

() نهج الحق: ۲۸۹.

() روى عن عبد الرحمن بن عبد البارى قال: خرجت مع عمر ليلة فى رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسه، ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط، فقال عمر: انى أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب، قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر: نعمت البدعة هذه. عن دلائل الصدق للمظفّر: ۳ / ۷۸. صحيح البخارى بحاشية السندى: ۱ / ۳۴۲.

() راجع الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ۲ / ۴۶۰ أحداث سنة ۲۳.

() الشافى فى الإمامة للشريف المرتضى: ۱ / ۲۰۲.

() روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لمّا قدم أمير المؤمنين سلام الله عليه الكوفة أمر الحسن بن على سلام الله عليه أن ينادى فى الناس: لا صلاة فى شهر رمضان فى المساجد جماعة. فنادى فى الناس الحسن بن على عليه السلام بما أمره أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا سمع الناس مقالة الحسن بن على عليهما السلام، صاحوا: وا عمراه وا عمراه! فلمّا رجع الحسن إلى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ما هذا الصوت ...؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قل لهم صلّوا. تهذيب الأحكام: ۳ / ۷۰ ح ۳۰.

() البقرة: ۲۵۶.

() راجع أمالى المفيد: ۱۴ مجلس۳.

() انظر تفسير فرات الكوفى: ۱۱۱ ح۱۱۳ الآية۶۹ من سورة النساء.

() المصدر نفسه.

() قال عليه السلام: «كلمة حقّ يراد بها باطل»! انظر نهج البلاغة: ۸۲، رقم۴۰ من كلام له عليه السلام فى الخوارج لمّا سمع قولهم «لا حكم إلّا لله».

() راجع بحار الأنوار: ۳۳ / ۳۴۳ – ۴۱۹ باب۲۳ قتال الخوارج واحتجاجاته صلوات الله عليه.

() راجع شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۱/۴۹۰، عنه بحار الأنوار: ۳۳/۳۴۳ باب۲۳ رقم۵۸۷.

() تاريخ دمشق لابن عساكر: ۲/۲۰۹ ح۷۰۳ ترجمة الإمام على بن أبى طالب عليه السلام ـ المحمودى.ـ

() كتاب سليم: ص۲۵۲.

() بحار الأنوار: ۶ / ۲۱۵.

() التهذيب: ۳ / ۱۴۳ ح۱ باب صلاة الغدير.

() راجع أعيان النساء للحكيمى: ۳۴۹، ترجمة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

() الكافى: ۱ / ۲۵۳، ح۹.

() حلية الأبرار للبحرانى: ۲/۷۶ ح۱ الباب۹ من خطبة الإمام الحسين عليه السلام.

() راجع معانى الأخبار للصدوق: ۳۳۶ ـ ۳۳۸، باب معنى قول فاطمة عليها السلام لنساء المهاجرين والأنصار فى علّتها.

() معانى الأخبار: ۱۸۰، باب من تعلّم علماً ليمارى به السفهاء.

() الحاقّة: ۴۴ – ۴۷.

() بحار الأنوار: ۱۶ / ۴۰۲، ضمن ح ۱ باب ۱۲.

() فاطر: ۲۸.

() بحار الأنوار: ۵۸ / ۱۸۲ ح ۴۶، عن مجالس الصدوق: ۲۱۷ المجلس الثلاثون.

() الحاقة: ۴۴–۴۷.

() يقول الله تعالى فى آيات أخرى?: والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما (?المائدة: ۳۸) وهذا الحكم إنما يكون طبعاً بعد توفر الشروط الكثيرة المذكورة فى الكتب الفقهية كشرح اللمعة والتبصرة وتسهيل الأحكام وغيرها.

وأوّل ما تقطع يمين السارق، ولا يكون القطع من الزند، بل تقطع الأصابع الأربعة فقط ويترك له الكف ليستعين به على السجود؛ قال تعالى?: وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا (?الجن: ۱۸)

فمَن قطع يد سارق من الزند فهو أعظم جرماً عند الله من السارق نفسه، لأنّ السارق تحدى بصورة فردية حكماً شرعياً واحداً، أما مَن طبّق حكماً من عند نفسه ونسبه إلى الله تعالى فقد ارتكب وزراً عظيماً دونه السرقة بكثير..

() سورة ق: ۱۶.

() بحار الأنوار: ۵۳/ ۲۵۵ فى ذكر من فاز بلقاء الحجة عليه السلام، الحكاية الخامسة والعشرون.

() انظر روضات الجنات للخونسارى: ۶ / ۱۵۳ – ۱۷۸ رقم ۵۷۶ ترجمة الشيخ المفيد.

() انظر كتاب قصص العلماء للتنكابنى.

() راجع كشف الغمّة للأربلى: ۳ / ۱۰۸ – ۱۱۷ نصّ القصيدة.

() تهذيب الأحكام للطوسى: ۸ / ۳۲۵ ح ۲۳ باب الكفارات.

() جواهر الكلام فى شرح شرائع الإسلام للفقيه العلاّمة الشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر بن المولى الشريف الكبير. راجع الذريعة لآغا بزرك الطهرانى: ۵/۲۷۵ رقم ۱۲۹۶.

() الكافى: ۵ / ۲۹۰، عنه بحار الأنوار: ۴۷ / ۳۷۵ ح ۹۸.

() الحشر: ۷.

() اللهوف فى قتلى الطفوف لابن طاووس: ۲۸ (ط. منشورات الشريف الرضى- قم).

() البقرة: ۲۵۶.

() عوالى اللآلئ للأحساوى: ۱ / ۲۲۲ ونهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلى: ۴۹۴ وغيرها.

() البقرة: ۱۹۵.

() النساء: ۲۹.

() ثواب الأعمال للصدوق: ۳۴۶ ح ۱، مقطع من عقوبات الأعمال.

() الشورى: ۱۳.

() النجم: ۸ - ۹. انظر الكافى: ۱ / ۴۴۲، ح ۱۳، وفيه ...: « فقال أبو بصير للإمام أبى عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، ما قاب قوسين أو أدنى؟ قال: ما بين سيّتها إلى رأسها »....

() مناقب آل أبى طالب للمازندرانى: ۱ / ۱۳۵ — ۱۵۶ عنه بحار الأنوار، العلامة المجلسى، ج۱۸، ص۲۸۶.

() علل الشرايع للصدوق: ۱ / ۵ ح ۱ باب ۷ العلّة التى من أجلها صارت الأنبياء والرسل والحجج صلوات الله عليهم أفضل من الملائكة.

() النجم: ۱۸.

() مدينة المعاجز، للبحرانى: ۲ / ۳۲۷ رقم ۱۱۶.

() ثواب الأعمال للصدوق: ۱۱۰ ح ۲.

() مناقب آل أبى طالب: ۱ / ۱۴۸ - ۱۵۷، عنه بحار الأنوار: ۱۶ / ۴۰۳ ح ۱.

() المسترشد للطبرى: ۶۸۰.

() الاحتجاج: ۲ / ۳۴.

() جواهر المطالب فى مناقب الإمام على عليه السلام لابن الدمشقى: ۲ / ۳۰۱.

() الكامل فى التاريخ: ۴ / ۴۶۷ ذكر بيعة الوليد بن يزيد.

() راجع شرح أصول الكافى: ۵ / ۱۴۳.

() كشف الغمة: ۲ / ۲۱۸.

() إبراهيم: ۱۷.

() منطقة قرب كربلاء، تنطلق منها فى يوم عاشوراء كلّ عام وفود المعزّين نحو الحرم الحسينى حفاة مردّدين هتافات: حسين حسين، وضاربين بأيديهم على رؤوسهم.

() السيد محمد مهدى بن مرتضى بحر العلوم (۱۱۵۵- ۱۲۱۲ه) من مشاهير العلماء الذين عُرفوا بالزهد والورع، وأحد تلامذة الشيخ وحيد البهبهانى قدس سره، انتقل إلى جوار ربه وهو فى الخامسة والسبعين من عمره، ودفن بجنب باب المسجد الطوسى فى النجف الأشرف. راجع الكنى والألقاب للقمّى: ۲ / ۶۷، ترجمة بحر العلوم.

() مصباح المتهجّد للطوسى: ۷۲۴ زيارة أُخرى فى يوم عاشوراء.

() الكافى: ۳ / ۲۶۲ ح۴۵ باب الجنائز.

() أحد المصادر المعتبرة والقيّمة لدى الطائفة.

() كامل الزيارات لابن قولويه: ۶۱ ـ ۶۲ ح۸ الباب۱۷.

() كامل الزيارات، ص۶۳، الباب ۸۸، ح۲.

() إنّ الكعبة وسائر الأشياء التى تحيط بنا هى مخلوقات الله تعالى، وجميعها لها إحساس وشعور، لكن معظم البشر لا يستطيعون درك ذلك، وقد ورد فى القرآن الكريم أن جميع الخلائق تسبّح لله لكنّا لا نفقه تسبيحها.

() كامل‌الزيارات: ۴۴۹ ح۲، فضل كربلاء.

() المصدر نفسه: ۴۵۵ ح۱۷.

() الأمالى للطوسى: ۱ / ۱۱۴ ـ ۱۱۵ المجلس۴.

() الرؤيا ليست دليلاً ـ ولكن عُبِّر عنها أحياناً فى الروايات بالمبشرات، فقد روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه إذا أصبح قال لأصحابه: هل من مبشّرات؟ يعنى الرؤيا. نقله الكلينى فى الكافى ۸ / ۹۰ ح۵۹، حديث الأحلام والحجّة على أهل ذلك الزمان.

() معجم أحاديث الإمام المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف للكورانى: ۴/۹۰.

()كامل‌الزيارات: ۱۲۵، الباب ۴۵ ثواب من زار الإمام الحسين سلام الله عليه.

() المعارج: ۴.

() نهج البلاغة: ۶۲، الخطبة ۲۰.

() الكافى: ۸ / ۵۸ ح۲۱.

() سماحة المرجع الدينى آية الله العظمى السيد محمد الحسينى الشيرازى قدّس سرّه.

() روى عن عبدالله بن سنان، أنّه قال: دخلت على سيدى أبى عبدالله، جعفر بن محمّد عليهما السلام فى يوم عاشوراء ... قال: ياعبدالله بن سنان، إنّ أفضل ما تأتى به فى هذا اليوم ـ يعنى يوم عاشوراء ـ أن تعمد إلى ثياب طاهرة فتلبسها وتتسلّب. قلت: وما التسلّب؟ قال: تحلّل ازرارك وتكشف عن ذراعيك كهيئة أصحاب المصائب، اُنظر مصباح المتهجّد للطوسى: ۷۸۲، زيارة أُخرى فى يوم عاشوراء.

() تفسير الإمام العسكرى عليه السلام: ۱ / ۲۱ ح۱۰۱.

() العدد القوية لرضى الدين الحلى: ۱۵۳.

() التهذيب للشيخ الطوسى: ۶ / ۱۱۳، ح ۱۷.

() كامل الزيارات: ۲۶۲ الباب ۸۸.

() كامل الزيارات: ۲۶۱ الباب ۸۸.

() النساء: ۵۹.

() البقرة: ۲۹.

() منها قوله تعالى?: ألم تروا أن الله سخّر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ?لقمان: ۲۰.

() عن جابر قال: سمعت سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب يحدث أبا جعفر محمد بن على عليه السلام بمكة قال: سمعت أبى عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الله عز وجل أوحى إلى ليلة أسرى بى: يا محمد من خلفت فى الأرض على أمتك؟ وهو أعلم بذلك. قلت: يا ربّ أخى. قال: يا محمد، على بن أبى طالب؟ قلت: نعم يا رب. قال: يا محمد إنى اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فلا أُذكر حتى تُذكر معى، أنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت إلى الأرض اطلاعة أخرى فاخترت منها على بن أبى طالب فجعلته وصيك، فأنت سيد الأنبياء وعلى سيد الأوصياء. ثم اشتققت له اسماً من أسمائى، فأنا الأعلى وهو على، يا محمد إنى خلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين و الأئمة من نور واحد ثم عرضت ولايتهم على الملائكة، فمن قبلها كان

من المقربين، ومن جحدها كان من الكافرين. يا محمد لو أن عبداً من عبادى عبدنى حتى ينقطع ثم لقينى جاحداً لولايتهم أدخلته نارى ... مقتضب الأثر لأحمد بن محمد بن عياش، عنه: بحار الأنوار: ۳۶ / ۲۲۲ ح ۲۱.

() نهج البلاغة ۴۱۶ رقم ۴۵ من كتاب الإمام عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة.

() مستدرك الوسائل: ۶/۴۹۲ باب ۳۹ وجوب متابعة المأموم الإمام.

() قال الشعبى: فلما دخل عثمان رحله دخل إليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار ثم أغلقوها عليهم فقال أبو سفيان بن حرب: أ عندكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا. قال: يا بنى أمية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذى يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة. (شرح نهج البلاغة للمعتزلى: ۹ / ۵۳ من أخبار يوم الشورى وتولية عثمان).

() كما مرّ تفصيله فى صفحة ۱۰۳ — ۱۰۴ من هذا الكتاب، وانظر كشف الغمة: ۲ / ۴۴ – ۴۵.

() قال الراوى: ثم دعا يزيد عليه اللعنة بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين سلام الله عليه ويتمثل بأبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تُشل

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلْناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزل

لست من خندف إن لم أنتقم من بنى أحمد ما كان فعل

اللهوف: ۷۹.

() بحار الأنوار: ۳۳ / ۱۷۸ باب ۱۷ ماورد فى معاوية وعمرو بن العاص وأوليائهما .

() روى فى علل الشرايع: ۲۳۲ ح ۹، عن الحسن بن على بن أبى حمزة، عن أبيه، أنّه قال: سألتُ مولاة لعلى بن الحسين عليهما السلام بعد موته فقلت: صفى لى أمور على بن الحسين عليهما السلام؟ فقالت: أطنب أو أختصر؟ فقلت: بل اختصرى. قالت: ما أتيته بطعام نهاراً قط، ولا فرشت له فراشاً بليل قط.

() روى النورى فى مستدرك الوسائل: ۳ / ۴۱۱، عن أَبى حَمْزَةَ الثُّمالىِّ قال: بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ يَوْماً فى الْمَسْجِد عند السَّابعة إذا برجُلٍ ممَّا يلى أَبوابَ كِنْدَةَ قَدْ دَخَلَ، فَنَظَرْتُ إلى أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهاً وأَطْيَبِهِمْ ريحاً وَأَنْظَفِهِمْ ثَوْباً مُعَمَّم بِلا طَيْلَسَانٍ وَ لا إزارٍ، عَلَيه قَميصٌ ودُرَّاعَةٌ وعمامةٌ وفى رجلَيه نَعْلانِ عَرَبِيَّانِ، فَخَلَعَ نَعْلَيْهِ ثُمَّ قَامَ عندَ السَّابِعَةِ ورَفَعَ مُسَبِّحَتَيْهِ حَتَّى بَلَغَتَا شَحْمَتَىْ أُذُنَيْه ثُمَّ أَرْسَلَهُمَا بِالتَّكْبِير، فَلَمْ تَبْقَ فى بَدَنِى شَعْرَةٌ إلاـ قَامَتْ، ثُمَّ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَحْسَنَ رُكُوعَهُنَّ وسُجُودَهُنَّ وقَال: إلَهِى إنْ كُنْتُ قَدْ عَصَيْتُكَ ...الدُّعَاءَ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ. فَتَأَمَّلْتُهُ فَإذَا هُوَ مولاىَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَانْكَبَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ أُقَبِّلُهُمَا. فَنَزَعَ يَدَهُ منِّى وأَوْمَأَ إلَىَّ بالسُّكُوت. فَقُلْتُ: يا مَولاىَ أَنَا مَنْ قَدْ عَرَفْتَهُ فِى ولائِكُمْ، فَمَا الَّذِى أَقْدَمَكَ إلَى هَاهُنَا؟ قَال: هُوَ لِمَا رَأَيْتَ.

() فرائد الأصول للأنصارى: ۱ / ۳۵۴.

() القصص: ۵ – ۶.

() عن الإمام محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن جده أمير المؤمنين سلام الله عليهم فى قوله تعالى?: وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فى الأَرْض وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ ?قال: هم آل محمد يبعث الله مهديّهم بعد جهدهم فيعزّهم ويذلّ عدوّهم. ذكره الطوسى فى كتاب الغيبة: ۱۱۳.

() المدّثر: ۶.

() البقرة: ۲۶۴.

() البقرة: ۲۶۲.

() طه: ۳۷.

() الصافات: ۱۱۴.

() آل عمران: ۱۶۴.

() راجع مستدرک الوسائل: ۲ / ۴۱۹ باب ۶۴: استحباب الصبر على البلاء.

() آل عمران: ۱۸۵.

() عن سلمان الفارسی رضی الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فلما نظر إلیّ قال: يا سلمان ... ليحضرن إبليس وجنوده وكلّ من محض الإيمان محضاً، ومحض الكفر محضاً، حتى يؤخذ بالقصاص والأوتار والتراث ولا يظلم ربك أحداً، ويجرى تأويل هذه الآية? ونريد ان نمنّ على الذين استضُعفوا فى الأرض ? ... الآية. مقتضب الأثر لأحمد بن عياش الجوهرى: ۷.

() عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله عزّوجلّ?: وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ?قال: هم الأئمة. الكلينى فى الكافى: ۱ / ۲۱۹ ح ۲.

() بحار الأنوار: ج۲۵، ص۱۱۷ باب ۴ - جامع فى صفات الإمام...

() مستدرک الوسائل: ۱۶ / ۲۵۹ ح ۱۱ باب ۲۳: كراهة كراهة الضيف.

() رجال الكشى: ۲۶۶ - ۲۶۷، عنه بحار الأنوار: ۲۳ / ۸۹ ح ۳۵، باب وجوب معرفة الإمام.

() هناک أشخاص تضخّمت عندهم قوة التخيّل حتّى صاروا ينسبون كلّ شيء إلى الخيال وينكرون الوجدانيات والأمور المتعلّقة بالعلم الوجدانى كالمتواترات؛ فلا شيء عندهم يسمى العلم؛ وإنكارهم لوجود المولى صاحب الزمان من هذا القبيل، أى هو إنكار للوجدانيات والمتواترات. (عنه، دام ظلّه).

() النحل: ۱۲۵.

() بحار الأنوار: ۹۹ / ۱۰۲ باب زيارة الإمام الحجة بن الحسن صلوات الله عليه.

() بحار الأنوار: ۴۷ / ۵۴ ح ۹۲ باب ۳ النص عليه صلوات الله عليه .

() بحار الأنوار: ۵۳ / ۳۵۳ باب ۲۷ - سيره وأخلاقه -.

() بحار الأنوار: ۳۴ / ۲۶۱ باب ۶۳ ح ۱۶.

() الميلغ، والميلغة والجمع مبالغ: الإناء يلغ فيه الكلب أو يسقى فيه. (المنجد فى اللغة: ۹۱۸، مادّة ولغ). وكان الناس آنذاک إذا كسرت كيزان الماء الخزفية لم يرموا بكعوبها بل يتّخذون منها أوعية للماء الذى تلغ فيه الكلاب.

فقد روى أنه بعث النبى صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد على صدقات بنى المصطلق حيّ من خزاعة، وكان بينه وبينهم فى الجاهلية ذحل فأوقع بهم خالد فقتل منهم، واستاق أموالهم، فبلغ النبيّ صلى الله عليه وآله ما فعل فقال: «اللّهمّ أبرأ إليک ممّا صنع خالد» وبعث إليهم علىّ بن أبى طالب عليه السلام بمال وأمره أن يؤدى إليهم ديات رجالهم وما ذهب لهم من أموالهم، وبقيت معه من المال زعبة، فقال لهم: هل تفقدون شيئاً من متاعكم؟ فقالوا: ما نفقد شيئاً إلّا ميلغة كلابنا، فدفع إليهم ما بقى من المال فقال: هذا لميلغة كلابكم، وما أنسيتم من متاعكم، وأقبل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ما صنعت؟ فأخبره بخبره حتّى أتى على حديثه، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أرضيتنى رضى الله عنک يا علىّ أنت هادى أمّتى، ألا إنّ السعيد كلّ السعيد مَن أحبّک وأخذ بطريقتک، ألا إنّ الشقى كلّ الشقى من خالفک ورغب عن طريقک إلى يوم القيامة. بحار الأنوار ۲۱ / ۱۴۳ ح۶ ذكر الحوادث بعد فتح مكّة.

() بحار الأنوار: ۴۷ / ۵۴ ح ۹۲ باب ۳ النص عليه صلوات الله عليه .

() الكافى للشيخ الكلينى: ۱ / ۴۱۰ ح ۲ باب سيرة الإمام عليه السلام فى نفسه وفى المطعم...

() نهج البلاغة: ۳۲۴ رقم۲۰۹ من كلامه عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثى يعوده.

() الغارات لابن هلال الثقفى: ۶۲.

() نهج البلاغة، من كتاب له سلام الله عليه إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف.

() الإرشاد للمفيد: ۲۳۴ فى مكالمة الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء مع الطغاة.

() الكافى: ۱/۲۵ ح۲۱ كتاب العقل والجهل .

() الفتح: ۱۰.

() بحار الأنوار: ۲۳ / ۸۹ ح ۳۵، باب وجوب معرفة الإمام.

() إنّ السفراء هم غير النوّاب الأربعة، فقد سمى غير هؤلاء الأربعة سفراء وإن أُطلق عليهم أيضاً، فهم السفراء المطلقون، وكان هناك للإمام سفراء محدّدون كمَن كاتبوا الإمام سلام الله عليه وأجابهم، وثمّة بعض الكتب التى كتبها الإمام ابتداءً لبعض أصحاب أبيه وجدّه عليهم السلام (عنه، حفظه الله).

() قال المجلسى وآخرون إنّ هذه الرسائل كانت ثلاثاً ضاعت واحدة منها ولم تصلنا (عنه حفظه الله).

() الاحتجاج للطبرسى: ۲/۳۱۸_ ۳۲۴، توقيعات الناحية المقدّسة.

() انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ۹/۴۲۱.

() سبأ: ۴۶.

() إرشاد القلوب للديلمى: ۲۱، باب الزهد فى الدنيا.

() مصباح الشريعة للبلخى: ۲۲ – ۲۳، عنه بحار الأنوار: ۶۷ / ۳۱۵.

() الأنعام: ۹۱.

() البقرة: ۱۵۶.

() بحار الأنوار: ۶۴ / ۱۴۲. دعاء الإمام الحسين سلام الله عليه يوم عرفة.

() نهج البلاغة: ۳۴۶ (ط: منشورات دار الهجرة – قم).

() الخصال: ۱/۲۲۲ ح۴۹.

() راجع بحار الأنوار: ۹۹/۱۴۵ باب الزيارات الجامعة، وفيه: «وأعلم أن رسلك وخلفاءك أحياء عندك يرزقون، يرون مكانى فى وقتى هذا وزمانى، ويسمعون كلامى، ويردّون على سلامى».

() الفاتحة: ۶.

() العنكبوت: ۶۴.

() يونس: ۱۴.

() نهج البلاغة: ۷۴ رقم ۳۲، أصناف المسيئين.

() شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام، لابن ميثم البحرانى: ۳۶.

() الصف: ۲-۳.

() هود: ۱۱۲.

() الخصال: ۱ / ۱۹۹ ح ۱۰ باب الأربعة، عنه تفسير نور الثقلين للعروسى: ۴ / ۳۳۴ تفسير سورة هود.

() مجمع البيان للطبرسى: ۵ / ۱۹۹ عنه بحار الأنوار: ۱۷ / ۵۲.

() التوبة: ۲۴.

() لا شكّ أنّ المعصومين سلام الله عليهم مستثنون من هذا الأمر أى من الزلّة والانحراف لأنّ الله تعالى هو الذى عصمهم وطهّرهم فلا

يتصوّر انحرافهم أصلاً؛ روى أنّ النبى صلى الله عليه وآله قال لعمار بن ياسر: يا عمار إن رأيت عليّاً قد سلك وادياً وسلك الناس كلّهم وادياً فاسلك مع على فإنّه لن يدليك فى ردى ولن يخرجك من هدى (الطرائف فى معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس: ۲۴- ۲۵، عنه بحار الأنوار: ۳۸ / ۳۸)؛ ما يعنى أنّ المعصوم هو مقياس الحقّ، لكنّ هذا لا يصدق فى غير المعصوم، فلا ينبغى للمؤمن أن يتغيّر وتضعف ثقته بالله إذا رأى بعض الكبراء فى الدين يزلّ أو ينحرف أو تضعف ثقته بالله.

() قرب الإسناد لأبى العباس القمى: ۲۰۳، عنه بحار الأنوار: ۶۶ / ۲۱۲، ح۶.

() قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنما أتخوّف على أمّتى من بعدى ثلاث خصال: أن يتأوّلوا القرآن على غير تأويله، أو يتّبعوا زلّة العالِم أو يظهر فيهم المال حتى أنّه يطغوا ويبطروا» الخصال: ۱ / ۱۶۴، ح۲۱۶.

() الحديد: ۲۳.

() نهج البلاغة: ۵۵۳ رقم ۴۳۹، الكلمات القصار.

() الكافى: ۳ / ۲۲۶ ح ۱۳ و ۱۴.

() أمالى الطوسى: ۲ / ۲۰۳، مجلس يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الأوّل سنة سبع وخمسين وأربعمئة.

() الأنبياء: ۳۵.

() نهج البلاغة: ۵۲۷ رقم ۲۹۱ الكلمات القصار.

() مما جاء فى هذه الخطبة الشريفة:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللهِ بِالْبَرَكَةِ والرَّحْمَةِ والْمَغْفِرَةِ شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ الله أَفْضَلُ الشُّهُور وأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الأَيَّام ولَيَاليه أَفْضَلُ اللَّيَالى وسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَات. هُوَ شَهْرٌ دُعيتُمْ فيه إِلَى ضيَافَةِ اللَّه وجُعلْتُمْ فيه منْ أَهْلِ كَرَامَةِ الله. أَنْفَاسُكُمْ فيه تَسْبيحٌ ونَوْمُكُمْ فيه عبَادَةٌ وعَمَلُكُمْ فيه مَقْبُولٌ ودُعَاؤُكُمْ فيه مُسْتَجَابٌ فَاسْأَلُوا الله رَبَّكُمْ بنيَّاتٍ صَادقَةٍ وقُلُوبٍ طَاهرَةٍ أَنْ يُوَفّقَكُمْ لصيَامه وتلاوَة كتَابه، فَإِنَّ الشَّقيَّ مَنْ حُرمَ غُفْرَانَ اللَّه فى هَذَا الشَّهْر الْعَظيم، واذْكُرُوا بجُوعكُمْ وعَطَشكُمْ فيه جُوعَ يَوْم الْقيَامَة وعَطَشَهُ، وتَصَدَّقُوا عَلَى فُقَرَائكُمْ ومَسَاكينكُمْ ووَقّرُوا كبَارَكُمْ وارْحَمُوا صغَارَكُمْ وصلُوا أَرْحَامَكُمْ واحْفَظُوا أَلْسنَتَكُمْ وغُضُّوا عَمَّا لا يَحلُّ النَّظَرُ إِلَيْه أَبْصَارَكُمْ وعَمَّا لا يَحُلُّ الاسْتمَاعُ إِلَيْه أَسْمَاعَكُمْ، وتَحَنَّنُوا عَلَى أَيْتَام النَّاس يُتَحَنَّنْ عَلَى أَيْتَامكُمْ، وتُوبُوا إِلَى الله منْ ذُنُوبكُمْ وَارْفَعُوا إِلَيْه أَيْديَكُمْ بالدُّعَاء فى أَوْقَات صَلاتكُمْ؛ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ السَّاعَات، يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ فيهَا بالرَّحْمَة إِلَى عبَاده يُجيبُهُمْ إِذَا نَاجَوْهُ ويُلَبّيهمْ إِذَا نَادَوْهُ ويُعْطيهمْ إِذَا سَأَلُوهُ ويَسْتَجيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَوْهُ. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَنْفُسَكُمْ مَرْهُونَةٌ بأَعْمَالكُمْ فَفُكُّوهَا باسْتغْفَاركُمْ، وظُهُورَكُمْ ثَقيلَةٌ منْ أَوْزَاركُمْ فَخَفّفُوا عَنْهَا بطُول سُجُودكُمْ، واعْلَمُوا أَنَّ الله أَقْسَمَ بعزَّته أَنْ لا يُعَذّبَ الْمُصَلّينَ والسَّاجدينَ وأَنْ لا يُرَوّعَهُمْ بالنَّار يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لرَبّ الْعَالَمينَ. أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ فَطَّرَ منْكُمْ صَائماً مُؤْمناً فى هَذَا الشَّهْر كَانَ لَهُ بذَلكَ عنْدَ الله عتْقُ نَسَمَةٍ ومَغْفرَةٌ لمَا مَضَى منْ ذُنُوبه.

قيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه فَلَيْسَ كُلُّنَا نَقْدرُ عَلَى ذَلكَ.

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: اتَّقُوا النَّارَ ولَوْ بشقّ تَمْرَةٍ، اتَّقُوا النَّارَ ولَوْ بشَرْبَةٍ منْ مَاءٍ. أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ حَسَّنَ منْكُمْ فى هَذَا الشَّهْر خُلُقَهُ كَانَ لَهُ جَوَازاً عَلَى الصّرَاط يَوْمَ تَزلُّ فيه الأَقْدَامُ، ومَنْ خَفَّفَ فى هَذَا الشَّهْر عَمَّا مَلَكَتْ يَمينُهُ خَفَّفَ اللَّهُ عَلَيْه حسَابَهُ، ومَنْ كَفَّ فيه شَرَّهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ غَضَبَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، ومَنْ أَكْرَمَ فيه يَتيماً أَكْرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، ومَنْ وَصَلَ فيه رَحمَهُ وَصَلَهُ اللَّهُ برَحْمَته يَوْمَ يَلْقَاهُ، ومَنْ قَطَعَ فيه رَحمَهُ قَطَعَ اللَّهُ عَنْهُ رَحْمَتَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، ومَنْ تَطَوَّعَ فيه بصَلاةٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بَرَاءَةً منَ النَّار، ومَنْ أَدَّى فيه فَرْضاً كَانَ لَهُ ثَوَابُ مَنْ أَدَّى سَبْعينَ فَريضَةً فيمَا سوَاهُ منَ الشُّهُور، ومَنْ أَكْثَرَ فيه منَ الصَّلاة عَلَىَّ ثَقَّلَ اللَّهُ ميزَانَهُ يَوْمَ تَخفُّ الْمَوَازينُ، ومَنْ تَلا فيه آيَةً منَ الْقُرْآن كَانَ لَهُ مثْلُ أَجْر مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فى غَيْره منَ الشُّهُور. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَبْوَابَ الْجنَان فى هَذَا الشَّهْر مُفَتَّحَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لا يُغَلّقَهَا عَنْكُمْ وأَبْوَابَ النّيرَان مُغَلَّقَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لا يُفَتّحَهَا عَلَيْكُمْ، والشَّيَاطينَ مَغْلُولَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لا يُسَلّطَهَا عَلَيْكُمْ.

قَالَ أَميرُ الْمُؤْمنينَ عليه السلام: فَقُمْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه مَا أَفْضَلُ الأعمَال فى هَذَا الشَّهْر؟ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَن أَفْضَلُ الأَعْمَال فى هَذَا

الشَّهْر الْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ.

عن وسائل الشيعة: ۱۰/۳۱۳ باب ۱۸ ح۱۳۴۹۴.

() نهج البلاغة: ۵۴۴ رقم ۳۸۶ الكلمات القصار.

() بحار الأنوار: ۶۶ / ۲۹۳ باب صفات خيار العباد وأولياء الله.

() إقبال الأعمال لابن طاووس: ۲۹.

() معانى الأخبار للصدوق: ۲۵۲ ح۱ باب معنى الورع من الناس.

() وسائل الشيعة: ۱۰/۳۱۳ ح۱۳۴۹۴ باب ۱۸.

() روضة الواعظين للفتال النيسابورى: ص۱۴۴ مجلس فى ذكر تزويج فاطمة عليها السلام.

() نهج البلاغة: ۱۳۹ رقم۹۴ وفيها يصف الله تعالى ثمّ يبيّن فضل الرسول الكريم وأهل بيته.

() انظر هامش محاضرة: الورع عن محارم الله.

() هود: ۱۱۸-۱۱۹

() نهج البلاغة: ۵۴۴ رقم ۳۸۶ الكلمات القصار.

() منها: عن أبى الحسن موسى عليه السلام قال: ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كلّ يوم، فإن عمل خيرا استزاد الله منه، وحمد الله عليه، وإن عمل شرّاً استغفر الله منه وتاب إليه. بحار الأنوارللعلامة المجلسى: ۷۶ / ۷۲.

() الكافى: ۲/۷۷ ح۹ باب الورع.

()الكافى: ۲/۷۸ ح۱۴ باب الورع.

() الأنفال: ۲.

() بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۳۶۶ باب ۲۰.

() انظر: رياض المسائل: ۲ / ۴۰۳ (طبعة قديمة).

() الكهف: ۴۶.

() وسائل الشيعة: ۱۶ / ۱۰۶ ح۲ باب ۱۰۰ وجوب الاشتغال بصالح الأعمال.

() مستدرك الوسائل: ۷ / ۲۶۶ ح ۱۴.

() الحجر: ۳.

() من لا يحضره الفقيه للصدوق: ۲ / ۶۶ ح ۱۷۳۱.

() المعتبر للمحقّق الحلّى: ۱ /۳۴۱.

() النساء: ۷۹.

() الإمامة والتبصرة للقمى: ۱۷۶.

() قصص الأنبياء: ۱۵۷ ح ۱۶۶ فصل ۲.

() راجع مروج الذهب للمسعودى: ۳ / ۳۱۰ – الرواية مفصّلة –.

() فصّلت: ۴۶.

() نهج البلاغة: ۴ / ۷.

() الحجر: ۸۰ – ۸۱.

() اسم ديار ثمود أى اسم المنطقة التى بُعث إليها النبى صالح عليه السلام فسمّوا بها، وتقع بوادى القرى بين المدينة والشام. انظر:

معجم البلدان للحموی: ۳ / ۲۲۰.

() الرعد: ۴۰.

() النحل: ۴۰. ورد فی تفسیر هذه الآیة: أنّ الله تعالی لا یحتاج حتی إلی قول: «کن» فإنّ إرادته تکفی ولکن التعبیر الوارد فی الآیة لغرض التفهیم؛ لأنّنا بحاجة إلی مراحل ثلاث لإیجاد الشیء؛ هی: الإرادة والتعبیر عنها ومرحلة العمل. فلو أنّک أردت أن تبنی مسجداً مثلاً، فإنّک ترید ذلک أوّلاً ثم تعبّر عنه ثانیاً وفی المرحلة الثالثة تبذل المال وتوفّر المواد والبناء، وهکذا. أمّا الله سبحانه فلا یحتاج إلی التعبیر ولا إلی العمل الخارجی بل إنّ إرادته وحدها تکفی لتحقّق ما یرید. (عنه دام ظلّه).

() الشعراء: ۱۵۵.

() الأحزاب: ۱۲.

() آل عمران: ۱۲۶.

() الأحزاب: ۱۰.

() العنکبوت: ۲ – ۳.

() الأحزاب: ۲۵.

() بحار الأنوار: ۲۹ / ۱۱ باب ۲۳.

() الکافی: ۵ / ۲۸۰ ح ۶.

() المائدة: ۳.

() المائدة: ۴۴.

() کفایة الأثر للرازی: ۱۵.

() البقرة: ۱۹۶.

() المکاسب: ۶ / ۲۱۶، وجامع المدارک للسید الخونساری: ۳ /۱۸۷.

() البقرة: ۲۵۶.

() الحاقة: ۱۱.

() لاشکّ أنّ النبیّ صلی الله علیه وآله لم یکن یحیّیهم بتحیة الإسلام – وهی: السلام علیکم – بل کان یحییهم بأنواع التحیات الأخری؛ لأنّ ههنا مسألة وهی: أنّه یجوز للمسلم أن یحیّی الکفّار بمختلف التحیات باستثناء تحیّة الإسلام، ولا یجوز له أن یقولها إلا لمسلم، بل أن یقول له: أنعِم صباحاً أو أنعِم مساءً، أهلاً وسهلاً، تحیة طیّبة، وما أشبه، لأنّ کلمة «السلام علیکم» مختصّة بالإسلام والمسلمین دون غیرهم، ووردت فیها أحادیث عن النبی صلی الله علیه وآله وأهل بیته المعصومین علیهم الصلاة والسلام، تؤکّد أنّ رسول الله صلی الله علیه وآله کان یحیّی المشرکین بمختلف التحیات إلّا کلمة «السلام علیکم»، فلقد وُضعت للمسلمین خاصة. فإذا حیّی مسلم مسلماً قال له: «السلام علیکم» والحدیث المعروف الذی لابدّ وأنّ کثیراً منکم سمعه وهو «تحیة الإسلام السلام» یعنی أنّ هذه التحیّة خاصّة بالإسلام. (عنه حفظه الله).

() الکهف: ۲۹.

() البقرة: ۲۵۶.

() البلد: ۱۰.

() الإنسان: ۳.

() الاحتجاج للطبرسی: ۱ / ۲۵۰.

() نهج البلاغة: ۴۸، الخطبة الشقشقية. الحسنان - بسكون السين - الإبهامان من القدمين. وقرأ بعضٌ: الحسنان - بفتح السين - أى الحسن والحسين سلام الله عليهما.

() راجع: الأمالى للطوسى: ۳۲۵ - ۳۳۱ ح ۲۳.

() تفسير القمّى: ۲ / ۲۹۵ تفسير سورة الحجرات.

() الأعراف: ۱۵۷.

() مستدرك الوسائل: ۱۲ / ۳۰۸ باب ۱۳ ح ۴.

() روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: نحن أهل بيت لا نقاس بالناس (بحار الأنوار: ۳۸ / ۸ ح ۱۳ باب ۵۶).

() البقرة: ۲۲۹.

() الذاريات: ۴۹.

() روى النمازى فى مستدرك سفينة البحار: ۹ / ۲۵۰ فى باب الشعر، عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله: لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه. أى أن العاقل يفكر أولاً ويأخذ تصوراً كاملاً عن الموضوع ثم يتكلم، أى أن الكلام ينطلق من مخزن القلب إلى اللسان، أما الأحمق فبالعكس، أى أنه يتكلم أولاً ثم يفكر فى ما قال. (عنه حفظه الله).

() الأعراف: ۹۶.

() وسُمّيت البِرْكة بِركة لاستمرار الماء فيها وهو خير ونماء؛ قال تعالى?: وجعلنا من الماء كلّ شىء حى ?الأنبياء: ۳۰.

() الأنبياء: ۵۰.

() الملك: ۱۴.

() تهذيب الأحكام للطوسى: ۷ / ۱۵۱ ح ۶۷۰.

() المصدر نفسه: ۷ / ۱۵۲ ح ۶۷۲.

() تهذيب الأحكام: ۷ / ۱۵۲ ح ۶۷۳.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا - علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ - إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آبادى" - "رَحِمَهُ اللهُ" - كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ - بأصبَهانَ، إيرانَ - قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ - دامَ عِزّهُ - و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و

عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى

بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم - إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹